الروائح العطرة
بنبذة مختصرة من سيرة أمير المؤمنين
المؤيد برب العزة الإمام يحيى بن حمزة
عليه السلام

تأليف

السيد العلامة/ القاسم بن الحسن بن القاسم السراجي



تلفون (٧٧٠٠٤٥١٧٧-٧١١٧٧٥٧٨٥)

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

صف وتنسيق وإخراج:

أسامة عبدالرزاق منصور جحاف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد رسول الله وأمينه، واختصنا بالأئمة الأعلام الهداة من ذريته، يقتدى بهديهم، وتؤخذ علومهم متصلة عن أبيهم وجدهم خاتم الأنبياء والمرسلين، اللهم فصلِ وسلم عليه وعلى أهل بيته سفن النجاة والأئمة الهداة ومصابيح الدجى.

وبعد:

لما كانت سير الهداة الدعاة القائمين بالقسط الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمجاهدين في سبيل الله بأقوالهم وأقلامهم ورسائلهم حتى ختموا ذلك بسنانهم وضحوا بدمائهم وأموالهم لرفعة دين الله، وكانوا قدوة، ولأن بعض الأئمة المتأخرين من أهل البيت عليهم السلام لم تكتب لهم سير[1] كالإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وغيره إنما كتبت لهم تراجم[2] لا سير تتحدث عنهم وتذكر تفاصيل أعمالهم وما جرى لهم شمَّرت على ساق مع تباعد

(١) ذكر ذلك السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في كريمة العناصر باستثناء الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام.

(٢) كالنبذة اليسيرة في سيرة الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وأولاده للسيد عبدالله بن الهادي بن الإمام وهي ترجمة مختصرة.

الأزمان وقلة التفاصيل عن تلك السنين فقد كـان يـذكر المؤرخـون مـن سـنة ٧٣٠هـ إلى سنة ٧٤٥هـ أو نحوها أنهم لم يجدوا ما يجب رقمه في تلك السـنين كما في غاية الأماني وغيره، وحتى كتب التراجم لم تستطع ذكر العلـماء والـولاة في تلك العصور لأنها لم تكن قد جمعت فيها وأمثالها مـن الفـترات الزمنيـة أي سيرة ينقلون منها، مما جعلني أبحث في تواريخ كثيرة وفي الدويلات الأخـرى التـي كانـت معاصـــرة للأئمـة وغيرهـا، كـما أني سـعيت بجهـدي لقـراءة المخطوطات للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وبعض ذريته، وجمعت ما رأيـت مـن الفوائد حتى رأيت بعض التكامل فقمت بجمعها ونسقتها آملاً من القارئ أو المطالع أن يوافيني بما يجد وأن يـدخل فيهـا مـا سـهوت عنـه أو لم أهتـد إليـه، وأرجو من الله قبول هذا العمل وأن يجعله صلة لوالدي ومولاي الإمام يحيـى بن حمزة عليه السلام وأولاده السادات وشيعتهم الكرام، وقد بذلت جهداً أرجو بـه من الله الثواب والوصول إلى جنات تجري من تحتها الأنهار.

مدخل

وأنا حين أكتب عن الإمـام يحيـى عليه السلام لا أدري مـن أيـن أبـدأ؟ أو أيـن أنتهي؟ وأين أجول بفكري وخاطري؟ ولكن أبتـدئ هـذه السـيرة كترحيبـة بضيف أريد أن أعطيه حق قدره وعلوه بما أعدُّ له من آداب الضـيافة، والعفـو من الإمام عني كما جاء (العفو عند المقدرة).

الفصل الأول:

التعريف والنشأة للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام

نسبه الشريف

هو إمام الهدى، ونبراس التقى، ومصباح الدجى، الهادي إلى أقوم سنن، ومن له الفضل على مذهب الزيدية والمنن، والدنا أمير المؤمنين الإمام المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد[1] بن إدريس بن جعفر[2] الزكي بن علي

---

(١) أثبت بعض المؤرخين هذا النسب بزيادة أحمد بن إدريس، ولم يثبته العلامة عبدالله بن الهادي رحمه الله في النبذة اليسيرة، والعلامة النسابة أحمد بن يحيى الأعضب في الدر المبثوث، وكذلك لم يثبت في النسب المكتوب على قبة الإمام يحيى، ولا في الطبقات الكبرى، ولا في ضريح أولاده وأحفاده كمحمد بن الإمام يحيى وولده عبدالله، وعلي بن عبدالله بن محمد، والحسين بن علي صاحب القبة والسيد أحمد بن محمد بن الإمام يحيى، و السيد يحيى بن محمد وغيرهم، ولم أجد ضريحاً في مدينة حوث وفيه النسب بتمامه إلا وجدت أن أحمد هذا غير موجود أصلاً لا قديماً ولا حديثاً وكذلك النسب بخط والدنا الثقة صلاح بن محمد، ووالدنا الثقة محمد بن أحمد السراجي، وكذلك في مآثر الأبرار، لا وجود لأحمد بن إدريس، ولا في الترجمان ولا في مشجر العلامة الجلال، وهومن أصح المشجرات، ولا الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام في كتاب ((الجواهر والدرر))، مقدمة البحر الزخار [١/ ٤٤٥] وكذا في نزهة الأنظار ذكر النسب صحيحاً كما ذكرناه، وزبارة في خلاصة المتون، وفي أئمة اليمن [١/ ٢٢٨]، فتقرر أن ((أحمد)) زيادة.

قال والدي العلامة – رحمه الله –: «هو زيادة، لم تكن موجودة في عمود نسب الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، فكن على ثقة من ذلك ويقين».

ومن ذكر "أحمد" هذا في عمود النسب فقد اعتمد على مشجر أبـي علامة.

(٢) كان والدنا السيد العلامة المجتهد جعفر الزكي بن علي التقي المولود سنة ٢٣٠هـ علماً من الأعلام، وحجة من الحجج في الأنام، أخذ العلم عن والده وعن غيره حتى صار عالماً مجتهداً محققاً. وفاته سنة ٢٧١هـ وقبره بسامراء، وقال ابن أبي الرجال: هو جد آل الطيب بصنعاء وجد أهل حوث

التقي[1] بن محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

نسب علا فوق السماك مناره — غطَّت على شمس الضحى أنواره

وتضاحكت أزهار روض كماله — وعلا على أعلا الفخار فخاره

وقال آخر:

أساميا لم تزده معرفة — وإنما لذة ذكرناها

وجماعة بالظاهر. اهـ وقال بعضهم بإمامته كما في الملل والنحل [١/ ٢١] ويقال لعقبه الرضويون كما في فرق الشيعة صـ[٩٥] وذكر صاحب المجدي عن شيخه أبي الحسن أنه كان ينسب إلى جعفر بن علي محاسن كثيرة وله رسالة في فضله. اهـ وله أولاد كثير منهم إدريس والحسن قتل بالعراق وجيء برأسه إلى بغداد أيام المقتدر العباسي وغيرهما، وإدريس ذكره الرازي في الشجرة المباركة وذكر القطقطي في أنساب الطالبيين أن إدريس معقب مكثر. اهـ هذا وجميع آبائنا مترجم لهم في كتب التراجم وهي مستوفاة بفضائلهم صلوات الله عليهم، ولنا رسالة سميناها ((قطف الورود في تراجم للآباء والجدود من آباء الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام)).

(١) وهو المعروف بالهادي.

سبب دخول جدّ الإمام عليه السلام ووالده إلى اليمن

وقد تقرر لي أن وصول جدّ الإمام يحيى عليه السلام ووالده إلى اليمن من العراق[1] هروباً من التتار سنة ٦٥٧هـ، ووفدوا على الإمام يحيى بن محمد السراجي عليه السلام، وفي سنة ٦٦١هـ تقريباً توفي السيد جمال الدين علي بن إبراهيم ودفن بصنعاء –رحمه الله– وكانت مراسيم الخطبة والإتفاق على تزويج الإمام للسيد المولى حمزة عليه السلام قد تمت وانعقد العقد الصحيح بالشريفة الثرياء بنت محمد السراجي –رضوان الله عليها– قبل سنة ٦٦٠هـ، ولم يتم البناء والدخول بها إلا سنة ٦٦٥هـ إلا أن تكون قد أنجبت بنين أو بنات درجوا صغارا، ولعل المولى حمزة لم يتوفَّ إلا في سنة ٦٨٠هـ أو نحوها عن خمسٍ وأربعين سنة تقريباً[2].

مولده عليه السلام

مولده عليه السلام بمدينة صنعاء كما أفاد حفيده العلامة عبدالله بن الهادي في النبذة اليسيرة في ٢٧ من صفر سنة ٦٦٩هـ، وكما في الترجمان وغيره.

---

(١) كان مقرهم ومقر والد الإمام يحيى بن محمد السراجي متقارباً هناك لذلك لما وفدوا عرفهم الإمام يحيى بن محمد السراجي وزوَّجهم.

(٢) كان للسفر والمشقَّة دور كبير في ضعف أجسامهم واخترام أعمارهم ومضيهم إلى الله سبحانه في زمن مبكر، والله أعلم.

وقد قيل: مولده بمدينة حوث كما ذكره الجنداري في الجامع الوجيز وفي رحيق الأزهار، وأكد الجنداري في رسالته غاية القبض أن مولده بصنعاء وهو الصحيح لكنه انتقل إلى مدينة حوث وسكنها، وأخذ فيها عن شيخه محمد بن خليفة الهمداني وغيره، كما سيأتي.

صفته الخَلقية:

كان أبيض اللون، تام الخلق، أقنى الأنف، حديد البصر ينظر السها من حدة نظره، أبلج، عظيم اللحية، كثير شعر الرأس، ربع القامة، كأن وجهه شقة قمر، أحسن خلق الله وجها، وأفصحهم نطقاً...

صفته الخُلقية:

أما أخلاقه عليه السلام فهي الأخلاق النبوية والشمائل العلوية لو صنفت وضبطت لم تحصها الأوراق، وهو جبل العلم الأطول وطراز الفضل الأهول، والغرة في جبين الزمن، فأخلاقه النبوية وحكمته العلوية وشمائله المرضية ذكرها يستدعي إلى مجلد كامل على انفراد.

نشأته عليه السلام

نشأ عليه السلام في أسرة علمية صالحة، وتربى في أحضان السلالة الطاهرة[1]، وأظن والده لم تطل مدته -كما قدمنا- وأنه فارق الحياة وولده الإمام في صباه لذلك لم يكن للمولى حمزة سوى ولدين هما الإمام يحيى والسيد الضرغام الحسين بن حمزة لا غير، وربما كان وقوع الزفاف للمولى حمزة بالشريفة الثرياء سنة ٦٦٥هـ أو قبلها بقليل ثم أنجبا الإمام يحيى سنة ٦٦٩هـ ثم من بعدها بقليل أنجبا الحسين ثم مضت فترة إلى نحو سنة ٦٨٠هـ إلى ٦٨٥هـ تقريباً فارق المولى حمزة هذه الحياة، كما قدمنا.

(١) فأبوه هو السيد الجليل والشاب التقي حمزة بن علي -رضوان الله عليهما- والذي تحمَّل عناء السفر والإنتقال من العراق إلى اليمن مع والده السيد المولى جمال الآل الطاهرين علي بن إبراهيم بن يوسف -رضوان الله عليهم- عند وقوع غزو التتار فكان وصولهما أيام إمامة الإمام يحيى بن محمد السراجي عليه السلام وكان السيد المولى حمزة بن علي شاباً لم يتزوج فلما عرف الإمام عليه السلام علوَّ نسبهم وشرف آبائهم وكرم أخلاقهم وسموّ هممهم زوَّج الإمام عليه السلام المولى حمزة بن علي -رضي الله عنه- بأخته الشريفة الحسيبة الطاهرة الفاضلة الثريا بنت محمد السراجي -رضوان الله عليها- أو لتجاورهم في بلاد العراق فأنجبت له الإمام علم الأعلام ونبراس أهل الإسلام يحيى بن حمزة، والسيد الضرغام شرف الآل الحسين بن حمزة، وتوفي المولى حمزة بصنعاء في أواخر القرن السابع الهجري -رحمة الله عليهم جميعاً- وأما الوالد جمال العترة علي بن إبراهيم فكان قد انهكه عناء السفر ومع الكبر فلم يستقر إلا سنوات قليلة ثم توفي ودفن بصنعاء رحمة الله عليه، راجع كتاب السلوك للجندي، وكتابنا (روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث).

وكان الإمام يحيى في طفولته يعيش مع أمه وأخيه ومع أخواله، وتعلم القرآن الكريم، واختص بملازمة خاله الإمام يحيى بن محمد السراجي وتعلَّق قلبه بالعلماء والصالحين في صنعاء فأحبوه وشغفوا به وتفرسوا في كمال هذا الولد الناشئ، وقد أشار الإمام يحيى بإختصاص الله تعالى له بهذه المزية حيث قال في الرسالة الكاشفة للغمة: **ما كان من لطف الله -تعالى- ورعايته في أيام التربية وزمن الطفولة، وذلك أني ربيت في حجور الصالحين، ودرجت في أكناف أهل التقوى واليقين، فما أحد من أهل التقوى والصلاح وأهل الورع والزهد إلا وله فيَّ عناية، ولنا ولوع به، ومنَّة بعطف علينا، وذلك من نعم الله -تعالى- وحسن رعايته، ولطف رحمته، وخالص هدايته.**[1] اهـ

وقد قرأ على عدة مشائخ في مدينة صنعاء ثم في مدينة حوث أيام صغره وقد ذكرها الإمام عليه السلام على سبيل الجملة فقال:

وأما الكتب المقروءة في حال الشبيبة من علم الدين فالخلاصة، والواسطة، وشرح الأصول، والتذكرة لابن متوّيه، والكيفية في أحكام الصفات للشيخ الحسن الرصاص والمحيط لابن متوّيه، والمعتمد للشيخ محمود الملاحمي، والنهاية لابن الخطيب الرازي، وكتاب الأربعين لابن الخطيب أيضاً، والبحث للشيخ أبي القاسم البستي، والتهافت على الفلاسفة للغزالي، والمقصد الأسنى

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٢٣٥].

في شـرح أسماء الله الحسنى للغزالي، والمستظهري في الرد على الباطنية للغـزالي أيضاً، هذه جملة الكتب المقروءة في علم الدين على شيوخه.

وأما المقروءة في علم العربية فالمقدمـة لطـاهر وشـرحها، وشـرح الجمـل للشيخ طاهر أيضاً، والمفصل للزمخشـري، وشـرح مقدمة ابن الحاجب، فهـذه الكتب المقروءة في علم الإعراب أيضاً، وشـرح ابن الحاجب للمفصـل أيضـاً قراءة، والتخمير مطالعة، والغرة في شـرح الدرة لابن الحاجب، وكتـاب ابـن مالك مطالعة.

وأما الكتب البيانية فمنها: كتاب «البيان» لابن زملكا، وكتاب «النهاية» لابن الخطيب، وكتاب «المفتاح» للشيخ أبي يعقوب السكاكي.

وأما الكتب الفقهية فمنها: «اللمع» و«شـرح التحريـر» بعضـه قـراءة عـلى الشيخ ابن عطية[1]، والبعض مطالعة، من كتبنا، وكتب الفقهـاء كـ«الـوجيز» و«البسيط» و«الوسيط» للغزالي، وكتاب «البيان» للشيخ العالم يحيى بـن [أبي] الخير مطالعة.

ومن كتب الأخبار النبوية: فكتـاب السـنن لأبي داود سـماعاً مـن شـيوخه،

(١) الشيخ ابن عطيه، لعله علي بن أحمد بن عطيه النجراني والد إبراهيم، والله أعلم، وهو يروي عن الإمام محمد بن المطهر عليه السلام، وحفيده العلامة علي بن إبراهيم بن علي بـن عطيـة تلميـذ الإمـام يحيى عليه السلام.

وكتاب الفائق لابن غانم البستي، وكتاب سيرة ابن هشام مسموعة على والدنا حي السيد الإمام العالم يحيى بن محمد السراجي[1]، من طريق ابن حنكاش، وهي حاصلة لنا من طريق أصحابنا[2] الزيدية شعلة وغيره، والتيسير للسيد أبي طالب، وأمالي أحمد بن عيسى، ونهج البلاغة سماعاً من طريق السيد الواصل من الري المرتضى بن شراهنك، وكتاب الشهاب مسموعاً على مشائخه، والأربعون السيلقية مسموعة على شيوخها، وغير ذلك من كتب لطافٍ في اللغة كالمقامات، والدريدية، والسموط، وغيرها.[3] اهـ

---

(١) هو السيد الإمام، عماد الإسلام، وحافظ علوم العترة الكرام، يحيى بن محمد بن أحمد السراجي الحسني، كان إماماً كبيراً، أجابه أعلام العترة، وفضلاء الشيعة، لما قام بالدعوة، ولبس أثواب الإمامة والزعامة سنة ٦٥٦هـ وظل إماماً يقيم العدل ويحكم بالحق حتى خانه بنو فاهم بِحَضور، فسلموه إلى عدوه، فكحل عينيه، وجازى الله الخائن بالجذام وذريته، والهلاك في الدنيا، والخلود في النار يوم القيامة، وقد اشتغل الإمام عليه السلام بعد هذه الحادثة بالتدريس، إذ كان يحفظ ستين ألف حديث، وتوفي عليه السلام سنة ٦٩٦هـ، وقبره بمسجد الوشلي بصنعاء، وهو خال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام أخو أمه الشريفة الطاهرة الفاضلة الثرياء بنت محمد رحمهم الله جميعاً.

(٢) يروي الإمام يحيى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً عن شيخه العلامة أحمد بن علي بن عمران الشتوي عن حسن بن علي بن أحمد المحلي عن قاسم الشاكري عن الإمام المهدي أحمد بن الحسين عن أحمد بن محمد شعله الأكوع عن عمران بن الحسن، وسيأتي ذكر سند الإمام عليه السلام إلى أحمد بن محمد الأكوع الملقب شعلة، وشعلة عن السيد المرتضى بن شراهنك وعن أحمد بن أحمد البيهقي عن المرتضى بن شراهنك.

(٣) مجموع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام [٦٣٤-٦٣٥].

قال في الطبقات الكبرى [٣/ ١٢٢٥-١٢٢٦] ناقلاً كلام الإمام يحيى عليه السلام: الكتب الحاصلة لي سماعاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إما بقراءة الشيخ، وإما بقراءتي لها أولها (سنن أبي داود) بقراءة شيخي القاضي عفيف الدين سليمان بن أحمد الألهاني[١] بقرائته على شيخه الفقيه العالم شهاب الدين أحمد بن أبي الخير المحدث الشماخي[٢]، بإسناد له إلى مؤلفها، وثانيها كتاب (السيرة لابن هشام) بقراءتي على شيخي كما هو يرويه عن حي والدنا عماد الدين يحيى بن محمد السراجي، من طريق ابن حنكاش، وثالثها (الفائق في الحديث) أيضاً على الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوري[٣]، عن حي الفقيه السرددي، ورابعها كتاب (شمس الأخبار) بقراءتي أيضاً من طريق الشيخ أحمد بن محمد شعلة[٤]، وخامسها: (أمالي الإمام أبي طالب) يحيى بن الحسين بقراءتي أيضاً على شيخي، كما هو يرويه عن السيد

---

(١) كان عالماً محدثاً من مشائخه الإمام يحيى بن محمد السراجي والشيخ أحمد بن أبي الخير وعامر بن زيد العباسي العلوي، أخذ عنه الإمام يحيى عليه السلام قراءة وإجازة، ذكره في الطبقات الكبرى.

(٢) السعدي الحضرمي، توفي سنة ٧٢٩هـ، وسند سنن أبي داود في الطبقات [٣/ ١٣٥٢].

(٣) أحمد الشاوري شيخه الفقيه السرددي ذكره الإمام يحيى عليه السلام في مشيخته، ترجمته في طبقات الزيدية الكبرى، وإجازات الأئمة.

(٤) قد روى الإمام يحيى عن شيخه محمد الأصبهاني وشيخه عفيف الدين الألهاني وهما عن السيد عامر بن زيد الشماح العباسي عن الشيخ أحمد بن محمد الأكوع الملقب شعلة.

عامر بن زيد العباسي[1] العلوي، وسادسها: (أصول الأحكام) للإمام أحمد بن سليمان بلغنا روايته من طريق[2] الإمام المطهر بن يحيى[3]، وكذلك كتاب (نهج البلاغة)، كما بلغنا روايته بقراءة شيخي[4] له يبلغ به إلى السيد المرتضى بن شراهنك المرعشي الواصل من الري، هذه مسموعاتي، وكذلك الكتب الحاصلة لي بطريق الإجازة ممن سمعها وحصلها قراءة وسماعاً على مشائخها :

أولها (كتاب البخاري)، وثانيها (كتاب الترمذي)، وثالثها (كتاب مسلم)، ورابعها (كتاب السنن للنسائي)، وخامسها (مسند أبي حاتم في الحديث) محمد بن حبان البستي، وسادسها كتاب (النجم والكوكب) في الحديث للشيخ المحدث أحمد بن معد بن عيسى الاقليسي النجبي المصنف، وسابعها (شرح السنة) للشيخ المحدث البغوي، وثامنها كتاب (الناسخ والمنسوخ)

---

(١) عامر بن زيد العباسي العلوي سيد فاضل عالم أخذ عن العلامة شعلة الأكوع وعنه العلامة محمد الأصبهاني وسليمان الألهاني، وغيرهما.

(٢) كما أن الإمام يحيى عليه السلام يروي عن شيخه العلامة محمد بن خليفة الهمداني عن السيد الإمام محمد بن وهاس عن الشيخ محيي الدين القرشي عن القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام وعن شيخي آل الرسول شمس الدين وبدر الدين وثلاثتهم عن الإمام أحمد بن سليمان بأسانيدهم المعروفة.

(٣) قيل: إن الإمام يحيى سمعه من الإمام المطهر بن يحيى في تنعم ولعل الإمام يحيى عليه السلام هنا قصد روايته عن الإمام محمد بن المطهر عن أبيه والله أعلم.

(٤) يعني عن شيخه عفيف الدين الألهاني عن عامر بن زيد عن أحمد بن محمد شعلة عن المرتضى بن شراهنك.

لأبي بكر محمد بن موسى الحارثي، وتاسعها كتاب (الوسيط في تفسير القرآن) للشيخ العالم أبي الحسن الواحدي، فهذه الكتب كلها أجازها لي الفقيه العالم، فقيه مكة ، وإمام مقامها، رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري[1]، والقاضي العالم نجم الدين محمد بن محمد الطبري[2] أجازا لي ذلك، والإجازة طريق مقبولة في رواية الحديث ذلك متفق عليها بين الأصوليين وأئمة الحديث وهي مسوغة للرواية والعمل باتفاق.

وعاشرها كتاب (شمس العلوم) في اللغة أجازه لي القاضي أحمد بن عبدالله المعروف بابن الواطي[3] كما يرويه عن شيوخه متصلاً بالمصنف نشوان الحميري.

وحادي عشرها: كتاب (التهذيب للحاكم) في التفسير أجازه لي القاضي

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري، عالم فقيه بقية المحدثين، صاحب فقه ودين، إمام مقام نبي الله إبراهيم صلوات الله عليه لبضع وخمسين سنة، روى عن محب الدين الطبري وأجازه السخاوي وابن عساكر الشافعي والتبريزي ولا يحصى من سمع منه وسمع عليه، وفي الطبقات ذكر روايته وأسانيده إلى المؤلفات التي أجازها، توفي سنة ٧٢٢هـ. انظر طبقات الزيدية الكبرى [٣/ ١٣١٤-١٣١٩]

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الطبري [٦٥٨-٧٣٠هـ] نجم الدين كان فقيهاً شاعراً تولى القضاء بمكة وتوفي بها وأسانيده المتصلة في طبقات الزيدية الكبرى[٣/ ١٦٤٠-١٦٤١].

ولعل الإمام استجاز منه ومن الشيخ إبراهيم بن محمد الطبري حين قصد الحج إلى بيت الله الحرام.

(٣) عالم حافظ وقد أثنى عليه الإمام يحيى عليه السلام وأخذ عنه قراءة وإجازة، ترجم له في طبقات الزيدية الكبرى.

شهاب الدين أحمد بن عبدالله الواطي كما هو يرويه عن شيوخه متصلاً بالمصنف أبي سعيد المحسن بن كرامة ، وكتاب (المهذب في الفقه) للشيخ العالم أبي إسحاق الشيرازي أجازه لي حي الفقيه الصالح حمزة[1] بن علي كما هو يرويه بطريق السماع يبلغ به المؤلف. اهـ

هذا وقد كان يفوق أقرانه في الفهم والحفظ وهذا زميله في الدراسة يشهد له بذلك وهو السيد إدريس بن علي بن عبدالله الحمزي حيث قال في كتابه ((كنز الأخبار)) عند ذكره للإمام يحيى: وكنت وإياه ندرس في علم الكلام على الفقيه محمد بن خليفة فإذا فرغنا من إعادة ما درسنا اشتغلنا نعيد (المفصل) فكان يعيده كما يعيد غيره الختمة.[2] اهـ

قيل: كان يعيد دروسه غيباً في المسجد وهو قائم يمشي ولا يخطئ في حرف واحد، فهذه الحافظة القوية والفهم كانت من العوامل المساعدة التي منحها الله تعالى للإمام، والأعجب من ذلك أنه ما حفظ شيئاً ثم نسيه، وكان يحفظ نحو ثلاثين ألف حديث، وقيل: أربعين ألفاً، وكان إذا ابتدأ قراءة سورة من القرآن قرأها إلى أخرها سواء كانت طويلة أم قصيرة،[3] ويلاحظ ذلك في

---

(١) هو حمزة بن علي الفقيه شيخ فاضل صالح ذكره الإمام يحيى عليه السلام في مشيخته. طبقات الزيدية الكبرى.

(٢) ((روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث)) مطبوع.

(٣) الترجمان –خ–، تتمة الإفادة، وغيرهما.

كتبه ومؤلفاته...

وبهذا نشأ الإمام عليه السلام مشغوفاً بالعلوم وإحرازها بعيداً عن الدنيا ولذاتها، واشتغل الإمام يحيى عليه السلام بالكتب التي تغذي الروح وتطهر القلوب عن درن الأوزار والذنوب، وقد وقعت له قصة أيام طلبه أدت إلى زواجته فإن صحت فهي تؤيد سلامة دينه وعظيم قدره، وكما أنها إن صحت فهي بابنة خليفة لا بغيرها[1].

ومع صفاء قلبه وحسن سيرته وطهارة سريرته عليه السلام كانت نفسه العالية لا تميل إلى الظالمين ولا ترغب في مخالطة أهل السوء والفسق وتعلن بكل صراحة عداوة الطغاة المجرمين فما هي نفسه الشريفة تتوق إلى جهادهم، ففي سنة ٦٨٩هـ شارك بنفسه مع الإمام المظلل بالغمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى عليه السلام في معركة تنعم في جبل اللوز –من بلاد خولان العالية– وهو في عشرين سنة، ومع همته العالية في طلب العلم فقد أخذ عن الإمام المطهرعليه السلام وقرأ عليه أصول الأحكام كاملاً للإمام أحمد بن سليمان، قيل وأخذ عنه شفاء الأوام أو سمع فيه، والإمام المطهر يرويه عن المؤلف الأمير الحسين بن بدر الدين رحمة الله عليهم جميعاً[2]...

---

(١) انظر القصة في طرائف المشتاقين، وسيأتي.

(٢) وقد رواه أحمد بن علي مرغم عن علي بن إبراهيم بن عطيه عن الإمام يحيى بن حمزة عن الإمام المطهر بن يحيى عن الأمير الحسين، وبطريقة أخرى روى الفقيه يوسف عن الفقيه حسن

ولما رأى الإمام المطهر عليه السلام ذلك من الإمام يحيى عليه السلام أثنى عليه بقوله: في هذا الولد ثلاث آيات: علمه وخطه وخلقه...

وبعد عودته من المشاركة في الحرب مع الإمام المطهر بن يحيى عليه السلام تزوج بأول أمرأة وهي أم البركات بنت شيخه محمد بن خليفة، وقد وقع لذلك الزواج كما قيل قصة وهو أنها هربت ليلاً من السفهاء والأنذال، وكانت التي أخرجتها هي امرأة قد وثق أبوها وأمها فيها وفي صحبتها فأذنوا أن تخرج مع تلك المرأة لمشاهدة العرس الواقع في المدينة، ولكنها تركتها وتخلت عنها وأرادت أن تكون تلك المرأة العفيفة عرضة للسفهاء فهربت في الليل وقد أضاعت الطريق ولم تدر في أي مكان هي، فرأت منزلة في المسجد فدخلت عليه وهو يراجع دروسه ويقرأ كتبه واستنجدت به فرأى فيها من الجمال وحسن الخلق ما رأى، وكان كلما حدثه الشيطان بها وضع إصبعه على النار حتى أحرق أصابعه كلها وهي تراه لكنها تتظاهر أنها نائمة فلما أقبل الفجر خرجت من عنده وأخبرت أباها وأمها بما جرى، فجمع والدها المهاجرين من طلاب العلم وأضافهم وكان يغسل أيديهم بنفسه حتى كان أخرهم الإمام

النحوي عن الإمام يحيى عن الإمام المطهر بن يحيى عن الأمير الحسين بن بدر الدين، انظر السند في ((النور الأسنى)) لشيخنا وشيخ الزيدية العلامة الزاهد حمود بن عباس المؤيد رحمه الله، وفي ((الجامعة المهمة)) لمولانا الإمام مجدالدين المؤيدي عليه السلام ذكر رواية مرغم عن ابن عطيه عن الإمام يحيى عن الإمام المطهر بن يحيى عن الأمير الحسين بن بدر الدين.

يحيى عليه السلام ورأى الحريق في أصابعه فأكلوا وانصرفوا وأراد الإمام يحيى الإنصراف فمسكه بيده وطلب منه الإنتظار وألزمه أن يخبره بما حدث له وبعد محاولة شديدة أخبره، فقال الشيخ: البنت بنتي ولهذا المعروف فإني مزوج لك بها وعقد له بها وأشهد الناس على ذلك.[1]

هكذا تم لنا السماع عن بعض المشائخ وكبار السن ولا أدري ما صحتها وإنما كما سمعنا وليتذكر أولوا الألباب، ولعل هذا الزواج وقع سنة ٦٩٠هـ وعاشا معاً لكن وقعت وفاة شيخه وعمه العلامة المجتهد محمد بن خليفة رحمه الله بحوث سنة ٦٩٥هـ فنزل الحزن وخيّم، ثم وقع نزول الحمام بعد عام بصنعاء بوفاة خاله ومربيه وشيخه الإمام يحيى بن محمد السراجي سنة ٦٩٦هـ، وتم دفنه بصنعاء.

وكان أول بكره البنات ولعل أولهن السيدة تاجة الكمال والشرف.

وكان أول ولد ذكر وُلِدَ له هو السيد عبدالله لعل ذلك سنة ٧٠٠هـ تقريبا، ثم أنجبت له السيد محمد، ورزق بعد ذلك منها الحسين وأحمد مع بعض البنات أيضاً.

---

(١) أما ما يروى أنها في صنعاء فإن ذلك لا يصح ولم يكن أبوها حاكماً بصنعاء، بل كان بحوث عالماً ومدرساً وكل المؤرخين يذكرون أن ابنة الشيخ محمد بن خليفة هي أول زوجات الإمام يحيى عليه السلام ... إلخ ما ذكروه فما في طرائف المشتاقين غير صحيح أصلاً إلا أن تكون في غير الإمام يحيى عليه السلام.

وأظن الإمام يحيى عليه السلام كان قد تزوج بابنة المهدي بن قاسم من أشراف ذيبين، وأنجبت له ولده إدريس ويعتبر الولد الثالث من الذكور لم يسبقه إلا عبدالله ومحمد، وأظن زوجته أم البركات فارقت الحياة بعد ولادة ابنها أحمد[1] المولود سنة ٧٢٨هـ بقليل ولذلك كان الإمام يحيى عليه السلام متعلقاً به وكان يصحبه معه في صباه على صغر سنه،،

وقد تزوج الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام بالسيدة الشريفة الطاهرة بدرة بنت المنصور محمد بن الهادي بن تاج الدين[2] وأنجبت له ولداً عظيماً السيد الهادي المولود سنة٧٣٥هـ ولكن الإمام يحيى عليه السلام فارقها لعل ذلك سنة٧٤٠هـ تقريباً وندم على ذلك ندامة الكسعي لأنه كان مولعاً بها ولعاً عظيماً وكان قد طلقها ثلاثاً لم يتخللها رجعة وكان رأيه وقوع الطلاق وأن الثلاث الطلقات بلفظ واحد ثلاث، فراجعه بعض العلماء أن يرجع إلى قول الإمام الهادي ومن وافقه وأنها طلقة واحدة وأن أهل اليمن على مذهبه، ومع شدة حب الإمام يحيى عليه السلام للشريفة بدرة وتوقه إليها رفض ذلك وقال: **إنه لا يسعني العمل بغير اجتهادي**.

---

(١) سيأتي ذكر وفاته إن شاء الله.

(٢) محمد بن الهادي بن تاج الدين ولد سنة ٦٥١هـ وتوفي سنة ٧٢٠هـ وهو مؤلف الروضة والغدير ومتمم كتاب المقنع للإمام يحيى بن المحسن عليه السلام.

قال في البستان: ولله در العلماء العاملين بما علموا. اهـ[1]

وقد تزوج بعد ذلك بالشريفة الطاهرة مارية بنت زيد السراجي وأنجبت له ولده السيد المهدي سنة ٧٤٣هـ، وتزوج بامرأة من بيت الحمزي.

وقد ذكر أهل التاريخ أنه تزوج تسعاً من النساء أولهن أم البركات بنت الشيخ محمد بن خليفة ثم بثمان من الفاطميات.

وقد زوج بناته كلهن في حياته، ومنهم الإمام المهدي علي بن محمد تزوج بالشريفة عاتكة بنت الإمام يحيى عليه السلام، وأنجبت له بنتاً وهي الشريفة الشهيرة صاحبة الرئاسة والدين والتقوى والعفاف فاطمة بنت الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام وقد أثنى عليها أخوها الإمام الناصر صلاح الدين عليه السلام بالعلم والفضل والزهد والورع والسيد الهادي بن إبراهيم وغيرهما، وقد توفيت سنة ٧٩١هـ وقد دفنت في القبة الغربية من قبة الإمام الهادي عليه السلام بصعدة بجوار أبيها واشتهرت القبة باسم قبة الشريفة رحمها الله تعالى.

وزوج المهدي بن قاسم بالشريفة دنيا وأنجبت له ولدها المؤرخ يحيى بن المهدي مؤلف كتاب ((صلة الإخوان)).

وزوج السيد الشهيد محمد بن أبي القاسم أيضاً بإحدى بناته -لعلها

---

(١) وقد نقلها في حواشي شرح الأزهار.

الشريفة الطاهرة فاطمة[١] بنت الإمام يحيى، ومن أولاده ولده السيد العلامة الكبير علي بن محمد بن أبي القاسم الذي رد عليه تلميذه محمد بن إبراهيم الوزير بكتاب ((العواصم والقواصم)) وله عجيبة سنذكرها إن شاء الله تعالى.

وقد زوّج الإمام يحيى عليه السلام ابنته الشريفة تاجة بالسيد العلامة الهادي[٢] بن السيد يحيى بن الحسين (صاحب الياقوتة) وأنجبت له يحيى وصلاحاً، قال السيد العلامة صلاح بن الجلال: وأمهم الشريفة الطاهرة المقدسة الفاضلة تاج الشرف بنت الإمام المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة ثم ساق نسب الإمام يحيى عليه السلام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وزوَّج الإمام يحيى من أولاده في حياته عبدالله ومحمداً وإدريس والحسين وأحمد، وتأخر زواج ولديه الهادي والمهدي لصغرهما، بل منَّ الله على الإمام يحيى عليه السلام بأن رزق بعض الأحفاد في حياته كأولاد السيد عبدالله وابنه السيد محمد وعلى التحقيق فقد ولد حفيده السيد الإمام عبدالله بن محمد سنة ٧٤٣هـ، وغيره من الأحفاد وكلاً هدينا واجتبينا.

---

(١) هي الشريفة الطاهرة فاطمة بنت الإمام يحيى بن حمزة قبرها بمدينة حوث لعل وفاتها سنة ٧٧٠هـ.

(٢) عالم كبير مشهور مولده سنة٧٠٧هـ وتوفي سنة ٧٨٤هـ.

(٣) مشجر الجلال –خ–.

مشائخه عليه السلام

عُدنا: هذا وقد أخذ الإمام عليه السلام العلوم بمدينة صنعاء، ثم رحل إلى مدينة حوث فأخذ بها في الأصولين، واللغة، والحديث والفقه، وسائر العلوم من كتب الأئمة وشيعتهم، ثم في كتب غيرهم.

هذا وللفائدة نذكر بعض مشائخه عليه السلام فمنهم:

الإمام الشهير يحيى بن محمد السراجي –وهو خال الإمام يحيى– والإمام المطهر بن يحيى، وولده الإمام محمد بن المطهر، والشيخ العلامة المجتهد محمد بن خليفة قرأ عليه بمدينة حوث، والعلامة علي بن سليمان البصير، والعلامة محمد بن الحسين الأصبهاني قرأ عليه بحوث، والعلامة عامر بن زيد السماح وابن عطية، والفقيه حمزة بن علي الفقيه[1] وهو ممن أجازه، والعلامة أحمد بن عبدالله المعروف بابن الواطي، والشيخ سليمان بن أحمد الألهاني، والسيد العلامة محمد وهاس[2]، وأجازه إبراهيم بن محمد الطبري الشافعي، ومحمد بن محمد الطبري، وأحمد بن محمد الشاوري، والشيخ العلامة أحمد بن علي بن عمران الشتوي –أحد علماء مدينة حوث– وغيرهم.

---

(١) وهذا الفقيه العالم لا أستبعد أنه من علماء مدينة حوث والمصادر شحيحة بذكر ذلك وقد ذكره الإمام يحيى في مشيخته وله منه إجازة.

(٢) السيد العلامة محمد بن وهاس بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن قاسم بن حمزة بن أبي هاشم... القاسمي، الحمزي، مولده ٦٢٠هـ ووفاته في عشر الثمانين وستمائة تقريباً. اهـ من الطبقات الكبرى بتصرف

قال صاحب الطبقات الكبـرى: رحل إلى حوث فقرأ فيها أكثر العلوم، كعلـم الكلام وغيـره على شيخه العلامة محمد بن خليفة، ثـم أخـذ في كتـب الأئمـة وشيعتهم على شيخه علي بن سليمان البصيـر، وأخذ فيها أيضـاً عـلى العلامـة محمد الأصبهاني. اهـ باختصار.

ذكر زبارة زيادة من مشائخه: محمد بن عـلي المكـري وأحمـد بـن أبي الخـير الشماحي[1]، والصحيح أنه شيخ شيخه.

تلامذته عليه السلام

ومن تلامذته بحوث: العلامة المطهر بن تـريك.

قال صاحب الطبقات الكبـرى: وكانت قراءته في العربية بحوث عـلى الإمـام يحيى بن حمزة. اهـ

قلت: وقرأ عليه مقدمة الكشاف بحوث أيضاً، وقد وجدت ذلك في بعـض النسخ بجامع الشجرة بحوث.

وقد أفاد صاحب الطبقات الكـبرى عن كثيـر من الطلاب الذين أخـذوا عن الإمام يحيى بن حمزةعليه السلام في مدينة حوث.

وممن أخذ عنه: الفقيه حسن بن محمد النحوي، وسـمع (الانتصـار) كلـه

---

(١) خلاصة المتون [٢/ ١٤].

على الإمام عليه السلام وأجازه[1] وأجاز ولديه عبدالله وإدريس والفقيه أحمد بن سليمان الأوزري[2] وعلي وإسماعيل ابني عطية[3] وأجازهم، والسيد محمد بن المرتضى بن المفضل في المنقول والمعقول، وأحمد بن حميد بن سعيد الحارثي، وأحمد بن محمد الشغدري، وعلي بن إبراهيم النجراني في كتب الأئمة وشيعتهم، وأجازه الإمام في كتابه (الانتصار) والحسن بن نسر الأهنومي سمع (القسطاس) على الإمام يحيى وأجازه في شهر رمضان سنة ٧٢٧هـ، وكذا من تلامذته أولاده سيما عبدالله ومحمد وإدريس وأحمد، والعلامة محمد بن يوسف وله رسالة في الرد على المجبرة وقد مدح فيها الإمام يحيى وأثنى عليه، وغيرهم جمٌّ غفير.

وبهذه العجالة لأسماء بعض مشائخ الإمام يحيى عليه السلام وتلامذته، تعرف اشتغاله بالتدريس مع النساخة للكتب أيضاً، وقد رأيت بخطه جزءاً من تفسير الزمخشري المعروف بالكشاف من سورة الأعراف إلى سورة الكهف في مكتبة جامع الشجرة بحوث وقد أتمه عليه السلام سنة ٧٢٦هـ.

فنسخ ودرس ودع عنك التأليف، فكيف جمع هذا السيد الإمام عليه السلام بين هذا كله؟! إنها منحة الله وفضله الذي يؤتيه من يشاء.

---

(١) قال السيد محمد بن يحيى القاسمي: أخبرني الثقة أنه أجاز الإنتصار لجميع المسلمين. اهـ من الطبقات الكبرى

(٢) وأجازه الإمام يحيى سنة ٧٢٥هـ.

(٣) هما علي بن إبراهيم بن عطية، وإسماعيل بن إبراهيم بن عطية -رحمهما الله-.

أقوال العلماء فيه

لقد أثنى عليه الأئمة والعلماء ثناءاً حسناً، لأنهم وجدوه لذلك أهلاً ومحلاً، فهو القمة الشامخة في أهل عصره والغرة الشادخة في جبين دهره بل ودهر من بعده، وذروة سنام الفكر الزيدي، والعلم الشهير بعلمه الغزير، وتحلى عليه السلام بالإنصاف، والحمل على السلامة في جميع الأمور، وحرر بقلمه الأفكار، وفتح لذوي الألباب بعلومه الأبصار.

لو عمره عد والتأليف منه أتى
بكل يوم كما قالوا بكراس

والخلاصة أن الإجماع انعقد على فضله.

قال الإمام المجتهد مجد الدين بن محمد المؤيدي في التحف[1]: هذا الإمام من منن الله على أرض اليمن، وأنواره المضيئة في جبين الزمن، نفع الله بعلومه الأئمة، وأفاض من بركاته على هذه الأمة، وله الكرامات الباهرة، والدلالات الظاهرة. اهـ

وأثنى عليه الإمام الهادي علي بن المؤيد عليه السلام ثناء عظيماً ومنه قوله: طمى بغرائب العلم ومكنونه زخاره، وتلاطمت بكشف غوامض أسراره بحاره، كان يدعى آية في زمانه، فهو حري بأن يكون أمة وحده.

(١) ص (٢٧٠).

قال الإمام المطهر: في هذا الولد ثلاث آيات: علمه، وخطه، وخلقه.

قلت: وهـذا الكـلام عـن الإمـام المطهـر ذكـره في الطبقـات والزحيـف والتـرجمان وغيـرها.

ويكفي ثناء الأئمة السابقين عليه والمتأخرين كالإمام عزالدين بـن الحسـن عليه السلام وما كان يطلق عليه إلا الإمام عماد الـدين والإسـلام أو الإمـام المؤيـد برب العزة، وقال : لا شك أن الإمام يحيى من أبلـغ الأئمـة وأكثـرهم تورعـاً ومحافظة على الوفاء. ا هـ؛ وقد صدق عليه السلام فما نقض الإمام عليه السلام عهداً أبـداً وكان من أوفى الناس بها في الذمة، ومن أكثرهم ورعاً وتقوى.

وأطلق عليه السيد صارم الدين في الفصـول كلمـة ((الإمـام)) فـأين مـا وردت في كتابه فالمراد به الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام.

قال حفيده السيد العلامة عبدالله بن الهادي بـن الإمـام يحيـى في النبـذة اليسيرة: نشأ عليه السلام نشأة طاهرة وسار على طريقة آبائه سيرة ظـاهرة، مُشـمِّراً على ساق الجد والإجتهاد في اقتفاء سيرة الآباء والأجداد، وجدَّ في جمع خصال الفضل وتحصيلها، وكسب مجمل العلوم النافعة وتفصيلها، لم يـزل مُكبَّـاً عـلى درس العلوم، مُنفقاً أيامه وأوقاته وساعاته في طاعة الحي القيوم حتى بـرز في كـل فن على أقرانه وأشكاله، وأربى في كل علم من العلوم على أضرابه وأمثاله، وبلـغ مبلغاً محله لا يخفى ونوره لا يطفى، وصنَّف في جميع العلـوم التصـانيف العجيبـة والتواليف المفيدة الغريبة التي أزرت بكل تصنيف وفاقت كل مجموع وتأليف.

بلغ عليه السلام ما لم يبلغ إليه من تقدَّم من آبائه الأُباة، واستولى على ما لم يستول عليه أحدٌ من الأئمة الهداة، وهذا شيء لا يفتقر إلى بيان ويكفيك عن الخبر العيان فإن نظرت إلى علمه وفضله ورجاحته وحلمه وورعه وزهده وكرمه وجدت مجالاً لكل صفة من هذه الصفات أوسع من الدهناء، وألذ من الماء البارد في فم العطشان وأهنى.

كان عالماً أحوذياً، وجواداً سخياً، وورعاً تقياً، وحليماً زكياً، وقطباً ذكياً، أوصافه الشريفة تستغرق الآماد، وتستنطق الجماد، وما أصف من رجل هو العالم في واحد، أجمع على فضله الأقارب والأباعد، ولا أقول كما قال الزمخشري: إنتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد، وترقَّى إلى أن عُدَّ ألف بواحد، بل كان ذلك الشخص الكريم والفذ العظيم بأهل زمانه معدوداً وبعين الوجود إنساناً موجوداً.

وما أصف من رجل شرَّف الله به الوجود وخلقه من طينة الجود؟ إن كتب بذَّ[(١)] الكُتَّاب المهرة بجودة كتابته، وإن خطب أسكت الخطباء المسالقة بجزالة خطاباته، فلو عاش إلى زمنه عبدالحميد[(٢)] لأخذ من نفاضة ألفاظه، ولو أدركه قس بن ساعدة لاتَّهب من كلامه ما يقوم به في سوق عكاظه، وإن فسّـَر القرآن

---

(١) بَذَّ: أي غلب. تمت.

(٢) لعله الكاتب المشهور أبو غالب عبدالحميد بن يحيى الملقب بالكاتب توفي سنة ١٣٢هـ، مولى العلاء بن وهب القرشي، من أعلام الكتاب في القرن الثاني للهجرة، فارسي الأصل. نشأ في الأنبار أو الشام على خلاف بين المؤرخين. عمل كاتباً لمروان بن محمد.

رشف المفسرون وراءه في الحديد، وإن أخذ في الفقه والكلام والحديث فما المتقدمون إلا الغُثاء وهو السيل المديد والبحر الذي لا يُساجل، والجمُّ الذي لا يُحافل، وإن أقبل على صلاته وتسبيحه وصيامه وسائر أذكاره في حضره وأسفاره، في ليله ونهاره قلت عابد لا حظَّ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت وانقطع في سفح جبل، لطالما خضَّب خدوده بدموعه، وسُمع من جوفه كأزير المرجل من خضوعه وخشوعه، أحسن الناس وجهاً وأشرفهم خُلقاً وأفصحهم نطقاً وأصبحهم خَلقاً.

كأن وجهه عُوذة من الحدثان، ورؤيته شفاء من الأحزان، وكلامه نوراً في الأذهان وطيباً للآذان، حسُنت به الدنيا وهو يكرهها، وتمَّت به أمور الآخرة وهو يوجهها، فصلحت به أحوال الدنيا وهو نعيمها، وكمُلت به أمور الآخرة وهو زعيمها.

كان إذا رآه الإنسان استصغر في الناس ما يرى وإذا تأمله المتأمل نبذ الورى إلى وراء، واعتقادي أنه عليه السلام من أعظم ما تفتخر به العترة النبوية بل الفرقة الزيدية، أهل الملة المحمدية، برز على علماء الأمصار، وانتصر بتصنيف الإنتصار، وكان قرة للأبصار ودُرة للتقصار، فهو من المتأخرين وجوداً، ومن السابقين الأولين علماً ممدوداً وفضلاً مشهوراً، حاز العلوم كلها وأحرز فروعها وأصولها، وبلغت تصانيفه إلى مائة مجلد ولم يبلغ إلى هذه الغاية من أهل البيت أحد، ولا يُعد هذا الأمد في علم البشر من أمد. اهـ

قال في صلة الإخوان: هو الإمام الصوّام، القوّام، العابد، الزاهد، ذكر العلماء أن ما أحد مثله في العلم[1] والزهد من علي عليه السلام إليه.

صنّف في العلوم خمسة وتسعين مجلداً في كل فن، وذلك ظاهر لا يخفى، ونور لا يطفى، صنف في علم المعاملة.

وساق الكلام في ذكر بعض كتبه إلى قوله: وكان زاهداً في الدنيا، كان تحته بساط خَلِق، فقيل له: لو أخذت بساطاً جديداً، فقال: لو شئت أن يكون بساطي من ذهب وحرير لفعلت، ولكن لنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة، جهز ابنته سيدة نساء العالمين ابنة سيد المرسلين، زوجة سيد الوصيين بوسادة من أدم حشوها ليف وإهاب كبش كانت فاطمة عليها السلام تعجن على ناحية وينامون على ناحية، وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن ينثر في بيتها ليلة بنى علي بها من بطحاء الروحاء. ا هـ المراد[2]

وقام العلامة الكبير محمد بن سليمان ابن أبي الرجال خطيباً لما علم بدعوة الإمام يحيى وحثَّ الخلق على إجابته، وأقسم بالله ما يعلم من أمير المؤمنين إلى وقته من هو أعلم منه[3]، وقد أفاد ذلك في (التحف الفاطمية) وغيرها.

قال العلامة صلاح بن الجلال: هو الإمام الأعظم عماد الإسلام الحجة على

---

(١) في نسخة ما أحد قبله في العلوم....إلخ.

(٢) صلة الإخوان (ص٩٦)-خ-

(٣) ومثل هذا القول كان يقوله العلامة على الحضوار كما في المستطاب.

الأنام، فخر العصابة الزيدية وذؤابة العتــرة النبويـة، صـدر الإسـلام، قـدوة الفضلاء، علم أعلام العلماء، جـوهرة كـل أوان، وزمـر إكليـل علـوم الشـام واليمن، خليفة الله في أرضه القائم بسـنته وفرضـه، المؤيـد بـذي العـزة أميــر المؤمنين وسيد المسلمين.

ثم قال: أعز الله به الدين وأذل به الجبارين، ونشـر العدل في العالم كلـه - صلوات الله عليه- وكان - عليه السلام - النهايـة في العلـم، وموضـوعاته معروفـة وهي إلى سبعين مجلداً، ورسـائله مشـهورة وهـل تـخــفى الشـمس الطالعـة لذوي العقول الراجحة[1].

قلت: وكلام العلامة صلاح بن الجلال يخبرنا بأن دولة الإمام يحيـى عليه السلام عز الله فيها الدين وأذل الظالمين وانتشـر العدل وساد بين العباد، وهـو قريـب ينقل عن قرب وتحقيق ومعرفة، إذ ولادته[2] سنة ٧٤٤هـ، ولقد أتـى بحقيقـة تدلك على بقاء دولة الإمام يحيى عليه السلام وما وقع فيها...

قال العلامة عبدالله بن حسن الدواري في كتابه منهاج المتقين: الإمـام عـماد الإسلام يحيى بن حمزة عليه السلام؛ وكان يروي أقواله وأراءه لتلامذته.

وكان تلميذه العلامة علي بن إبراهيم بن عطيه يقول: أخبرنا الإمام تاج العـترة يحيى بن حمزة.

---

(١) مشجر الجلال-خ-

(٢) ووفاة والده سنة ٧٨٤هـ.

قال محمد الزحيف: هو الإمام الصوّام القوّام، علم الأعلام، وقمطر علوم العتـرة الكرام، حجة الله على الأنام المؤيد بالله يحيى بن حمزة.

كان الإمام يحيى عليه السلام في غزارة علمه وانتشار فضله وحلمه حيث لا يفتقر إلى بيان، ولم يبلغ أحد من الأئمة مبلغه في كثرة التصانيف، فهو من مفاخر أهل البيت، وعلومه الدثرة من مناقب الزيدية. ا هـ المراد[(١)] .

قال في التـرجمان: كان في غزارة علمه لا يحتاج إلى بيان، ونشأ نشأة طاهرة، وسار على سيرة آبائه سيرة ظاهرة، وجمع خصال الفضل وتحصيلها، وكسب العلوم وتفصيلها، ونكح عليه السلام من النساء تسعاً أولهن بنت الشيخ محمد بن خليفة وثمان فاطميات، وكان يحفظ نحو ثلاثين ألف

---

(١) وما أحسن ما قاله العلامة محمد الزحيف (٩٧٤-٩٧٥) بعد الثناء على الإمام يحيى عليه السلام ما لفظه: وما العجب إلا ممن كان في زمانه من العلماء ونحارير الزيدية السادة العظماء، كيف جحدوا ما هو كالشمس ضياء والنجوم رفعة واعتلاء، حتى كابره بعضهم وعانده ووضع من شأنه ما قلَّت به الفائدة.

[ثم ساق كلمات الذم الذي تفوه بها بعضهم تجاه الإمام يحيى لا سيما السيد يحيى صاحب الياقوتة ثم قال]: فانظر واعجب من هذا العالم على زعمه وكثرة تحامله وجهله، ثم ساق كلاماً في الرد عليه ومدح الإمام يحيى عليه السلام.

فائدة : أما يحيى البحيبح فلعل أمره استقام مع الإمام يحيى، لذلك لما توفي الفقيه يحيى البحيبح في "بني موهب " غرب السودة كان الإمام يحيى بالسودة فخرج الإمام عليه السلام فصلى عليه ودفنه، وقد كتب على ضريح البحيبح:

ومن الأئمة من تولى دفنه   يحيى بن حمزة وسط هذا المشهد

أفاد ذلك في الطبقات الكبرى في ترجمة العلامة يحيى البحيبح.

حديث، وكان كثير العبادة والصيام، ويقتات الشعير ويقول: البر طعام المترفين[1]، وذكر له كرامة بحوث.

قلت: وهذه الكرامة وقعت بوادي الشجرة المعروف بوادي الثورين من تحت العقبة المسماه (المنقل).

قال الجندي في السلوك عن الإمام يحيى بن حمزة بن علي عليه السلام ما لفظه: شريف حسيني، قدم جده علي من العراق أيام السيد السراجي وقيامه بالإمامة، وقدم معه ولده حمزة فانتسب به، وعرف صحة نسبه فزوج ولده حمزة بابنته[2] فأولدت له السيد يحيى... إلى قوله: وليس بالناحية أجمع من يشار إليه بكمال العلم ورسوخ الدين غير السيد يحيى... **إلى قوله**: فإن الإجماع منعقد على صلاحه لذلك واستحقاقه له. ا هـ

قوله: على صلاحه... إلخ، أي صلاحه للإمامة.

قلت: فالقادم الى اليمن هو والدنا السيد العالم التقي جمال العترة النبوية علي بن إبراهيم ومعه ولده السيد الشاب الحصيف النسيب الفاضل التقي

---

(١) قال جدي العلامة الحجة محمد بن أحمد السراجي رحمه الله :روي أن الإمام يحيى بن حمزة ماخط كتاباً من ملل ولا شبع من طعام رضي الله عنه وأرضاه.

(٢) الصواب بأخته الشريفة الفاضلة الثريا بنت محمد السراجي، كما في النبذة اليسيرة وهي أم الإمام يحيى وأخيه الحسين وكانت والدتنا الشريفة الثريا هاشمية حسنية فاضلة زاهدة كاملة دينة صالحة قلَّ أن يوجد لها مثيل ولعل وفاتها بصنعاء رضوان الله عليها ورحمته.

حمزة بن علي، وذلك بسبب وقوع فتنة التتار بالعراق، وقد نزح الشرفاء والفضلاء بسبب تلك الفتنة إلى شتى البلدان والأقطار، واختيار والدنا جمال الدين وولده لليمن لكونها تحت حكم أئمة العترة عليهم السلام، وكان وصولهم أيام إمامة السيد الإمام يحيى بن محمد السراجي عليه السلام وكان للإمام المعرفة التامة بأنساب آل البيت في أنحاء المعمورة، ولذلك عرفهم وأثبت صحة أنسابهم[1] فزوجهم.

وقد ذكر في أئمة اليمن [١/ ٢٢٨] أن قدوم والد الإمام يحيى بن محمد السراجي كان مع قدوم والد الإمام يحيى بن حمزة من العراق في المئة السابعة، نقل ذلك الأكوع في هجر العلم في ترجمة الإمام يحيى بن محمد السراجي. اهـ وفيه نظر من الناحية التاريخية.

قال في غاية الأماني: الإمام علم الأعلام، حجة الله على الأنام، المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه وعلى آبائه الطاهرين أفضل سلام رب العالمين... إلى أن قال: وسيرته وكراماته وعلمه ومؤلفاته أشهر من الشمس، فلا حاجة إلى ذكرها. اهـ

وذكر السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير في كاشفة الغمة: أنه لا شك

---

(١) هذا وقد أشارت بعض الكتب التاريخية أن والد الإمام يحيى بن محمد السراجي كان على معرفة تامة بجد الإمام يحيى بن حمزة ووالده أيام إقامتهم في العراق جميعاً وبينهم صحبة وصلة، والله أعلم.

أن الإمام يحيى بن حمزة من أبلغ الأئمة وأكثرهم تورعاً ومحافظة على الوفاء، وهذا تأييد لكلام بعض الأئمة المتقدم.

وقال في نزهة الأنظار: وقام أربعة [أئمة دعاة] أشهرهم وأكملهم الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم.....، وكان له الفضل المشهور والبرهان المنثور... إلخ.

قال في مطمح الآمال: طبق الشرق والغرب علمه الغزير، وبلغ من ذلك إلى مالم يبلغه غيره من آل البشير النذير... ثم قال: وكانت أيامه بالعبادة عامرة، ولياليه بالقيام زاهرة، ومحافله بالعلوم نيرة باهرة، مع شدة إقباله على الآخرة، وإيثاره لما يؤثره أهل السجايا الطاهرة، فرضوان الله عليه وعلى آبائه أئمة الهدى، ومصابيح الدجى. اهـ

قال في الطبقات الكبرى [٣/ ١٢٢٧]: قال في (الطراز) في ذكر الفقيه حسن:

قراءة على إمام العترة ... يحيى بن حمزة عظيم الشهرة
إمام علم ملأ الأفاقا ... من علمه بما جلى وراقا
وألف الأسفار فيه الجامعة ... كالشامل الحاوي العلوم النافعة
كذلك التمهيد والطراز ... عمدتها أنوارها الإيجاز
والإنتصار حبذا من سفر ... فاق به جميع أهل العصر
عد الكراريس لما قد ألفا ... زاد على أيامه ونيفا

وكـــم لـــه فضـــائل لا تحصـــى ... ولا يحـــوم حولهـــا الاستقصـــا

صـــلى عليـــه الواحـــد الكـــريم ... مســـلماً مـــا هبـــت النســـيم

مـــع أبيـــه المصـــطفى والآل ... مـــا كـــرت الأيـــام والليـــالي

اهـ

وقد تكلم عنه الدكتور صبحي في كتابه الزيدية[1]، تحت عنوان قمة اللقاء وذروة الفكر الزيدي، والذي استغرق في الكلام عليه أكثر من مائة ورقة، وسأختصر لقطات منها.

قال حول جهاد الإمام يحيى: نهى عن المنكرات وحمل الناس على الطريق القويم كما تقدم لحرب الباطنية، وداعيتهم علي بن إبراهيم الهمداني، ولكن طال القتال ومال الفريقان إلى الصلح[2]، ثم استعرض آراء الإمام يحيى الكلامية، وعقب قائلاً: هذا علم شامخ من أبرز أعلام الزيدية وأئمتهم، جمع بين العلم والعمل، بين الفقه والزهد، بين الكلام والحروب.

إذ هو بين متكلمي الزيدية من نوابغهم، كما كان له في ميدان الحرب صولات وجولات مع الباطنية، وموسوعة علمية، ندر أن يكون له نظير لا بين الزيدية فحسب بل بين فرق المسلمين جميعاً، كتابه الانتصار: يكون بالجواب عما أوردوه الينبوع الذي اغترف منه ابن المرتضى فأخرج للناس

---

(١) الزيدية [٢٩٩-٤٠٩].

(٢) المصدر السابق (٢٩٩).

بحره الزخار، وكتابه التصفية للقلوب عن درن الأوساخ والذنوب من أهم مراجع الزيدية في الأخلاق والزهد[1].

قلت: بل جميع كتبه صارت مرجعاً لدى الخاص والعام، واستفاد الناس منها في كل فن من الفنون ولم يقتصر على قول فرقة أو طائفة أو مذهب بل جمع فأوعى، وأبان للناس حقائق وهدى.

ويتكلم حول جهده ومنهجه قائلاً: لقد قدم يحيى بن حمزة منهجاً للتحليل أكثر ثراءً مما قدم سقراط، الذي وقفت به ظروف مجتمعه، عند مجالي العرف واللغة ليس غير، كما قدم - أي يحيى- نسقاً للتحليل أكثر موضوعية من أصحاب التحليل للمعاصرين، ولكن للأسف الشديد أفكاره مغمورة، وآراءه مضمورة، لم تجد سبيلاً للنشر والاطلاع[2].

وأخيراً يوجِّه الدكتور صبحي نصيحته إلى أهل اليمن عموماً وإلى أبناء ذمار خصوصاً، قائلاً: يا أهل اليمن ويا أهل ذمار: إن تقدير هذا الإمام الجليل ليس باغتراف التراب من فوق قبره وإيداعه البيوت، طرداً للثعابين المختبئة في الجحور، وإنما بنشر مصنفاته والاغتراف من علمه، وإيداعه العقول طرداً لظلمات الجهل المخيم على الأذهان[3].

---

(١) الزيدية [٤٠٤-٤٠٥].

(٢) المصدر السابق [٤٠٦].

(٣) الزيدية [٤٠٦].

قلت: لا مانع من طرد الثعابين من البيوت بالتراب لكن الأهم هو طرد ثعابين الجهل من العقول، وهذه النصيحة من حقها أن توجه أولاً إلى ذرية الإمام يحيى بن حمزة وإلى شيعته عليه سلام رب العالمين.

وقال صبحي: من أكبر علماء الزيدية، له ما يقرب من مائة مؤلف، دفن بذمار[1]. وإذا كان الدكتور صبحي أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الاسكندرية وصنعاء قد أطال الكلام حول الإمام يحيى بن حمزة في كتابه (الزيدية) فإنه تضاعف إعجابه أكثر وأكثر حتى أفرد في الإمام يحيى كتاباً أسماه (الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية)، وقد طبع.

ويكفي ما عرف عن الإمام يحيى عليه السلام من السلاسة في التعبير، وحسن التركيب والمقدرة على التصوير، وأسلوب الطرح في أي بحث أو مسألة حتى يخرج المطالع أو القارئ بنتائج تفتح لها العقول وتستوعب ما طرح من الأدلة في المعقول والمنقول مع ترتيب المعلومات وتنسيقها، وهذا فشأن مؤلفاته على الإطلاق، وأما التنسيق والترتيب عند التأليف فشيء عجيب من فعل الإمام عليه السلام إذ لا يمكن أن يدخل في بحث ولا رسالة أو مؤلف إلا وابتدأ أولاً بقاعدة تمهيديه وضوابط هامة شاملة يرجع إليها في البحث ويعول عليها، وهي ضوابط مسلمة لابد من فهمها إذ لا يتوصل إلى المراد من البحث إلا بعد إحرازها، والإمام هادىء جداً في مؤلفاته ورسائله غالباً ومن

(١) المصدر السابق (٧٥٠).

قرأ كتبه عرف سبقه وتقدم أسلوبه على عصرنا دع عنك عصره، وهنا مرادنا الإختصار وأما لو استرسلنا لتشعبنا فخرجنا عن مرادنا وموضوعنا، والحمد لله الذي كرمنا بكوننا من أولاده وأحفاده ونسأله أن يرزقنا علمه وأن يعيد علينا من بركاته.

قال الواسعي في تاريخ اليمن[١]: هو الذي حاز المفاخر الدينية، والعلوم القرآنية، له التصانيف العظام، وله الكرامات الخارقة الجسام، ومدة إمامته ١٥ سنة[٢].

وذكر أن مجلداته بلغت مائة مجلد، ثم ذكر من كراماته ذهاب الحيَّات والهوام من ذمار منذ أن قبر، ثم ذكر أن حمل التراب الأبيض الذي على قبره يذهب بالهوام والحيَّات وغير ذلك. ا هـ

قال العرشي[٣]: فهو الذي حاز المفاخر الدينية، والعلوم القرآنية والسُّنِّية، وكان أعرف الناس بالكتاب وبمذهب آبائه الكرام، له التصانيف العظام، وله الكرامات الخارقة الجسام. ا هـ

قال الحبشي[٤]: من أجلاء حكام اليمن وعظمائهم، وحفظ القرآن واشتغل

---

(١) فرجة الهموم والحزن ٢٠٦ وما بعدها.

(٢) التحقيق أن مدة إمامته عليه السلام ٢٠ سنة؛ لأنه ادعى الإمامة سنة ٧٢٩هـ، ووفاته سنة ٧٤٩هـ.

(٣) بلوغ المرام ص ٥١.

(٤) مصادر الفكر [٥٦٤-٥٧٠].

بالمعارف الإسلامية من صغره، وصحب الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى في حربه سنة ٦٨٩هـ في جبل اللوز، وتنعم من خولان العالية.

قال الجنداري في رحيق الأزهار[١]: قمطر العلوم وحافظ منطوقها والمفهوم، وواحد علماء اليمن، والنكتة في جبين الزمن، جبل العلم الأطول، وطراز الفضل الأهول، الضارب في كل فنٍ بنصيب وافر، والجامع لما تفرق من خصال الكمال وكمال الخصال في الأوائل والأواخر، كم نصر بانتصاره العلماء، واعتمد على عمدته الفقهاء، وشمل بشامله فنون الكلام، وصان بتحقيقه علماء الإسلام، وحوى بحاوية دقائق الأصول، وعبر بمعياره حقائق المعقول، وأزهر بأزهاره حدائق الكافية، وجمل بمنهاجه الجمل الوافية، وحصر بالحاصر ما جمعه في مقدمته طاهر، ووشح بالمحصل ما أبهمه صاحب المفصل، وطرز بالطراز علم الإعجاز، وسهل بالإيجاز إلى علم البيان المجاز، وأيد بالمعالم الدينية مذاهب الفئة العدلية، وأوضح بالنهاية طرق الهداية، ووزن بالقسطاس أقدار العلماء من الناس، وأغنى بالاقتصار طالب النحو عن الإكثار، وصفى بالتصفية من الموانع المردية قلوباً كانت قاسية، ونوَّر بأنواره المضيئة طرق الأربعين السيلقية، وكشف بسفره الوضي دقائق كلام الوصي، وأزاح بعقد اللآلئ ما زخرفه في حلِّ السماع الغزالي، وقطع بالقاطع للتمويه ما يرد على الحكمة والتنزيه، فهذه قطرة من مطرة، ومجة من

---

(١) رحيق الأزهار ٤٢.

لجُة، وله كرامات حكتها السير. ا هـ

وقال في الجامع الوجيز أيضاً: كان هذا الإمام من الآيات في حفظه، وورعه، وعلومه، ومصنفاته، وأجمع على فضله المؤالف والمخالف، وقيلت فيه القصائد من مصر وغيرها، وباعه في العلم بحر لا يساجل. ا هـ المراد.

وأثنى عليه في (غاية القبض) بثناء نفيس أيضاً.

وقال القاضي الشوكاني[(١)] بعد أن غلط في نسبه: اشتغل بالمعارف العلمية وهو صبي، فأخذ في جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية، وتبحر في جميع العلوم، وفاق أقرانه وصنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون، ويروى أنها زادت كراريس تصانيفه على أيام عمره[(٢)].

وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية، وله ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان، وسلامة صدر، وعدم إقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن.

كان من الأئمة العادلين الزاهدين في الدنيا، المتقللين منها، وهو مشهور بإجابة الدعوة، وله كرامات عديدة، وبالجملة فهو ممن جمع الله له بين العلم

---

(١) البدر الطالع: [٢/ ٣٣١-٣٣٣].

(٢) لو عمره عُدَّ والتأليف منه أتى ... لكل يوم كما قالوا بكراس

والعمل، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومات في سنة ٧٠٥بمدينة ذمار. ا هـ

قلت: بل وفاته عليه السلام سنة ٧٤٩هـ كما سيأتي.

قال العلامة المؤرخ زبارة: الإمام الأعظم المجدد يحيى بن حمزة... إلى قوله:

وقام في خلق بأرض صعدة عمدة أهل الحق أي عمدة
مؤيد الدين برب العزة عمادنا يحيى سليل حمزة.[(١)]

وقال الدكتور حسين بن عبدالله العمري: أحد أعظم أئمة اليمن وأكابر علماء الزيدية.[(٢)]

والمقام لا يتسع لنقل كل من أثنى على الإمام عليه السلام وفيما ذكرناه ما يكفيك عما أغفلناه.

زهده وورعه عليه السلام

والإمام يحيى بن حمزة كلمة إجماع عند الأمة، ولذا أكثروا فيه المديح والثناء كما هو أهل لذلك لغزارة علمه، وعظيم فضله وورعه وزهده، وقد قال عليه السلام: **لو شئت أن يكون بساطي من ذهب وحرير لفعلت ولكن لنا برسول الله أسوة، جهز ابنته سيدة نساء العالمين ابنة سيد المرسلين، زوجة سيد**

(١) خلاصة المتون [٢/ ١٣-١٨].

(٢) مصادر التراث اليمني [صـ١٧٦] ط١.

الوصيين بوسادة من أدم، حشوها ليف وإهاب كبش، كانت تعجن فاطمة عليها السلام على ناحية، وينامون على ناحية، وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن ينثر في بيتها ليلة بني علي بها من بطحاء الروحاء.

ولما تولَّى الإمامة، ولبس أثواب الزعامة كان يقول: والله ما هي إلا سيرة محمد وعلي وإلا فالنار!! أو نحو ذلك، وكان عليه السلام يقول: اللهم إن كنت تعلم أني أريد بهذا الأمر –يعني الإمامة- شيئاً من الدنيا وزينتها، فلا تغفر لي!! واحرمني شفاعة جدي، أو كما قال...

حقيقة كان الهدف هو مرضاة الله، وطلب السعادة الأخروية، والفوز بالجنة، لذلك كان طلبه الاستقامة، وتحقيق العدالة، فلذلك صبر وتحمَّل من أجل تحقيق تلك الأهداف السامية، والمقامات الرفيعة العالية.

الفصل الثاني:

مرحلة التمهيد والإعداد والدعوة المباركة

التمهيد والإعداد

لقد كان الإمام يحيى عليه السلام يعد إعدادات هامة تدل على تمهيـدات للإمامـة وذلك بما يلي:-

أولاً: حفر الآبار

ومع ذلك فإن الإمام يحيى عليه السلام كانت همته عالية بالإضافة إلى الإنشـغال بالـدرس والتـدريس والنسـاخة ثـم التـأليف فقـد كـان ينظـر إلى الأوضـاع والأحوال وربما يخرج إلى الوديان والجبال وقد اهتم بحفر الآبار.

ثانياً: البنايات الدالة على الإعداد

وفي شـرق جبل رميض[1] في ذو عبدالله[2] حفـر بئـراً عجيبـاً ووضـع فيـه

(١) رميض: يطل جبل رميض على حوث من جهة الجنوب الشــرقي وينسـب إلى ذي رمـيض مـن أولاد عمرو بن كثير بن مالك بن جشم الـذي ذكـره صـاحب الإكليـل، وقـد قـال المقحفـي: رميض: جبل مشهور مطل على مدينة حـوث مـن جهـة الشـرق، بـه سـبعة جبـال متحـدة في ارتفاعها إلا الواسط فهو أرفع منها، وفي رأسه السقايات وحصن الإمام يحيى بـن حمـزة. اهــ، ويقع فيه بئر في الجهة الشـرقية من الجبل الشمالي ، وفيه تخطيط عظيم، وبنايـة هندسـية عجيبـة، ولا زال إلى الآن، ولعله للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام مع الحصن الذي ذكره المقحفي، فـلا تـزال آثاره إلى الآن، وأُحدث الآن فيه سـدّ في الجهـة الجنوبيـة، وهـو سـد عظـيم يسـتفيد منـه أهـل القطارين بخيار.
ورميض مصبه إلى الوادي المارّ بحوث إلى حواري ثم إلى خيوان، إذ هـو فـرع مـن الفـروع التـي تصب إلى وادي خبش بالجوف.

(٢) ذو عبدالله هي قرية تقع شـرقي مدينة حوث مجاورة لجبل رميض جهة الشمال الشـرقي، وهـي

الدرج ثم سقف ذلك بحيث يحمل الشخص الماء ويمشي وهو تحت السقف لا يراه عدو ولا صديق، وهذا تخطيط هندسي حربي محكم رصين، وهناك بناء آخر يوجد في أحد سلسلة جبل رميض –المطل على مدينة حوث من الجهة الشرقية الجنوبية– فيه حصن قد شُيّد لكن قد طال به الزمن حتى خُرب ولم يبق إلا أثره وبه بئر أيضاً، وقد ذكرت ذلك في الحاشية.

الإمام عليه السلام تحت راية الإمام المهدي عليه السلام ومكانته لديه

وربما أن الإمام يحيى عليه السلام قد أكثر الترحال والتنقل من حوث إلى صعدة إلى صنعاء إلى ذمار، ويبدو أنه قد عقد في البداية علاقة قوية مع آل الحمزي ذرية الإمام عبدالله بن حمزة وذرية إخوته وأقاربه الأمراء آل يحيى والحسن وسليمان، وكان لهم يد قوية في التأثير في سير الأمور أيام الإمام المهدي محمد بن المطهر عليه السلام وقد تجد ذلك في حوادث سنة ٧٢٢هـ لما أدخل علي بن إبراهيم الأنف الغز إلى صنعاء فاشتد ذلك على المسلمين واجتمع العلماء

قرية من قرى ذو عناش تنسب إلى ذو صيفان العناشي من ذو الفضل العصيمات وقد كانت مشهورة بزراعة الأعناب، وكانت تسمى قديماً شراوى، وللإمام يحيى عليه السلام فيها بئر يرويها كانت من أغزر الآبار مياهاً وأنقاها وأصفاها ولم تنضب إلا قريباً قبل حوالي ثلاث أو أربع سنوات فقط سنة ١٤٣٦هـ تقريباً بعد حفر بئر إرتوازية بجانبها وللإمام في جبل رميض المطل على القرية آثار قصر له ماجل محفور في رأس الجبل ويطلق على الجبل جبل الماجل.

والناس من كل قطر إلى ثلأ وتكلموا مع الإمام المهدي عليه السلام في الجهاد وطلبوا التحرك للجهاد في ذلك اليوم، وكأن الإمام لم يسعد، فقام بعض الشيعة والتفوا حول السيد يحيى بن حمزة فتحركوا لكنهم هزموا، وقتل عدد "جماعة" من المسلمين وضاق لذلك الإمام المهدي عليه السلام وأقاموا مع الإمام المهدي عليه السلام بالظفير، وكأنه كان في الناس حُرقة في الإستعجال وألم شديد فانسل الإمام يحيى بالعسكر خفية للجهاد في حاز –قرية من ناحية همدان على طرف قاع المنقب– وانهزم المسلمون فيها أيضاً، قتل نحو عشرين رجلاً، ثم أعاد الإمام المهدي عليه السلام جمع العساكر والأشراف وقاتل، ولعل الإمام يحيى عليه السلام كان أحد قواده في تلك المعارك، فأخرب بلاد الباطنية وفتح صنعاء وما دخلها إلا في يوم الإثنين نصف شهر رجب سنة ٧٢٤هـ، وهرب ابن الأنف منها.[١]

وكان للإمام يحيى عليه السلام ولاية عامة من قبل الإمام المهدي عليه السلام، كما أن له اعتراضات على بعض تصرفات جرت من الإمام المهدي عليه السلام، لذلك تجد له من التصرفات في أيامه ما يدل على ذلك، كما في المجموع الشريف في نقضه لحكم أحمد بن سليمان بن أبي الرجال في دار بثلأ بين الحزور والصلاحي وقال عليه السلام فيه: **ولا يبلغني حكم صدَّره حكَّام المذهب إلا امتحنته كما**

---

(١) هذا ما اختصرته من سيرة الإمام المهدي ووالده –خ– للناصر بن أحمد بن المظلل بالغمام، ومن اللآلىء المضيئة –خ– للشرفي.

يمتحن الذهب بالنار... إلخ، وحرره بتاريخ ٢٨ من شعبان سنة ٧٢٣هـ.[١]

ويدل على ذلك أيضاً ولايته للفقيه مسعود بن محمد الحويت[٢] فقد كتب الإمام يحيى عليه السلام له ولاية فيما يحتاج إليه من الأمور الشرعية والتصرفات الدينية من أحوال المساجد والأيتام، وتلك الولاية في شهر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة.[٣]

وقد ذكر لبعضهم أنه لا بد أن يكون لهم ولاية من الأئمة عليهم السلام ليقبل حكمه وإلا فلا قبول له، يعني تعييناً من الإمام المهدي عليه السلام.

هذا وأكثر الكتب التي أَلَّفها كانت قبل الدعوة والقيام بالإمامة وذلك بعد متابعة وتحقيق، وكما حكى عن نفسه عليه السلام أنه ما جاهد بالسنان حتى أظهر الحجة باللسان وأوضحها غاية الإيضاح والبيان ثم أكمل ذلك بعد إمامته وقيامه.

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦٢٧-٦٢٩].

(٢) مسعود بن محمد الحويت: كان عالماً من علماء الزيدية الفضلاء، مقرئاً، وأحد ولاة الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وقضاته، سكن حجة، وتوفي بظفير حجة وعليه قبة، وعنده مسجد يعرف بمدرسة الحويت.

(٣) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٥٥١] بتحقيقنا.

وفاة الإمام المهدي عليه السلام

وظل مع إمامه الإمام المهدي عليه السلام حتى كانت وفاته، وقد توفي الإمام المهدي محمد بن المطهر عليه السلام في ذمرمر شمال صنعاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، عن ثلاث وسبعين سنة، وكان لوفاته عليه السلام وقع كبير وأثر عظيم.

إعلان الدعوة المباركة

ومرَّت الأيام والناس حول الإمام يحيى بن حمزة يطالبونه بالنهوض ويستعجلونه، ولعله عليه السلام كان يطلب له العذر في تركها، أو أن هناك أنهض منه ليُحمّله أمر هذه الإمة، لكن العلماء أخذوا يراجعونه ويمنعون عنه الأعذار ويقطعون عليه الأسباب، وبعد أخذ وعطاء ورد ومصاولة ومحاولة ومع اختصاص الله له بهذا الأمر قلَّدوه زعامة الأمة حتماً، وكيف والعلماء الأكابر ينهالون عليه من كل جانب؟!! عندها استجاب لذلك، ودعا في عشرين من شهر صفر سنة ٧٢٩هـ ولسان حاله يقول ما قال جده الوصي عليه السلام ((**لولا حضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها...إلخ**)).

وقد أجمع على بيعته كافة أفاضل الدهر، واتفاق علماء العصر، وقد

اختلف في مكان الدعوة[1] والظاهر أنها كانت في بلاد الظاهر شوابة أو ظفار، وعلى كلٍ فقد استجاب الناس لدعوته في البلاد اليمنية فعلماء بلاد الظاهر كلها ورجالهم كانوا معه، وبلاد صعدة والأهنوم وسفيان بل بلاد حاشد وبكيل وجهات صنعاء والشرف وقبائل مذحج وعيال سريح وعمران وسنحان وظفار والظفير بحجة وذمار، وغيرها من البلدان كانوا معه، وأرسل الإمام عليه السلام بالرسائل والدعوات إلى القبائل والأعيان فبادروا إلى دعوته مسرعين فبايعوه أفراداً وأفواجا، سارع الخاص منهم والعام، ولم ير الناس أصلح منه لها ولا أكمل، لذا اتفق على بيعته الأعلام[2] فصلحت ببركته الأيام وانتشر العدل والإيمان بين الأنام، وكان أهل الظاهر –وهم أهل الحل والعقد في ذلك الزمان– قائلين بإمامته ومبالغين في نصرته[3].

هذا مع أنها كانت قد ظهرت علومه عند كافة الخلق وأنه قد حقق الأصول وقوى البراهين ورد على الأعداء، ومن أعلاها في التحقيق لجمع الكلمة ونبذ التكفير للمسلمين كتاب "التحقيق"، دع عنك أنه عليه السلام أثرى مكتبة

---

(١) بعضهم ذكر أنها في حوث كما في روح الأخبار –خ– وقيل: ظهر في جهات صنعاء وبلغت دعوته بلاد الظاهر وصعدة والشرف كما في غاية الأماني، وذكر بعضهم أنها في صعدة كما ذكر ذلك المؤرخ زبارة.

(٢) الكاشفة للغمة، ورسائله إلى الأمراء والأعيان، وراجع مجموع الإمام يحيى بن حمزة بتحقيقنا.

(٣) كاشفة الغمة –خ– للسيد الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله.

إسلامية متكاملة أصولاً وفروعاً وأدباً ولغة وغيرها، وامتازت مؤلفاته بسهولة الكلمة، وسلاسة التعبير، وحسن العبارة والدقة في تركيب الألفاظ وقوة التصوير وتحقيق المعاني بأسس المباني، حتى صارت كتبه مرجعاً للعلماء والأدباء والمثقفين والمفكرين في أنحاء المعمورة فأيدوه وبايعوه لجلالة فضله وقوة علمه وعظيم ورعه وزهده.

دعوة العلماء للناس إلى بيعته

وعند ظهور دعوة الإمام يحيى عليه السلام قام العلماء بتبيين أحواله وعلمه للناس قال الفقيه أحمد[1] بن حميد أنه سمع من والده العلامة حميد[2] بن أحمد بن الشهيد حميد أنه كان يقول: ما أعلم من علي عليه السلام إلى هذا الإمام أعلم منه.

وكان الفقيه العالم علي[3] بن أسعد الحظوار يقول: ما أعلم من علي عليه السلام مثل هذا الرجل -يعني الإمام يحيى- في العلم.

قال الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن مظفر سمعت عدة من أهل صعدة من

---

(١) العلامة أحمد بن حميد بن أحمد بن الشهيد حميد المحلي كان من العلماء البارزين.

(٢) هو الفقيه العلامة حميد بن أحمد بن حميد المحلي، كان عالماً محققاً، وفقيهاً مشهوراً من علماء القرن الثامن الهجري.

(٣) وقد ترجم له السيد يحيى بن الحسين بن القاسم في المستطاب -خ- وذكر عنه ذلك.

أهل الفضل والصلاح والصدق يخبرون عن الفقيه جمال الدين محمد[1] بن سليمان بن أبي الرجال أنها لما وصلت دعوة الإمام يحيى إلى صعدة قام الفقيه العلامة محمد بن سليمان خطيباً على منبر مسجد الإمام الهادي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله -اللهم صل وسلم عليه وعلى آله- وحث الناس على طاعة الإمام يحيى عليه السلام وإجابته وكان من كلامه أنه قال: ما أعلم من علي عليه السلام إليه أعلم منه[2].

بل قال مؤلف الترجمان بعد سياق ما ذكرناه: وأمثال هذا قد روي عن كثير من العلماء.

فهذا يدل على أن الناس سيما العلماء والخطباء الصالحون قد بذلوا جهدهم في إبلاغ دعوته عليه السلام، بل كانوا على علم يقين بفضل الإمام يحيى حتى ذكروا للناس ما ذكروا، وبالغوا في الثناء عليه، وليس معنى ذلك الحط من قدر سائر الأئمة عليهم السلام فلكل منهم فضل في السبق والعلم والجهاد جزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

فلا غرو إذ وصفه معاصروه بما وصفوا إنما لكونهم شاهدوا إماماً كاملاً جمعت فيه خصال الكمال وكمال الخصال، ولكونه لم يسبقه أحد من الأئمة في

---

(١) هو القاضي العلامة الكبير إمام المذاكرين محمد بن سليمان بن أبي الرجال المتوفى سنة ٧٣٠هـ.
(٢) الترجمان وغيره.

التأليف والتصنيف، ولذلك كان العلامة المجتهد الفقيه حسن بن محمد النحوي -رحمه الله- إذا تكلم عن الإمام يحيى عليه السلام وصف أحواله وأطنب غاية الإطناب وبالغ في الوصف في سعة علمه وغزارة فهمه وتبحره في العلوم وزهده وورعه وخَلقه وخُلقه وحقارة الدنيا عنده وصغرها في عينه عليه السلام، وكان الفقيه حسن يرتاح كثيراً إذا حدّث عن الإمام عليه السلام، بل ذكر في كتاب نزهة الأنظار: أن كتاب البرهان للقاضي محمد بن عمر بن مظفر هو الذي اختبر به الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في جميع الفنون، احتوى على عشرين علماً.

وذكر ابن تريك في رسالته للفتحي: إنك -أي الفتحي- وغيرك مقرّون بعلم الإمام يحيى وفضله وجميع العلماء، بهذا أو معناه، ولهذا لبّى الناس دعوته.

الدعوة العامة

وما تلاها

من الدعوات

وبعد السرد لما ذكرنا فلنذكر شيئاً من كتب دعوته ورسائله عليه السلام الدالة على علو شأوه وارتفاع شأنه:

قال الإمام يحيى عليه السلام في كاشفة الغمة[1]: إذا تقررت إمامة الإمام باتفاق أهل الفضل على متابعته، وإعطائهم أكفهم على مناصرته ومعاضدته، ومباينته لأهل الظلم والفسوق، والدعاء إلى نصرة الدين ورفع منار الإسلام، فقد انعقدت إمامته إجماعاً، ووجب على كافة المسلمين النصرة [له] والتقوية لأمره وسلطانه؛ لأن الإجماع منعقد على أن الإمام لا يصير إماماً بمجرد صلاحيته للإمامة بل لابد من أمرٍ [آخر] غير الصلاحية، إما بالدعوة على رأي أئمة الزيدية، وإما بالعقد على رأي المعتزلة وغيرهم من طوائف الإسلام، فكيف إذا اتفقا في شخصٍ من الأشخاص؟! صارت إمامته صحيحة بالاتفاق. اهـ

وهو بهذا يقرر أن إمامته مجمع عليها وأنه الشخص الذي اتفق فيه ذلك وتحققت إمامته بالدعوة والعقد.

وكانوا قد رأوا في الإمام يحيى عليه السلام خصالاً قد ذكر شيئاً يسيراً منها في كاشفة الغمة من مجموعه عليه السلام فراجعه، وكما روي عنه عليه السلام أنه قال: إن الله خصني بخصال لا توجد في غيري والحمد لله لو لا ما نهى الله عنه من التزكية لذكرتها..

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٢٣٧]بتحقيقنا.

واليك بعد هذا –أيها القارئ الكريم- نص الدعوة العامة ننقلها من مجموعه الشريف:

الدعوة العامَّة[1]

قال –رضي الله عنه- وأرضاه آمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣] ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأحقاف: ٣١] كتب يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

معاشر المسلمين شمِّروا في جهاد عدوِّكم، ونصرة دينكم، مع ابن بنت نبيكم، فإنما هو قول فصل، وجدٌ غير هزل، كتابنا إلى من وقف عليه من كافة العلماء، وأمراء المشرق وسائر القبائل، سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم الذي عصمنا بلطفه من الضلال، وعرَّفنا بما ألهمنا من عرفانه مزالَّ الفرق الضُّلاَّل، وفتح لنا أبواب البصيرة فكرعنا في نميرها العذب السلسال، وأوردنا مناهل الهداية فارتوينا من معين مائها الزلال، وجعلنا هداة إلى الحق، وعمدة لكافة الخلق، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وصيرنا ممن يقتدى به ويؤتم،

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٥٩٣-٦٠٤]بتحقيقنا.

وجمع بنا -برحمته الواسعة- شمل عباده المؤمنين، ونوَّر بصائرنا وهدانا إلى مناهج الحق المبين، وصيرنا إلى توحيده داعين، ولعظم إنعامه ومزيد إحسانه شاكرين، ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ**﴾[النحل: ٥٣] ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ**﴾[النحل: ١٨] فراح الباطل عند ذاك وزهق، واطمأن الدين من أجل ما هناك واتسق، ﴿**فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤] فنحن صنائع ربنا أهل البيت، والناس صنائع لنا[١]، ونحن القادة والناس لنا تبع، ونحن الهداة من العمى لمن أبصر واستمع، والصلاة على من شدخ يافوخ الشرك وكسر أنف النفاق، ومهّد قواعد الدين حتى انتظم وقام قانونه على ساق، وظهرت أحكامه واستبانت مراشده واتسق أي اتساق، وعلى آله الطيبين الذين انكشفت بضياء علومهم حنادس الظلم، وجلى بنور بصائرهم معلنكس[٢] أنواع البُهَم، فجزاهم الله عن الإسلام أفضل الجزاء وجعل نصيبهم من رضوانه بالعناية في دينه أوفر النصيب والأجر وسلام عليهم أجمعين **وبعد**...

فهذا كتابنا يشتمل مقصوده على عشرة فصول:

---

(١) قال الإمام علي عليه السلام: «نحن صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا» كما في رسائله عليه السلام من الجزء الثاني نهج البلاغة.

(٢) علنكس: يقال: اعلنكست الإبل في الموضع إذا اجتمعت، ورمل معلنكس: كثير متراكم.

الفصل الأول

غير خافٍ على خواطرهم الكريمة ما أوجب الله علينا من القيام في نصـــرة الدين، وشدد بقوارع الوعيد عن التخاذل فيه وأوجب التبيين، فقال-تعـالى- ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨] وفي الحديث «إذا ظهرت البدع ولم يظهر العالم علمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صـــرفاً ولا عـدلاً»[(١)] بـرزت أحكام المنكرات الظاهرة، واشتهرت الأحكام المزوَّرة، وفشا الظلـم والتظـالم، وظهرت الفواحش والمآثم، ألا ترون إلى معالم الإسلام كيـف تنكـرت؟! وإلى رسوم الدين كيف تحولت وتغيَّرت؟! وإلى قواعده ومناراته كيـف تهـدمت؟! ونشأ الفسوق والعصيان، وعصـــي الـرحمن، واسـتولى عـلى حزبـه الشـيطان ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائـدة:٧٩، ٨٠] فـلا غاضـب لله بقلبه ولسانه، ولا منكرٌ لما يرى من منكرٍ فيغيره بسـيفه وسـنانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] فنعوذ بالله من الوقوع في معاصية،

---

(١) روى أهل البيت عليهم السلام هذا الخبر ونحوه من الشـواهد، وأخرجـه ابـن عسـاكر في تاريخـه عـن معـاذ بـن جبـل -رضي الله عنـه- والـديلمي أيضـاً، وانظـر فـيض القـدير [١/ ٤٠١-٤٠٢] للمناوي، ونحوه في كنز العمال رقم [٩٠٣] ورقم [٢٩١٤٠].

ونلوذ برحمته الواسعة من التعرض لمساخطه ومناهيه ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[الأنفال: ٢٥] فاز والله بهذه الخصلة من فاز، وظفر برضوان الله من دعا إلى هذه الطريقة وجاز ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٥] أيـن المجاهـدون في سـبيل الله؟! والبائعون نفوسهم من الله، لقد نعموا في دار الخلد والقرار، وجاوروا الملك الغفار مع النبيين والمصطفين الأخيار ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[التوبة: ٢١، ٢٢] فإياكم والتخاذل عن نصـرة الإسلام، والسكون على التغاضي على ما ترون من المنكرات وعظائم الآثام، فما بعـد هـذا إلاَّ الانتقام، والتعرض للسخط من جهة الملك العـلَّام ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

الفصل الثاني: في فضل الجهاد

واعلموا أن الجهاد ركن من أركان الدين والإسلام، والعروة الوثيقة التي ليس لها حل ولا انفصام، فمن تمسك به أَمِن أن يُهضَم جانبه بظلم، أو نقص، أو ائتلام ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ألا وإن الجهاد سنام الدين وركن من أركانه، وحصن من حصون الله المنيعة وأعظم جنوده وأعوانه، ألا وإن الجهاد باب من أبواب الجنة، وهو العدة الحصينة من عذاب الله والجُنَّة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وجعله سوطاً وعذاباً ونقمة من النقمات على من خالف أمره من أعدائه ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ٩٥] فازوا من الشهادة بالحظ الأوفر، وظفروا من رضوان الله وكراماته بالقدح الأقمر، فهم أحياءٌ بالذكر الجميل وإن كانوا أمواتاً، وأوصافهم المحمودة متجددة ولو صاروا رفاتاً ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩، ١٧٠] حازوا بالشهادة الطريقة الحسنى، فظفروا من أجلها من الثواب الجزيل بالنصيب الأوفر الأسنى،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ﴾ [التوبة: ١١١] وبعلو شأنه وارتفاع قدر مكانه اختاره الله لأصفيائه وأهل محبته وأوليائه من الأنبياء والمرسلين، والأئمة السابقين فهؤلاء ما عظم حالهم إلا بالدعاء إلى الجهاد، ولا ارتفعت درجاتهم عند الله إلا ببذل مهجهم، وإهراق دمائهم بالطوع لأمره والانقياد ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] فهنيئاً لهم تلك المصارع الشريفة، لقد حازوا بها أعظم المراتب عند الله، وأفضل المناقب المنيفة ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧] وفي الحديث «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»(١) ألا

---

(١) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار [٥٣٩] عن سهل بن سعد الساعدي، والقرشي في شمس الأخبار [٢/ ١٤٤] وفي تخريجه قال: أخرجه أحمد، والشيخان، وابن ماجة، وابن حبان عن أنس، وأبو داود الطيالسي، والترمذي عن ابن عباس، ومسلم، والنسائي، والترمذي عن سهل بن سعد، ومسلم، وابن ماجة عن أبي هريرة، وأبو يعلى، وسعيد بن منصور عن الزبير، وأحمد، والطبراني في الكبير عن معاوية بن خديج. اهـ. وأخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجة من حديث طويل عن أنس وصححه السيوطي في الجامع الصغير، وقال المنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ١٠٦]: رواه البخاري ومسلم وغيرهما، ثم ذكر شواهدها ومن أخرجها.

ومن ترك الجهاد مع المكنة منه رماه الله بالبلاء، وديث بالمذلة والصغار والقمأ وفي الحديث «من مات ولم يغزُ أو يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق»[1] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ٢٠٠].

(١) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار [٥٣٨]، قال العلامة الجلال: أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة. اهـ. من تخريج شمس الأخبار [٢/ ١٤٤]، وأخرجه الحاكم في المستدرك [٢/ ٧٩] برقم [٢٤١٨] وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص في الحديث رقم [٢٤١٩]والنسائي [٦/ ٨] وأبو داود برقم [٢٥٠٢] وأحمد في المسند [٢/ ٣٧٤]، وتفسير ابن كثير [١/ ٣٦٧]، والدر المنثور [١/ ٢٥٧] وغيرهم.

الفصل الثالث: في الدعاء إلى الجهاد

ونعلمكم أن الجهاد الذي ورد به الشرع نوعان:-

فالنوع الأول: الجهاد بالحجة وإظهار العلم، والدعاء بالبراهين الباهرة، والأدلة القاهرة، والحجج الظاهرة بالإفحامات المتناصرة التي لا دفع لها إلا بالمجاحدة والمكابرة إلى توحيد الله وحكمته، وتصديق ما جاءت به الرسل -صلوات الله عليهم- من البعث والنشور، وكليات الأحكام [الدنيوية][1] والأخروية، وتقرير قاعدة الشريعة ، وإظهار أحكامها، وإبانة رسومها ونشر ألويتها وأعلامها.

النوع الثاني: الجهاد بالسيف وهو تلو الدرجة الأولى ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما عدل إلى السيف إلا بعد إظهار الحجة، وإقامة البراهين وإظهار المحجة، وقد أكمل الله -سبحانه- لنا بلطفه ورحمته بعض ما نريده من النوع الأول من تقرير قواعده وإبانة أحكامه ومراشده، حتى عاد أنور من فلق الصباح، وأوضح من نور الشمس إذا انتشر ولاح، فلا علم من العلوم الإسلامية والمباحث الدينية إلا وقد طرت في أرجائه، وتنفست بالنظر الثاقب في جوانبه وأنحائه ﴿ **فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم**﴾ [الحجرات: ٨] والرجوى في الله -سبحانه وعز سلطانه- أن يظفرنا بالدعاء إلى إعزاز دينه

---

(١) ما بين الحاصرتين أثبتناه تظنيناً والله أعلم.

بالسيف كما أظفرنا بالحجة، فيحوز لنا بلطفه جميع الأمرين، ويحرز لنا برحمته كلا الأجرين، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وفي الحديث «إن لله عند كل بدعة يُكاد بها الإسلام وأهله رجلاً من أهل بيتي يذب عنها فاغتنموا تلك المجالس وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً» وفي حديث آخر «إن لله عند كل بدعة يُكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي يعلن الحق وينوره فاعتبروا يا أولي الأبصار»[1].

---

(١) رواه الإمام الناطق بالحق أبو طالب عليه السلام في الأمالي، والإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في الشافي، وفي العقد الثمين [٤٢١] والسيد العالم حميدان في مجموعه [١٣٥، ٤٤٠]، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين، وغيره، وذكره الكثير من أهل البيت في كتب دعواتهم كالإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى وغيره من الأئمة عليهم السلام.

وأخرجه السيوطي عن أبي نعيم في الحلية [١٠/ ٤٣٤]، وأبي نصر السجزي في الأباء، وفي الحلية [٩/ ١٠٥] روى أن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيته.

الفصل الرابع: في الغرض المقصود

ألا وإني قد استخرت الله -تبارك وتعالى- وطلبت منه الخيرة مرةً بعد أخرى، وقلبت هذا الأمر ظهراً لبطن، فما وجدت لي ولكم عذراً من الجهاد، والخوض في غمراته واستنهاض أمره وبلوغ أعلى درجاته، ولقد بالغت في انتهاض الرخصة، وإسقاط الحجة فما وجدت لي ولكم عذراً عن ذلك إلا النكوص عن نصرة الدين، والتعرض للوعيد الشديد لمخالفة القطع واليقين، في إعزاز الدين، وإعلاء كلمته، ورفع مناره، وحماية خطبه، فبذلك يحصل الميل إلى الوعيد، والتعرض للعقاب الشديد، اللهم أجرنا من التعرض لسخطك يا خير مستجار.

ألا وإني أدعوكم إلى أمرين عظيمين لن يُلقى الله من الأعمال الصالحة بمثل العناية فيهما:-

الأمر الأول: إظهار معالم الدين وتقوية أحكامه، وشد قواعده، وإعلاء مناره وأعلامه بإظهار الأحكام، وجري معالم الإسلام، وكفِّ المناكير وإظهار المعارف، وكف ظالم عن ظلمه، وردعه ورمّه عن جرمه وإثمه، ونصرة مظلوم على استنهاض حقه، ووضع كل شيء في أهله ومستحقه ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾[الأنفال: ٤٢].

الأمر الثاني: جهاد هذه الفرقة الكافرة الخارجة عن الدين المارقة ﴿**ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ**﴾ [إبراهيم: ٢٨] يا لها والله من

عقيدة كاذبة، ونحلة خبيثة مفترية، عَنوا بها الإلحاد البحت، وبنيانها التكذيب الصرف، قد كذَّبوا النصوص القرآنية فتأولوها على تأويلات منكرة، وقرروها على قواعد مبعثرة، قد نفخ الشيطان في مناخرهم فألقاهم في بحر الضلالة ومتاهات المهالك عن آخرهم ﴿**أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ**﴾[المجادلة: ١٩] كذَّبوا ما جاء به الأنبياء –صلوات الله عليهم– من أحكام الحشر والنشر، وأحكام الآخرة، وخصالهم الكفرية أعظم من ذلك، وقد رددنا عليهم هذه المقالة وأظهرنا غيهم في ارتكاب هذه الجهالة، فما أفضى ردنا عليهم إلا جماحاً في تيه الغي، وتمادياً منهم في الكذب والبهتان واللَّي، وشمخوا بأنفهم شاخرين، وأصروا مستكبرين ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ**﴾[المنافقون: ٥، ٦] فجهادهم علينا وعليكم من الفروض الواجبة، والحقوق المؤكدة اللازمة، لما لهم عليه من عظم الكفر ودسيس الإلحاد، والتمرد في الدين، والبغي والجحود والفساد ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾[التوبة: ١٢٣] وكيف لا؟! وقد صارحوا بالكفر والعناد، واختصوا بالجحد وعظيم الإلحاد ﴿**أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٣].

الفصل الخامس

ألا وإني أوجبت عليكم النفور إلى قتال هذه الفرقة المارقة بالقصد الحسن، والنية الصادقة ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٤١] وفي الحديث «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناواهم»(١) فاصدقوا النية تُصدَقوا الأجور، وتحرزوا الكرامة والأجر بجهادكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

---

(١) رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي، والهادي بن إبراهيم في هداية الراغبين، والحسين بن الإمام القاسم في الغاية وفي بلوغ الأرب [٢٣٦-٢٣]، وأخرجه الحاكم في المستدرك [٢/ ٨١]، والترمذي في السنن [٤/ ٤٨٥]، وصحيح مسلم برقم [١٩٢٠]، وصحيح البخاري برقم [٦٨٨١]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٩]، وأحمد في المسند [٤/ ٩٧]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١١٦]، والسيوطي في الجامع الصغير، وصححه كما في فيض القدير [٦، ٣٩٠]، وأخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة عن ثوبان، وأخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن عمر وأبو داود والطيالسي عن عمر أيضاً، وأخرجه البخاري ومسلم عن المغيرة، ومسلم عن عقبة بن عامر، وأحمد في مسنده وأبو داود، والحاكم في مستدركه عن عمران بن حصين، وأحمد، وابن جرير عن أبي هريرة، ومسلم، وابن عساكر، والطبراني في الكبير عن جابر بن سمرة، وابن قانع، وابن حبان، وابن عساكر عن قتادة عن أنس، وأبو داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وأحمد، والطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم وغيرهم، انظر هداية العقول إلى غاية السؤول في علم الأصول [١/ ٥٠٥-٥٠٦].

﴿غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔا﴾[التوبة: ٣٨، ٣٩] وفي الحديث «كل ميت يختم على عمله إلا المجاهد في سبيل الله المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتان القبر»[(١)].

الفصل السادس

أقول: اللهم إني أشهدك يا أكبر الشاهدين أني قد دعوت أهلي وعشيرتي وأهل مذهبي وإخواني إلى جهاد أعدائك، وإظهار دينك، والنصرة لأوليائك، فمن تخلف عنّي لغير مانع شرعي يعذره عند الله فلا بارك الله له في عمله، ولا جمع شمله، وكان الله المتولي لجزائه بالنكوص عن نصرة دينه وقتال أعدائه، ألا وإني معسكر نحوهم بمن اتبعني من أهلي وعشيرتي، وإخواني،

(١) رواه أئمتنا عليهم السلام، وأخرجه أبو داود والترمذي والحاكم في الجهاد عن فضالة بن عبيد، وأحمد في مسنده عن عقبة بن عامر بلفظ «إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله»، وقال الحاكم: على شرط مسلم، وأقره الذهبي في التلخيص، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد بعد ذكره لرواية أحمد: فيه ابن لهيعة وحديثه حسن. اهـ. وصححه السيوطي في الجامع الصغير، وقد روي «كل عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله» أخرجه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن العرباض بن سارية، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. اهـ. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، وأخرجه الترمذي في السنن [٤/ ٤٨٥]، ومسلم برقم [١٩٢٠]، والبخاري في صحيحه برقم [٦٨٨١]، والحاكم في المستدرك [٢/ ٨١]، وابن حبان في صحيحه [١/ ٢٦١]، وأحمد في مسنده [٤/ ٩]، والطبراني في المعجم الكبير [١٨/ ١١٦]، والبيهقي في السنن الكبرى [٩/ ٣٩].

ومن اتبعني من سائر المسلمين، فمن [أراد][1] الرّواح إلى الله وشوقاً إلى الجنة فليكن معنا، وليحمل في مخيمنا المحفوف بالنصر، والمحوط من الله بالظفر والقهر ليحوز نصيبه من الثواب، ويحصل على عظيم العفو وكريم المآب.

الفصل السابع[2]

اللهم إن كنت تعلم أن في خروجي هذا قصداً لإحراز دنيا، أو شوقاً إلى مطمع، أو إحرازاً لسلطان قاهر، أو قضاء لمدة، أو جمعاً لحطام دنيا، أو علواً على مسكين، أو تطاولاً في فخرٍ، أو محبة لاستيلاء، وقهراً وترفيهاً في ملبس أو مطعم أو غير ذلك من زخرف الدنيا **اللهم فإن هذه خطيئة، اللهم فإن كنت تعلمها مني فلا تغفرها لي، ولا تنلني شفاعة جدي**، وإن كنت تعلم أن خروجي قصداً لإعزاز دينك، وإظهار أمرك فأيّدني ومن تبعني من المسلمين من عندك بالنصر، وانشر علينا ألوية الظفر، ولا تظفر بنا إظفار الأعداء، إنك سميع الدعاء.

الفصل الثامن

ألا وإني أعلمكم أني قد منعت الاشتغال بشيء من الأشغال الواجبة على الكفاية من قراءة، أو دريس أو تدريس حتى نفرغ من أمر الجهاد، فإذا تمهدت

---

(١) ما بين الحاصرتين أثبتناه تظنيناً والله أعلم.

(٢) قف على هذا وتأمل لكلام الإمام عليه السلام لتعرف عظمته بما لا يمكن شرحه ووصفه.

قواعده بحمد الله ومنته ورسخت أصوله واتسقت فروعه، ورجع كل إلى نصابه، وارتكز في مركزه عدنا بحمد الله وافرين، ولدينه ناصرين، وبأعدائه ظافرين، وعلى من خالف الحق منتصرين ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف: ١٠٨].

الفصل التاسع

أعرفكم أن الله تبارك وتعالى كما طلب منكم الجهاد بالأنفس وبذل المهج التي هي أعز الأشياء في سبيل الله فقد طلب منكم بذل الأموال في سبيل الله، وجعلهما توأمين، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وقال تعالى﴿**وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾[التوبة: ٤١] ألا وإني طالبٌ أموال الله – تبارك وتعالى– للإنفاق لها في هذا المصرف العظيم، وفي سائر المصارف الشرعية، ألا وإني لا أطلب شيئاً من أموالكم إلا بعد أن لا يكون عندكم لله –تعالى– مال[١]، فمن كتم عنَّا شيئاً من مال الله تبارك وتعالى بخلاً وتمرداً عن أدائه، ومحبة لجمع حطام الدنيا فلا بارك الله له فيه، فقد صار الجهاد بالأموال في هذا الزمان، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى النفوس لميل الناس إلى الدنيا، ولمحبتهم لحطامها، وبذل المال أعظم ما ينصر به الدين ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: ٨٨]

(١) في الأصل قال وما أثبتناه ليستقيم الكلام والله أعلم.

الفصل العاشر

اللهم يا من بيده أزمة المقادير والقضاء، ويا من يملك السمع والأبصار، وبيده القبض والبسط والحل والعقد والإمضاء، داحي المدحوات، وداعم المسموكات[1]، وإله الأرض والسماوات، العالم بما هو كائن وما هو آتٍ، نسألك أن تجعل شرائف صلواتك، ونامي تحياتك وبركاتك، على عبدك ونبيك المخصوص عندك بالزلفة، والمبعوث بالرحمة والألفة نعلمك بحالنا شكوى لا تعريفاً أنَّا أصبحنا على القلة أعداداً متفرقين، وشيعاً غير مؤتلفين، فاجمعنا على نصرة دينك، وضم أعطافنا على منع ذماره، وتقوية جنوده وأنصاره، واجعل أكفتنا العالية، واحرسنا بعينك الكالية، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله وحده، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطاهرين. اهـ

---

(١) ما أثبتناه هو المحفوظ، وفي الأصل وذا مع المتموهات.

دعوته عليه السلام إلى الأمراء[1]

ثم بعد أن استمتعنا بدعوته العامة وما فيها وما تضمنت من أسباب قيامه عليه السلام ودعوته، ثم الدعوة إلى الجهاد وبيان أقسامه، وإلزام الناس بإظهار معالم الدين وأحكامه وجهاد الفرقة الباطنية الأشرار، والدعاء على من لم يجب دعوته للجهاد، وشكواه من التفرق وقلة المال، إلى غير ذلك من الفوائد العظام، فننقل إليكم دعواته للأمراء آل عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان، ودعوته إلى الأمير عبدالله بن أحمد بن القاسم، ودعوته لأهل سنحان، وفي ذلك من الفوائد العظام الدالة على جزء بسيط من أهدافه النبيلة ومقاصده الدينية العظيمة من الدعوة وجهاده في سبيل الله.

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦١٢-٦٢١].

الأولى: دعوته عليه السلام إلى الأمراء آل عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والله لنستقيم لهم ما استقاموا لنا

الحمد لله الذي أقام بنا عمود الدين، وجعلنا هداة إلى سبيل الخيرات، ووفقنا لتولي[1] عام الخلق والبريات، ومكننا تمكيناً يطمس به ربوع الكفر والإجرام، ويحيى به ما اندرس من معالم آباءنا السادة الكرام، وزادنا بسطة في العلم نميز بها بين الحلال والحرام، والصلاة على المبعوث من خير العرب وأشرف القبائل، والمخصوص بمعجز التنزيل وختم الرسائل، والمؤيد بباهر المعجز وأوضح الدلائل، والمكرم بأكرم الكتب وأرفع المنازل، وعلى آله الذين سادوا منار الدين وحموا ذماره، وأعزوا نصر الموحدين وأقاموا علاه وشعاره، وهدموا بنيان الملحدين وطمسوا أعلامه وآثاره.

وبعد فإن أحق ما لحظ بعين الرعاية، وأولى من سُلِكَ به مسلك الكلاية

(١) في الأصل: للتولي.

والحماية، من كان مقامه في الشرف المقام الأعلى، ومحله في الفخر والنهاية المحل الأسنى، وكان سعيه وعنايته في قوام الدين محموداً، ذو جدٍ وجَدّ واجتهاد في إقامة أعلامه وإشادة آثاره مشكوراً مشهوداً، وعظم همته وعالي عزيمته في هدم أركان الكفر وطمس ربوعه معدوماً مفقوداً فكان محافظاً على نصرة الدين ورفع شناره، وباذلاً للوسع في حماية عقوته[1] وذماره، فخليق بمن كانت هذه حاله وصفاته، وعلامات خلقه وسماته، أن يكون مرفوع المحل معظم الشأن، سامي الموضع، منتصب البنيان، وأن يكون جانبه منظوراً بعين الود والإنصاف، ملحوظاً بعين الحماية والإتحاف، إشادة لمحل الرئاسة والمفاخر، ورفعاً من قدر الزعماء والأكابر.

نعم لما كانت المقامات الشريفة العالية، المكرمة المعظمة، النبوية الحسنية، الحمزية المجاهدية، المرابطية المنتصرية، الجمالية الفخرية، والعمادية آل يحيى بن حمزة[2] خلَّد الله ملكها وأجرى على طاعته فلَكَهَا وفلْكَهَا، هم أرباب هذه الصفات، والقارعون لهذه الصفات، قضت الأوامر الشريفة النبوية، المطاعة الحسينية، المؤيدية الإمامية، شرفها الله وأسماها وأنفذها وأمضاها، بكتابة هذا العهد الكريم الوفي، والعقد الأكيد النبوي، فيما بين مولانا أمير المؤمنين عليه سلام رب العالمين، وبين أولاده المقامات الشريفة

---

(١) العقوة: هي الساحة وما حول الدار والمحلة.

(٢) هم آل الأمير الكبير يحيى بن حمزة بن سليمان صنو الإمام الحجة المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام، والخِطَاب لذريته من الأمراء المعاصرين للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام.

أعز الله بهم الدين ورفع بحميد سعيهم منار المسلمين، مضمناً ما للمقامات الشريفة من معرفة الحق، ورعاية القدم والسبق، ورفع المنازل، وإكرام النازل، وقبول الشفاعات، وإعلاء الدرجات، والحياطة والرعاية في جميع الحالات، وأكيد الوداد، وخلوص الاعتقاد، وأنهم السابقون من أهلنا والمقدمون على كافة من عندنا، وأن الكلمة واحدة، والأمر شورى، فيما فيه رضا الله، وصلاح المسلمين، وأن حصونهم المحروسة، ومعاقلهم المأنوسة، نحوطها ونرعاها، ونمنع على الوفاء فيما بيننا وبينهم من ناواها، والبلاد التي تحت أيديهم في جميع النواحي لا يطلب فيها إلا رضا الله -تعالى- وحسن السيرة، وأن يكون الأخذ منها على ما تقتضيه البصيرة كما يأتي ذكره فيما هو لأمير المؤمنين من أولاده المقامات الشريفة، وإن مكن الله سبحانه من صنعاء المحروسة فالذي إلى جهة المقامات الشريفة من الأملاك مقرر بأيديهم، لا يستثنى عليهم في ذلك إلا رضا الله -تعالى- ومطابقة الشرع الشريف، وما قضى الله -تعالى- به من الفتح وقدره من الظفر والنجاح، فنصيبهم منه الأوفر، وحظهم الحظ الأكبر، مع بقاء المناصرة والمعاضدة، وكون الكل في طاعة الله -تعالى- يد[1] واحدة، وأن كل صلح وهدنة تجري بيننا وبين عدو الله وعدونا فهم الواسطة، من بذل النصيحة، والجري في منهاج المودة الصحيحة، وإنا قائمون معهم على من عاداهم، ومحاربون لمن ناوئهم، على وفق الشرع ومنهاجه، وسلوك سبيله وأدراجه.

(١) كذا في الأصل، والظاهر: يداً واحدة.

ولنا من المقامات الشريفة خلد الله ملكها ما ألزمهم الله من النصرة بالأنفس والأموال والصبر معنا في البأساء والضراء والمواساة في كل حال، لا يقعدون عنا بعساكرهم المنصورة، ولا يتأخرون عن ثغور الإسلام بجيوشهم الموفورة، ولا يضنون في مصلحة الدين ببذل الأموال المدخورة، وعليهم الرفق بالرعية، ومطابقة الشرع الشريف في كل قضية، لا يتعدون ما نفرضه لهم من أخذ الأعشار والصدقات، والفطر في جميع الجهات، وعليهم كف أيدي الولاة والخدام، عن التعسف على الرعية والاهتضام، فإن النبي عليه وآله أفضل الصلاة والسلام يقول «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[1] والأمر جد والخطب ادٌّ، إلاَّ على من أخذ الأموال بحقها، ووضعها في مستحقها، وإن المأخوذ من الرعايا من هذه الحقوق لا يأخذه إلا من رضينا ولايته، وتحققنا ثقته وأمانته، ليسلم الكل منا ومنهم من هول النقاش والحساب، وتمضي أمورنا على مطابقة السنة والكتاب، فإن الله -تعالى- عينٌ كالية على العباد، وهو لمن يعتدي حدوده بالمرصاد، فالكل منا بين يدي البصير النقاد، فنسأل الله -تعالى- الإعانة على إصابة المقصد والمراد، وعليهم الأمر

---

(١) حديث صحيح مشهور، روي بألفاظ متقاربة، رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [٣٠٢]، والعنسي في الإرشاد [٦٦].

وأخرجه أحمد في المسند [٥/ ٤٥، ٥٧]، والبخاري في صحيحه في عدة مواضع، ومسلم في صحيحه برقم [١٨٩٢] وأبو داود في سننه برقم [٢٩٢٨]، والترمذي عن ابن عمر، وأخرجه مالك في الموطأ والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٨٧]، [٧/ ٢٩١]، وابن حبان في الإحسان [٣٤٢٨٠].

بالمعروف الأكبر والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإمضاء الأحكام الشرعية على العصاة من حدٍ أو تعزير، والمبالغة في الأخذ على أيدي السفهاء والنكير، وعليهم أيضاً إنفاذ الأحكام الذي يقضي بها من ارتضيناه من الحكَّام، وإجراء الأمور الشرعية على المنهاج النبوي، وإمضاؤها على الصراط السوي، وإلينا التولية والعزل، في العقد في الأمور الشرعية والحل، لتكون أمورنا على وفق الشرع المبين ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ**﴾[المائدة: ٢] وعليهم في الوفاء بذلك عهد الله الأكيد، وميثاقه الشديد، وقد أعطيناهم من أنفسنا ما يثقون به من عهدنا وذمتنا ﴿**فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا**﴾[الحج: ١٠] وأشهدنا الله على أنفسنا وعليهم وكفى بالله شهيداً، وبالله الثقة والحول والقوة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، كتب بتاريخ شهر رجب الأصب، من شهور سنة تسع وعشرين وسبعمائة أحسن الله تقضيها. والحمد لله على كل حال من الأحوال، والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله خير آل.

في هذه الدعوة أصدر الإمام يحيى عليه السلام قراراً بتعيين المقامات من الحمزيين كما قال قضت الأوامر الشريفة النبوية المطاعة الحسينية المؤيدية الإمامية... إلى أخره.

وقرر ولايتهم على البلدان والحصون والقلاع، شريطة حسن السيرة ومطابقة الشريعة وتنفيذ أحكام الحكام الذي عيَّنهم الإمام أويعينهم وتسليم

الأموال والوصول بالعساكر للجهاد... إلخ المطالب عليهم وللإمام التعيين والعزل فتأمل ذلك بعين البصيرة، ونتنقل إلى الدعوة التالية:-

دعوته عليه السلام إلى الأمير عبدالله بن أحمد بن القاسم بن أمير المؤمنين المنصور بالله عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والده لا عدم غرته الشريفة ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾[الحديد: ١٠].

الحمد لله الذي فتح لنصرة دينه أبواباً من النصر والتأييد، فخفقت عليه رايات المحامد بالظفر والتوفيق والتسديد، وطلعت عليه أنجم السعود، وحصل مونقاً مورقاً مخضر العود، وتناوحت على ألويته أطيار السعادة وارتفعت البنود، والصلاة على الداعي إلى الدين بالسيف القاضب، والماحي بشرعه لكل شرع غابري ودين كاذب، وعلى آله الطيبين أهل الفضائل والمناقب، والسالكين[1] في الدين أشرف المعاني وأعلى المراتب.

وبعد.. فخلَّد الله ملك المقام الشريف العالي، الأوحدي النبوي، الحسني

---

(١) في الأصل: السالكون.

الإمامي المنصوري[1]، ذي الشرف الطاهر، والعنصر الشريف والحسب الباهر، واسطة العقد الثمين، سليل أمير المؤمنين، تخليداً دائم الإقبال، صافي السربال، يكون به الدين مأهولاً مأنوساً، وتظهر به محاسنه في رأي العين ظهوراً محسوساً، ولآثار البدعة طامساً ماحياً، ولقيام ظلام الإلحاد كاشفاً واحياً، والله -تعالى- يهدي إلى ناديه الشريف عنا أفضل السلام الأسنى، ويخص وجهه الكريم بالتحية المباركة الحسنى، ونعرفه بما تجدد من العزم، وشحذ غرار الهمة، وإمضاء العزيمة، على تعجيل النفير، إلى حرب هذه الفرقة الجاحدة، الجائرة عن واضح السبيل الحائدة ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ**﴾[إبراهيم: ٢٨] وقد كاتبنا المقامات الشريفة من آل شمس الدين، والمقامات الشريفة آل يحيى[2] بن حسن[3]، وغيرهم،

---

(١) كان الأمير عبدالله بن أحمد الحمزي أحد الأمراء الأفذاذ، والقواد المشاهير، من أعيان القرن الثامن الهجري، وله مع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام رسائل ومواقف، بل له قصيدة في مدح الإمام يحيى عليه السلام.

(٢) آل شمس الدين هم آل الأمير أحمد بن الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، وآل يحيى بن الحسن الحمزي، نهض عدة منهم مع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام إلى صنعاء، وتولوها من قِبَلِه، حتى توفي عليه السلام ثم وثبوا عليها، ووقعت بينهم وبين الإمام المهدي عليه السلام جولات وحروب من أجل ذلك. انظر غاية الأماني [٢/ ٥١١] وما بعدها.

(٣) ومنهم الأمير الكبير عبدالله بن داود، وأخوه الأمير أحمد بن داود بن يحيى بن الحسن الحمزي وأولادهم.

وطلبنا منهم التعجيل، ووعدناهم إلى الجنَّات[1] ثاني وعشرين من جمادى الأولى[2] -إن شاء الله -تعالى- والمقام الشريف هو أمير الشرف وواسطة عقده الثمين، والمجلي في فرسانها عند المحك والنقد والتبيين، لا يخفى محله ومكانه الرفيع، ولا يبارى في فخره ومجده المنيع، وهو أحق الخلق بالانتصار، وأولى من شخصت إليه في هدم منار الكفر الأبصار، فلتشعر نفسه الشريفة بالخروج، وليصلنا كتابه الكريم إلى أي جهة يكون في الظاهر، فالمحبوب والغرض المطلوب هو الاتفاق بالمقام الشريف على الانفراد، لأغراض تحقيقها يكون شفاهاً قبل الاتفاق بسائر الأمراء، لأمورٍ نحمد -إن شاء الله- عاقبتها وآثارها، وليتحقق المقام الشريف ما يحصل للإسلام من الجلال، والهيبة وحسن المرأى والمنظر في أعين الأعداء ما لا يخطر لأحد على بال، وهذا أمر عند الله عظيم ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[الأنفال: ٦٠] ولا قوة أعظم من جنوده وبسطته وهيبته ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ**﴾[محمد: ٧، ٨] ﴿**ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾[التوبة: ٤١] ﴿**إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا**﴾[التوبة: ٣٩] قال ابن

(١) قرية تقع بالشمال الشرقي من مدينة عمران.

(٢) أي من سنة تسع وعشرين وسبعمائة.

عباس في تفسيره: العذاب الأليم هو حبس المطر، فنعوذ بالله من التعرض للوعيد الشديد واللائمة، ونلوذ برحمته الواسعة من الإفحام بالحجة القائمة، والبراهين القاطعة اللازبة اللازمة، فلا بد[1] لنا بحجة الله، ولا قوة لنا على عذاب الله، فلقد علم الله وكفى به عليماً ما خروجنا إلا نصرة للدين، وقمعاً لرؤوس المردة الملحدين، حتى لا يكون لهم في الدين مطمع، ولا لحججه اللازمة وبراهينه الواضحة مدفع ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

(١) فلا بدل لنا بحجة الله، أو فلابد لنا من حجة الله، والله أعلم.

هذا ولا بد أن نستمع إلى كتابه لأهل سنحان والذي ذكر فيه الإجماع على بيعته من كافة الأعلام وإلزامهم له بالقيام دون رخصة أو إعذار، وأنه عليه السلام لا يريد من الدنيا شيئاً لكن إقامة الدين، وأن مخالفه من الباغين ويكشف عن رحمته في الدعاء على من خالفه فتأملها ففيها عجائب وفضائل وإليكها:

دعوته عليه السلام إلى سنحان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أولانا من الإنعام، ووفقنا للقيام، بخاص أمر الأمة والعام، ومكننا من طمس ربوع الكفر والإجرام، وزادنا في العلم بسطة نميز بها بين الحلال والحرام، وعلى محمد وآله أفضل الصلاة والسلام.

كتابنا هذا إلى من وقف عليه من السادة والعلماء، والأفاضل والرؤساء العرب وسادات القبائل من سنحان[1] أعزهم الله -تعالى- سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم، ونأمركم بتقوى الله خاصة وطاعته وخوفه ومراقبته، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنصاف المظلوم من ظالمه، وإيصال لكل ذي حقٍ حقه، وخوف الله في السر والعلن، واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونعرفكم بما ألزمنا الله -تعالى- وألزمناه

---

(١) سنحان: بلدة في الجنوب الشرقي من صنعاء، متصلة بها، وتتصل بها من ناحية الشمال بنو حشيش وجبل براش وجبل نقم ..إلخ، وتضم عدة قرى.

أنفسنا من دعاء كافة الخلق، إلى الله -تعالى- وإلى منهج الحق ومباينة كل ظالم، ومنابذة أهل الفسوق والمآثم، وإقامة عمود الدين، ورفع منار المسلمين، صدر ذلك منا عن بصيرة واضحة، وحجة ظاهرة راجحة، وإجماع من سادات هذا الدهر، واتفاق من علماء الوقت والعصر، وأمر من أولي الرئاسة والمجد والفخر، بعد بذل واسع الجد والجهد منا في طلب الرخصة، وشدة الطلب والبحث لمن يقوم بأمر العامة والخاصة، فلم نجد إلى ذلك سبيلاً يسقط الفرض، ويطمئن إليها الخاطر، ولا مندوحة في التأخر يكون لنا عذراً عند الغائب والحاضر، ولا لاح لأحد من الأفاضل شبهة تسقط ذلك عنا، ولا استقر عندهم برهان ينشرح به صدورهم وصدورنا، بل حملنا الكل منهم على ذلك، وسلوك ما تقدم وسبق لآبائنا الأكرمين من المسالك، فعند ذلك تقلَّدنا عهدة الإمامة، وتردينا أثواب الزعامة، وتحملنا أمر خاصة الخلق والعامة، عقد لنا بذلك أهل العقد والحل، وبايعنا عليه الجهابذة من أولي العلم والفضل، ودخلوا في الإمامة أفواجاً، وسارعوا إليها فرادى وأزواجاً، وحينئذ ظهر ضوء صباح وسطع، واستبان نور قمره وطلع، وشاع حكم أهله في الآفاق واتسع، وعاد عود الفلق بعد الغسق، واستقام على ساق واتسق، فحمداً لله على ما أولانا من عوارفه الجمة، ومواهبه الضخمة، حمداً لا يدرك مداه، ولا تنفصم عراه، ونسأله تكملة إرادتنا، وتتمة عقيدتنا ونياتنا، بظهور كلمة الإسلام على كافة الأنام، حتى يكون الحق في الأقطار ظاهراً، ونجم

البغي وأهله غارباً آفلاً، والله يعلم -وكفى به عليما- أنا لا نريد من الدنيا نيل لذاتها الممزوجة بالكدر، ولكنا نريد إقامة الدين، ووجب الانقياد لأمر الله -سبحانه- ولأمرنا، وانحتم على كافة الخلق طاعته وطاعتنا، فالممتثل مندرج في زمرة المؤمنين، والمخالف داخل في جملة البغاة المتمردين، أعيذكم بالله من التعرض لما يغضبه ولا يرضيه، وأن يكونوا غير منقادين لأوامره ولا منتهين بنواهيه، هذه هي الضلالة من غير شكٍ ولا ارتياب، والجهالة الموجبة لعظم النكال وأشد العذاب، ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ**﴾[النساء: ٥٩] وأولوا الأمر بإجماع كافة الأمة [(١)] فمن خالفنا فقد خالف أمر الله، ومن رد أمرنا فقد شاق الله، هذا والله هو الحق لا ريب فيه ولا لبس، والمنهج الذي لا زيغ فيه ولا طمس، بل حقٌّ تلألأت أنواره ومنهج طلعت شموسه وأقماره إن شاء الله -تعالى-.

اللهم إنا نشهدك -وكفى بك شهيداً- أنا قد نصبنا أنفسنا لإظهار دينك وحماية ذماره والذب عن حوزة الإسلام ورفع مناره، فمن أطاعنا فله ما وعدت من النعيم المقيم، في جنات النعيم، ومن خالفنا ولم يَقْفُ منهاجنا فلا قول لنا إلا ما قال النبي الكريم، عيسى عليه أفضل الصلاة والتسليم ﴿**إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾[المائدة: ١١٨]

---

(١) وأولو الأمر هم الأئمة بإجماع كافة الأمة، كذا تقدم في الرسائل السالفة، ولعل ما هنا سقط سهواً.

فأنت تعلم أن ما قصدنا بذلك إلا وجهك، ولا بغيتنا في ذلك إلا امتثال رسمك، لا لجمع الدراهم والدنانير، ولا لكسب المسوَّمة والقناطير ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

وليعلموا أنا قد ألزمناهم تسليم نصف واجباتهم العشر والزكاة والفطرة والكفارة إلى نائبنا، ليوصله إلينا نصرفه فيمن بين أظهرنا من العلماء والمتعلمين، والفقراء والمساكين، والجهاد في سبيل رب العالمين، والنصف الآخر جعلنا لهم ولاية صرفه في أهله ومستحقه من بين أظهرهم، وألزمناهم إقامة الجمعة والجماعة والدعاء إلى الله -تعالى- بقدر الجهد والاستطاعة.

إياكم معاشر الإخوان والتعرض لسخط الله بالتخلف عنا، ألا وإنا ننهاكم عن التأخر والنكوص[1] ومخالفتنا، فلا عذر بعد وضوح الحجة، ولا مندوحة لكم في التأخر بعد إيضاح المحجة ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨] جاء الحق وزهق الباطل، واضمحل سلطان من كان عنه مائل، واستقامت سبل الحق وشادت أركانها، وخمدت نيار الظلمة وأجنادها وأعوانها، وعاد المستضعفون أعزاء، والمتكبرون أذلة ضعفاء، ورجع سيدهم مسود، واسودَّ وجه الظالم

(١) في الأصل: اللكوص هكذا.

العنود، أما والله إنا لا نترك لظالم بسطة، ولا نرضاه في بلدة ولا خطة، **هذه هي السيرة المرضية للرحمن، والسجية التي يرضى لنا بها كافة الإخوان**، وليعلم الكافة من المشائخ الرؤساء حاطهم الله -تعالى- أنا جاعلونهم[1] من أخص خاصتنا، وأهل الرئاسة والفضل على من تعلق بنا، فهم أهل الوداد والولاية لمن تقدم من سالفي آبائنا، وذو المحبة والحماية لمن سبق من أهل مذهبنا، بهم ينصر الله الدين، وبنصرتهم نصدر ونورد كثيراً من أحكام المسلمين، وليتحققوا أنا رافعون لهم الشأن، ومعظمون لهم المكان، وأنهم من خاصتنا وأهل ودادنا، ومن نحوط بحياطتنا، ونرعاه بكلايتنا، فليثقوا بما عندنا، فإنما هو قول فصل، وجد غير هزل، ووعد صادق قصده قبل مقالة سابق، وفعله لرسمه لاحق -إن شاء الله -تعالى- وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. اهـ

وفيها تعرض الإمام عليه السلام أيضاً أن دولته قد ساد فيها العدل، وعزَّ الضعيف، وذَلَّ المتكبر ونكّس الظالمون، وهذا هو الذي أراده الله من أئمة المسلمين.

كما تضمن الثناء والمدح لأهل سنحان جزاهم الله خيرا.

---

(١) في الأصل: جاعلون لهم.

وها هو عليه السلام يكتب إلى القبائل بجهات الأهنوم وقحطان وحجور، ويذكر فيه اتفاق العلماء والأفاضل على إمامته ويحذر من مخالفته فهي مخالفة لله وتعرض لسخطه سبحانه.

كتاب له عليه السلام إلى من بجهات الأهنوم[1] وقحطان وحجور[2] من السادة والعلماء ورؤساء القبائل[3]

من عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الحمد لله الذي من فضله علينا وإحسانه، وعظم جوده لدينا وسنى كرمه وامتنانه، أن جعلنا سبلاً إلى مناهج خيراته ورضوانه، وسقانا من شراب الحكمة عذباً سمهجاً، وجعل لنا نوراً ميَّزنا به حلاله عن حرامه، ووفقنا للقيام بشروط شرعه وأحكامه، وجعلنا من المقيمين لقسطاس العدل وقسطه حد قيامه، ومكننا بلطفه ورحمته من مَحْو آثار الكفر وهدم أركانه وأعلامه، والصلاة على المخصوص بالنور البيِّن، والمؤيد بمعجز التأويل

---

(١) ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة أربع مراحل، فيها قرى كثيرة، وجبال شامخة، وحصون منيعة، وأخباره كثيرة راجع مجموع بلدان اليمن [١/ ٩٧-٩٩].

(٢) بلد -وفيها مركز الناحية- واسع من بلد همدان في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة خمس مراحل، وتشمل حجور الشام، وحجور اليمن، وحجور البشري، ويقال: حجور أبو منصر، وبلاد الشرف الأعلى والأسفل.

(٣) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦٥٢-٦٥٤].

والتنزيل المبين، وعلى آله سفن النجاة، والسالكين طريق كل خير ومنجاة.

كتابنا هذا إلى الجناب العالي، الأوحدي، المعظمي المكرَّمي، المختاري، العالمي، العاملي الفاضلي، الكاملي، المهابي بهاء الدين، عمدة المسلمين، منصور بن راشد[1] وكافة إخوته وأصحابه القضاة، والكافة ممن وقف عليه من السادة والعلماء والأفاضل، وسادات العرب ورؤساء القبائل بجهات الأهنوم وعذر[2] وحجور، وقحطان، ومن اتصل بهم سلام عليكم فإنا نحمد الله إليكم، ونعرِّف خواطركم الكريمة ما أوجب الله علينا، وألزمناه أنفسنا من دعاء كافَّة الخلق إلى الله -تعالى- وإلى منهج الحق، ومباينة كل ظالم، ومنابذة أهل الفسوق والمآثم، وإقامة عمود الدين ورفع مناره، وإظهار مراسمه، وإشادة آثاره، صدر ذلك عن بصيرة منا واضحة، وعقيدة مؤكدة راجحة، وإجماع من أفاضل دهرنا، واتفاق من علماء وقتنا وعصرنا، إذ كان ذلك أهمَّ مهمَّات الدين، والمنار الذي يرتفع به شنار الإسلام والمسلمين، والاستئصال لقاعدة الملاحدة والمفسدين، فعند ذلك ظهر ضوء صباح الحق وسطع، واستبان نور قمره وطلع، ووجب الإنقياد لأمر الله سبحانه ولأمرنا، وانحتم

(١) الفقيه العلامة، عاصر الإمام المهدي محمد بن المطهر عليه السلام وله معه سؤالات ومباحثات كما في المستطاب -خ- وقد كان هذا القاضي عالماً منظوراً في جهات الأهنوم وحجور، وقد عاصر الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام أيضاً ولعلمه وفضله وسماع كلمته ورأيه وجَّه الإمام الكتاب إليه.

(٢) بطن من حاشد يسكنون الجهة الشمالية من محافظة عمران، وهي تابعة لمديرية القفلة.

على الخلق طاعة الله وطاعتنا، فلا عذر لأحد من الخلق بعد ذلك من الخروج عن رسمنا، ولا حرج علينا فيمن خالفنا، إذا أُنفذت فيه بصيرتنا، وقد تعيَّن على الكل التزام الطاعة، وامتثال الأوامر بقدر الجهد والاستطاعة، فمن فعل ذلك فقد اندرج تحت زمرة المؤمنين، وخرج عن المخالفة التي هي دأب المعتدين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: ٥٩] وأولوا الأمر: هم الأئمة بإجماع الأئمة[1]، فمن خالف أمرنا فقد خالف أمر الله، ومن ردَّ أمرنا فقد شاقَّ الله.

اللهم إنا نشهدك وكفى بك شهيداً أنا قد نصبنا أنفسنا لإظهار دينك، وحماية ذماره والذب عن حوزة الإسلام ورفع مناره، وأنا قد أمرناهم بأمرك، وأظهرنا لهم حكمك وأبنَّا لهم شرعك، فمن أطاعنا فله منك عظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن عصانا استحق منك السَّخط والغضب وشديد العقاب، فأنت تعلم أن ما قصدنا بذلك إلاَّ وجهك، ولا بغيتنا في ذلك إلاَّ طلب رضاك، وامتثال رسمك ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨] فإياكم والتعرض لسخط الله، والتخلف لغير عذر عن الداعي إلى الله، ألا وإنَّا ننهاكم عن التأخر والنكوص في مخالفتنا، فلا عذر بعد وضوح الحجَّة، ولا مندوحة

---

(١) تقدم في بعض الرسائل ما لفظه: وهم الأئمة بإجماع الأمة.

لكم في التأخر بعد إيضاح المحجَّة، وقد جعلنا لكم ولاية صرف نصف واجباتكم من عشر، أو زكاة، أو فطرة، أو كفارة من مستحقيها من الفقراء، والمساكين، والضعفاء، والأرامل على[1] وفق الشرع المطهر، وألزمناكم تسليم النصف الآخر مع الخمس، وبيت المال إلى نائبنا، وحجرنا عليكم التصرف والتسليم له إلى غير رسولنا.

نأمركم عباد الله بتقوى الله وطاعته، وخوفه، ومراقبته، فإنه كريم يكرم من أطاعه، ويهين من عصاه ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨] كتب بتاريخ رجب سنة تسع وعشرين وسبعمائة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. اهـ

(١) في الأصل: على ما وفق.. والصحيح ما أثبتناه.

ثم إنه قد كرر رسائل إلى أهل حوث ونذكر منها هذا:

كتاب له إلى الإخوان بحوث[1]

من عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتخلفن عن نصرة إمامه.

الحمد لله الذي رفع منار الدين، وشاد ما كان دارساً من معالم المسلمين، ودمَّر أركان ذوي البغي والمفسدين، فتح لنا أبواب النصر والظفر، ومكَّن لنا الولاية على من بغى وكفر، حتى رجع الدين إلى أرفع الدرجات سامياً، والبغي والضلال طامساً خالياً والصلاة على المصطفى من خيرة العرب، وعلى آله.

وبعد..

فحرس الله معالم الدين وحماها، وشيد قواعده ورفعها وأسماها، واجتث[2] جرثومة البغي والإلحاد وأبادها وأقماها، ببقاء الإخوان السادة والأفاضل، والعلماء، وسائر الصالحين بحوث[3] -حماها الله -تعالى- وما اتصل بها من

---

(١) مجموع الإمام يحيى بن حمزة [٦٥٧-٦٥٨].

(٢) في الأصل: واجْتُثَّتْ ولعل ما أثبتناه هو الصواب والله أعلم.

(٣) بلدة مشهورة، وبالعلم والعلماء مذكورة، تقع في البلاد الحاشدية، تبعد عن صنعاء بثلاث مراحل. راجع كتابنا ((روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث)) مطبوع.

الجهات الظاهرية، والله يتحفهم عنَّا بأشرف التحيات وأزكاها، ويعجل النظر إلى خلائقهم الكريمة، وشمائلهم الطاهرة، صدرت قاضيةً حق السلام عليهم، ومحققة لهم ما تجدد من العزم على الجهاد في سبيل الله، والمنابذة لأعدائه، وقد آن وقت ذلك، وجاء نصر الله -تعالى- ونحن نستنهض الكافة من الإخوان في الوصول إلينا، فلا يسع أحداً التأخر[1] عنَّا في مثل هذا الوقت، خصوصاً مع تصدي هذا الذي تصدى بشق لشق عصا المسلمين[2]، وإهانة أمور الدين، فيا لها من بدعة وضلالة، ومنقصة وجهالة، تؤول بصاحبها شر مآل، وتورده في دركات الضلال، ولقد كان له غنية عن الارتقاء إلى هذه المسالك الصعبة، ومندوحة في التخلف عن المنقصة عليه والسبَّة، التي لا ثمرة لها ولا حاصل، ولا قاصر في فائدتها ولا طائل، فليشمِّر الإخوان -حاطهم الله -تعالى- للإقبال مجمعين، ففي الاتفاق والاجتماع خير وبركة ومصلحة عظيمة في الدين، ونقص واهتضام لجانب الملاحدة والمفسدين -إن شاء الله - تعالى- فالله الله في المبادرة بالوصول، فلا عذر إلا لمن عذره الله -تعالى- وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله وسلم. ا هـ

بهذه الدعوات المباركات التي بينت لنا جهاد الإمام عليه السلام وقيامه ونشره للدين، وإرساء قواعد العدل، وليس مراده سوى رفع راية الإسلام، وإصلاح

---

(١) في الأصل: فلا يسع أحدٌ التأخر.

(٢) لعله هنا يقصد السيد أحمد بن علي الفتحي، والله أعلم.

أمور المسلمين، ومع فضله الذي لا ينكر وعلمه المشهور الـذي لا يجحـد قـام المعارضـون وتكـاثر وجـود المخـالفين، والـذي استوجب عليـه التحمـل والصـراع معهم أو الصبر عليهم أو القتـال لهـم، وهـذا مـا سـنطَّلع عليـه في الفصلين الآتيين إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث:

جهاد الإمام يحيى عليه السلام وتدبيره لشؤن البلاد والعباد

هذا والإمام عليه السلام هو رائد الإنصاف وشحَّاك الاعتساف؛ سار بسيرة آبائه، واتبع طرق أسلافه من الأئمة الهداة الأعلام، وقضى عليه السلام أيامه في كفاح في طلب العلوم وتحقيقها، حتى صار آية، فقام بأمر الأمة المحمدية، فجمع بين الجهاد والإجتهاد، فقام الإمام عليه السلام بواجب الجهاد، وأحيا فرض الله في العباد، ونشر العلوم، وأقام الحدود، وأظهر آرائه السديدة، وأحكامه الشريفة، وعيَّن ولاته، وأرسل القضاة، وأمرهم بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من الفرائض الشرعية، والأحكام الإلهية والسنن النبوية.

لقد قام الإمام يحيى عليه السلام بواجب الجهاد بجميع أنواعه وشتى أساليبه بلسانه وقلمه، وسيفه، وسنانه.

فأما الجهاد بالقلم ففي كتبه إذ أثرى للأمة الإسلامية مكتبة شاملة في شتى الفنون والعلوم أصولاً، وفروعاً، ولغة، وحديثاً، وبياناً، وغير ذلك، وقد شهدت له تلك العلوم بقوَّة اطلاعه، وغزارة علمه، والقدرة في تمكنه من الأدلة، وكيفية استخدامها، والاستدلال بها، مع سلاسة وحسن تعبير، وقوة سبك، وعلم الجميع قوّة باعه وغزارة بضاعته مع إنصاف تام، ويمتاز بعذوبة المنهج الذي كان يتخذه في التأليف لتصل الحقيقة إلى الأذهان بأحسن الأساليب وأقوم الطرق الحديثة.

أما جهاده بالسيف والسنان فإنه لما قام بالإمامة استفتح البلاد، وقهر

الأعداء والحسَّاد، وأخمد شوكة الظالمين، ونصر المظلومين، وفي أيامه قامت من الفرق الغوية الكفرية فرقة الباطنية الأشرار، فنهض الإمام إلى قتالهم، وجمع الجيوش، وكاتب، وراسل بإعانته، فوقعت بينه وبينهم معارك عديدة كثيرة، كان الانتصار فيها حليف الإمام يحيى عليه السلام ومن معه، وفي أكثرها لم يقتل من أصحاب الإمام قتيل، وفي الباطنية وقع قتل ذريع، ووقعت المعارك في السودة، وبلاد الشرف، وشبام، وجهات صنعاء، وغيرها.

قال الوجيه: ونهض إلى صنعاء فقاتل الإسماعيلية قتالاً شرساً. اهـ

وله غير ذلك من الوقعات، والسعي في إصلاح أمر الأمة، والدعوة إلى السير على نهج الأئمة.

وأمر الإمام عليه السلام لما دخل إلى صنعاء بهدم الكنائس بها فهدمت، ولما اشتد القتال أمر الإمام عليه السلام بإغلاق المدارس، فأغلقت لمدة ثلاثة أيام، ذكر ذلك الإمام عليه السلام في بعض رسائله التي في مجموعه، بل ذكر كما قدمنا في دعواته أنه قد أمر بمنع الدرس والتدريس والقراءة حتى يتم له جهاد الفرقة الباطنية.

هذا ولم يزل مظهراً للأمر بالمعروف ناهياً عن المنكر، تدين له العلماء والعقلاء بالسمع والطاعة، كما أسلفنا ذلك سابقاً، وبكل هذا السرد ستعلم بطلان ما زعمه من قال: إنه لم يكن إمام جهاد!! فقد أنكر الشمس في سراجها، وزاحم البدر في نوره وجلائه، فهو عليه السلام إمام علم وجهاد، وإمام حق وعدل، واجتهاد.

جهاده عليه السلام للباطنية

كانت الفرقة المعارضة هي فرقة الإلحاد المعروفة بـ((الباطنية)) وكان القتال والمواجهة والوقعات والمعارك هي مع هذه الفرقة الخبيثة كونها كانت قد انتشرت انتشاراً كبيراً، وكان الإمام يحيى عليه السلام قد ألَّف فيها كتباً أوضح خبثها وقرر كفرها وإلحادها من ذلك كتابه ((مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار)) ومنها ((الإفحام)) وكفى بهما فقد ألزمهم الدليل، وأقام البراهين القاطعة على كفرهم، واستغنيت بهما عن توضيح عقائد الباطنية هنا.

ولم يكن صراع الإمام يحيى عليه السلام معهم صراعاً لأجل السياسة، كلا، فتأليفه فيهم قبل دعوته وإمامته ولولا أن كتب الإمام يحيى عليه السلام مطبوعة وواضحة لأوضحت البراهين القطعية بكفرهم، وكفى إجماع أئمة آل محمد عليهم السلام على كفرهم ووجوب قتالهم، وقد أغنى الإمام يحيى عليه السلام بما كتب عنهم وأفاد وأتى بالمراد.

فلما استقرت له البيعة وجمع العساكر من الأشراف والقبائل وتحرك بهم لمواجهة الباطنية في مراكزهم بدأ بالبلاد الظاهرية وإلى مستقرهم ثلأ، فقد دخلها الإمام بنفسه مع جنده المنصور ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون**﴾ [الصافات:١٧٣].

وكان أكبر دعاتهم أي دعاة الباطنية الداعي علي بن إبراهيم بن الآنف، ولما

كان قد أخرج عن صنعاء سنة ٧٢٤هـ اشترى حصن كوكبان بعشرة الألف دينار واتخذه حرزاً لدعوته ورجاله، وكثَّر الحصون والمعاقل هنا وهناك فأخذ الإمام يحيى عليه السلام يهاجمهم حصناً حصناً.

ولما دخل الإمام ثلا قام بإرسال الرسائل بدعوة آل عماد الله والمقام السيفي والمقام المتوكلي الشمسي وبني الزواحي وبني سريح وأهل عمران، وطلب الإمام من واليه العلامة أحمد بن محمد الرصاص حضوره وحضور الأمير صارم الدين إبراهيم الحمزي ومن معه من آل عز الدين وغيرهم من الأشراف، فلوصولهم موقع عظيم، ثم وصول أهل الدين معه، ووصلته الجموع وتحرك عليه السلام بمن معه من الجند المؤيدي المنصور على شبام، ودارت هناك المعارك الشداد، يذكر الإمام يحيى عليه السلام في أحد مكاتباته: أنها وقعت وقائع كثيرة بينه وبين الباطنية ما منها وقعة إلا ونحن الظافرون الغانمون ومنذ وقعت الوقائع ما قتل منا مقتول أقرب الوقعات يوم الخميس العشرين من الشهر...[1] ووقعت وقعة بعد اجتماعهم -أي الباطنية- فقتل من خيلهم ثلاثة ومن رجالتهم ثلاثة، وأما الصوائب -أي الجرحى- فكثير... وبهذا انهزموا ودخلوا دائر شبام والدائرة عليهم... وهناك طلب الإمام من بعض الأمراء والعمال الوصول لنصرته بالرجال والمال.

---

(١) لم يذكر الشهر والسنة، أما السنة فلعلها سنة ٧٢٩هـ.

وكان جعل على صنعاء المقام النوري، والمقام الأمير صلاح الدين عبدالله بن داود، وكانوا في عمل وسعي وجد واجتهاد، فحصلت هفوة من قبل الأمير أحمد بن داود إلى أهل بريان –وادي سعوان مديرية بني حشيش– فلما وصل الكتاب إلى الإمام عليه السلام أمر بتغيير المنكر فوراً، وألزم بأخذ الرهائن والوثائق لحفظ ذمم المسلمين، وكان المقام النوري قد فعل فأيده الإمام عليه السلام وصوَّبه، وأمر الإمام عليه السلام من وقعت عليهم القضية بتأمينهم وإيصالهم مأمنهم وإطلاقهم، وذكر الإمام أن ما بين أهل المقامات من خلاف يؤجَّل حتى يجتمع بهم في صنعاء ويحاسب كل واحد منهم بما تبرأ به الذمم...

وكتب كتاباً إلى واليه القاضي العلامة أحمد بن محمد الرصاص يأمره بالتحرك بأهل الخيل من أشراف عيان وغيرهم من أهل الخيل وأن يعدهم بكل خير، وأن يستلف لهم من النفقة حتى يصلوا إليه، وتحركت الجنود وأمر واليه الرصاص أن يكتب إلى السيد نور الدين المختار بن قاسم[1] من أهل الشرف بأن يلتحق بالإمام عليه السلام هو ومن معه ولعله كان من أهل الخيل وله يد في الفروسية والإقدام.

ومرَّت الأيام والوفود بل الجنود من الخيالة والرجالة تتدافق إلى الإمام عليه السلام وهناك أرسل الأمير صلاح الدين عبدالله بن داود الحمزي بأنه سيصل

(١) لعله من أعيان ورجال القرن الثامن الهجري في بلاد الشرف، وكان قد بايع الإمام يحيى عليه السلام ووهبه الإمام بغلته، ثم ركبه الغرور وأصبح يحرض الناس على الإمام عليه السلام فدعا به فسقطت به البغلة وكسرت رقبته.

بالعسكر لإتمام خراب زروع الباطنية والإستيلاء على شبام، وبالفعل أقبلت الجنود المنصورة وتم للإمام عليه السلام فتح شبام وأخرب دور الباطنية وأحرق زروعهم واستئصل شأفتهم من هناك.

وبعدها أرسل إلى بعض الأمراء بتسليم ما بأيديهم من القلاع والحصون مع أنه لا رغبة له عليه السلام فيها ولا مطمع، ولكن لأن أمرها إلى الإمام وحاجتها إلى حفظ أموال الدولة والسلاح وتشييد منار الدولة بإقامة العسكر في تلك الحصون والقلاع وليتم الأمن والإستقرار في البلاد وقد سلِّمت، وقد سلَّم الأمير الكبير علي بن وهاس حصن الظفر -وهو حصن حصين في موضع قرب معبر[(١)]- بعد الدعوة والمراسلة.

وكان الإمام يحيى عليه السلام قد أمر بحرب الباطنية بجشم -من البلاد الحميرية- فالتزم الأمير صلاح الدين المهدي بن عزالدين[(٢)] بعد مراسلة الإمام عليه السلام له بقتالهم وطلب من الإمام عليه السلام المنجنيق ليرمي به بعض حصون الباطنية فأمر له الإمام عليه السلام بذلك وأعانه بما يجب، فتحرك بالعساكر من سنحان وسائر القبائل لحرب جشم فحاربهم وهدم حصونهم وأخلى الديار منهم.

---

(١) سيرة الإمام المهدي(خ)، وهناك حصن ظفر بني وهاس، ولعله هو المسلَّم أيضاً.

(٢) الأمير الكبير المهدي بن عز الدين كان سيداً كبيراً، وأميراً شهيراً، ممن قاد المعارك، ووجدت ذكراً لولده الأمير الكبير عز الدين محمد بن المهدي بن عز الدين في مآثر الأبرار [٢/ ٩٥٤].

الإمام يحيى عليه السلام يصحح الاختلالات الداخلية

واستقرت الأمور وكان بين الأمراء في بعض البلدان بعض النزاعات فتحرك الإمام عليه السلام إلى الجوف وراسل وهو بالزاهر الأمراء آل شمس الدين ودعوته للموافقة بينهم مع المقام الشمس الولد علي بن محمد -هو الإمام علي بن محمد عليه السلام القائم بعد وفاة الإمام يحيى عليه السلام- وكان اللقاء بعيان ووصلها الإمام عليه السلام ثم تقرر أن يكون اللقاء بصعدة فأرسل الإمام إلى الفقيهين العالمين حمى الله بن أحمد بن يحيى، والفقيه العلامة الصدر حسام الدين حميد بن أحمد بن حميد المحلي ليهيئوا لذلك وطلب من السادة بحوث والقضاة آل الرصاص اللقاء به إلى عيان ثم المسير معه إلى صعدة، ومع أن الظروف لم تسمح بذلك لبقاء الباطنية في البلاد عاد الإمام إلى شبام وأزمع على دخول صنعاء وفتحها، وطلب من الأمراء الوصول إليه لنصرته ولحل الخلاف الدائر بينهم، وتقدم وما نزل بمكان أو قرية ووجد للباطنية معقلاً أو حصناً إلا أزاله وأخلى الديار منها، حتى لا يبقى لباطني فيها مقر ولا دار ولا مال، ودارت رحى الحرب بينه وبين علي بن إبراهيم الأنف وابن عمه عبداللطيف الأنف، ونصر الله الإمام يحيى عليه السلام ودخل صنعاء وقعد بها وعيّن ولاتها وانحدر علي بن إبراهيم بن الأنف زعيم الباطنية ومن معه فخرجوا منها صاغرين وتسللوا هاربين.

وأصلح بين الولاة وأمر بتسليم ما حصل من الحب في تريان[1] والمائة المد المحمولة إلى عزان إلى المقام النوري الحمزي.

---

(١) من بلاد نهم الواقعة شرق صنعاء.

العائق للإمام عليه السلام عن مواصلة جهاد الباطنية

وقام الإمام يحيى عليه السلام بالزيارة وتفقد البلاد والجهات المذحجية كونهم ممن لبى للإمام عليه السلام ودخل تحت بيعته، وأراد الإمام عليه السلام إخراج الباطنية من بلادهم ووجد في الناس الفقر والضعف والثمار من سابق قليلة وأن زرعهم مخالط لزروع الباطنية وهناك إن قاتلهم ازداد ضعف الناس وتضرروا، وكان الإمام عليه السلام بهم رحيماً وعليهم شفيقاً وأباً حنوناً، وكان الوالي لبلاد خاو[1] -بلاد واقعة شرقي مدينة يريم- قد حالف الباطنية وخالطهم هو والسيد علي بن صلاح[2] وقد شنع القبائل عليهم في مؤازرتهم للباطنية فأوقف الإمام الحرب حتى تنقضي الثمرة ثم يعود لجهادهم، وراسل القبائل بالوصول إليه والإعداد، وأظنه انتقل إلى المصنعة بعد ذلك كما سأذكره في المعارضين الآتي ذكرهم إن شاء الله...

وقد تقاصرت الهمم في الناس لا عن الجهاد بأنفسهم بل بأموالهم فأمر الإمام عليه السلام إلى جميع ولاته وعماله بجمع الزكوات ((الواجبات)) والنذور والأخماس وأموال بيت المال، وأمر بما كان في جهات الظاهر وبلاد حاشد وسفيان بأن يسلم ما كان من البر والصلة والنذر إلى يد ولده محمد إلى البيت

---

(١) قال المقحفي [١/ ٥٥٧]: خاو بطن من ذو رعين تنسب إليه قرية خاو الواقعة شرقي مدينة يريم بنحو٦ كيلو على خط الطريق إلى دمت، وهي من مساكن قبيلة التُراخم الحميريين.

(٢) وسيأتي الكلام في ذلك.

يعني بيت الإمام يحيى عليه السلام بحوث، وما كان من غيرها باعه وتركه للوالي بيده دراهم، فما كان من زكاة قسم إلى نصفين نصف يصرف في البلد للضعفاء والمساكين وسائر المستحقين ونصف يرسل إلى الإمام عليه السلام للإنفاق على العساكر والجند وإعداد السلاح وبناء القلاع والحصون وكلما يحتاج إليه من الجهاد في سبيل الله سبحانه، وما كان من الأخماس ونحوها فتصرف للأشراف وللأمراء ممن يلتحق بالإمام عليه السلام وهكذا يكتب إلى سائر الأمصار، وهناك ظهر التخاذل وعدم السمع والطاعة بإيصال أموال الله سبحانه إلى الإمام الداعي إلى الله سبحانه... وكان مراد الإمام يحيى عليه السلام هو استئصال الباطنية من البلاد اليمنية كافة... ومع ما في الإمام عليه السلام من التأهب للقتال ومواجهة الباطنية الأشرار فلا يزال الخذلان وعدم النصرة بالمال تزداد كل يوم من الناس، وواصل الإمام عليه السلام وأمر بالقتال، فاقتتل الناس في الشرف مع الباطنية قتالاً شديداً انكسرت فيه شوكة الأشرار ونصر فيه جند الإمام عليه السلام وغنم الغنائم العظام، وقتل القليل من أصحاب الإمام عليه السلام من أولائك الشهداء القاضي علي بن محمد الرصاص رحمه الله سنة ٧٣٢هـ وللإمام تعزية عظيمة فيه[١]...

ولما اشتد القتال مع الباطنية أمر الإمام عليه السلام بإغلاق مدارس العلم لعدة أيام، وواصل الإمام عليه السلام القتال حتى ضاقت على الباطنية الأسباب

(١) راجعها في المجموع [٦٨٣-٦٨٥] بتحقيقنا.

وحوصروا في ضهر حمير وانحصروا هنالك، وكان قائد المعركة هناك الداعي عبداللطيف بن محمد بن حاتم الهمداني أي في حصن فِدَة –المطل على وادي ضهر– لكن تعب الجند وملَّ من كثرة الحروب فمال الطرفان إلى الصلح.

وفي غاية الأماني[1]: نهض الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام إلى صنعاء بعدة من الأشراف آل يحيى بن الحسن الحسني، فبايعه أعيان الشيعة وعظماء أهل الحل والعقد، ثم تقدم الإمام إلى وادي ظهر لمحاربة همدان الإسماعيلية، وكان الداعي علي بن إبراهيم وابن عمه عبداللطيف بن محمد بن حاتم في فده، أقبلت إليهما عسكر همدان، وحصلت بينهم وبين الإمام وقعة عظيمة، قُتل فيها عدَّة مقاتيل، واستمر القتال، وأقبلت الغارات إلى الإمام من ظفار وصعدة وكثرت جموعه، وجعل يحرض الناس على الجهاد والصبر على الجلاد، فتتابعت الحروب وعظمت الخطوب حتى مل الناس الحرب، وجنح الفريقان إلى الصلح. اهـ

سبب اختيار مدينة ذمار عاصمة له عليه السلام وتأسيس حصن هران

كل هذا بعد قتاله في السودة وشبام والشرف وسائر البلدان التي تحت أيدي الباطنية الأشرار، ومواصلة الإمام عليه السلام للمشوار حتى وصل إلى ذمار

---

(١) غاية الأماني [٢/ ٥١١].

واستقر بها لكثرة المذاكرين من أهل المذهب فيها، ولقربه من المجاهد الرسولي، إذ كانت الدولة الرسولية تحكم تعز وزبيد وما تاخمها من بلاد تهامة، كما سيأتي إن شاء الله.

وسعى الإمام عليه السلام بتأسيس حصن هران وبناء ما يحتاج إليه فيه ليكون محلاًّ له ولجنده، كمعقل وحصن قوي لمواجهة الأخطار ولكونه مسيطراً علي عاصمة دولته المؤيدية المحميّة بالله تعالى.

الإمام عليه السلام يزور البلدان ويتفقد أحوال الرعية

ثم يعود عليه السلام لزيارة البلدان وتفقدها حتى وصل إلى مدينة حوث في سنة ٧٣٤هـ وأمر بعمارة مسجد المدرسة في شهر صفر سنة ٧٣٥هـ وتوسيعه ((وهو المسمى بجامع الشجرة أو الجامع الكبير)) وأمر بذلك ولده الأمير عبدالله فقام به إلى قرب الجصاص إلى شهر جمادى الثانية، فتولى التمام أخوه السيد الأمير محمد بن الإمام، وظل الإمام عليه السلام بحوث شهراً.

ثم زار غربان وظل بها شهراً، ثم زار بلاد الشرف وتتبع أحوال البلاد في تلك الأيام واهتم بإصلاحها وانشغل بقضاياها كما ذكر ذلك في أخر كتاب التصفية، وكما ذكر ذلك في أخر الجزء الثاني من كتابه الأنوار المضيئة المحرر ذلك في العشر الوسطى من شهر جمادى الأخرة سنة ست وثلاثين وسبعمائة حيث قال عليه السلام: كان الفراغ من تأليفه وجمعه في حصن المحطور والشرف على شغل خاطر وازدحام أمور في إصلاح حال الشرف والإستيلاء عليه

ورفع مناكيره التي منح الله بمحوها وإزالتها والرغبة إلى الله تعالى فيما نستقبله من العمر من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو إرشاد متعلم أو إفادة علم وعناية في حق المسلمين من رفع منار الدين وإشادة معالم المسلمين. ا هـ

ومع هذا الإشتغال فقد منحه الله التغيير لبعض المناكير إلا أنهم كما يبدو لم يقع لاشتغاله بها كل التأثير كما قال الإمام عزالدين بن الحسن عليه السلام فقد وقف في بعض قراها، ولم يقع له طاعة تامة كأنهم كانوا كثيري المخالفة والمعاندة وذلك بعد بيعة وعهود، فكانت أوامر الإمام عليه السلام تنفذ ولا تنفذ حيناً أخر بسبب العصيان، والإمام عليه السلام لم يُطِل مدة البقاء هناك إلا أنه كان يلعن بعض قبائل الشرف[1] في قنوته لما ظهر من بعضهم الصد والإبعاد والرد لما أراده من رفع الدين وأعلامه،، هذا وكان الإمام يحيى عليه السلام قد اطلع على حال الناس وضعف كثير من القبائل عن إقامة الدين وإحراز أموره والقيام بواجباته فكتب لهم كتاباً ليعلمهم ما يجب عليهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولعله بعثه إلى كافة القرى والأمصار، وهاك نصه قال عليه السلام[2]:

كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كتابنا إلى من وقف عليه من القبائل، سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم ونأمركم بتقوى الله -تعالى- وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإنهما عمودان من

(١) في بعض النسخ المنقول منها ((قبائل الشرق)).

(٢) مجموع الإمام يحيى بن حمزة [٦٧٤-٦٧٦].

أعمدة الدين، وشعار من شعائر المسلمين، قال عليه وآله السلام «تارك الصلاة ثلاثة أيام لا حظ له في الإسلام»(١) وقال عليه وآله السلام «إذا منعت الزكاة هلكت المواشي»(٢) اتقوا الله، فإن التقوى جُنَّتكم من النار، وبها يكون الفوز لكم عند الملك الجبار، وتعرفون أنكم لا تزالون بين نعمة من الله متجددة، وبين مقارفة معصية متعمدة، فأعدوا لتلك النعم شكراً لخالقها العظيم، ولتلك المعاصي التوبة تسلموا من عقابها الأليم، وتأهبوا لنزول الموت فإنه حاطم للرقاب، وكاسر للأصلاب، وما بعده إما عظيم أجر وثواب، وإما أليم عقاب أو عذاب مخلد، حافظوا على الصلاة فإنها كفارة للسيئات، ومضاعفة للحسنات، ولا تسأموا عن المواظبة عليها فإن فيها رضى الله -تعالى- والتوقي من سخطه، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه، وفي الحديث **«مثل هذه الصلوات كمثل نهرٍ جارٍ على باب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس**

---

(١) رواه الإمام يحيى في الإنتصار [٢/ ٥٠١]، وأخرجه الذهبي في كتاب الكبائر، وأخرج الطبراني عن ابن عباس «من ترك صلاة لقي الله وهو عليه غضبان» فيه سهل بن محمود وبقية رجاله ثقات، وفي الأوسط عن أنس «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً» وصححه السيوطي، وروى أحمد بسند رجاله ثقات «من ترك صلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة محمد» وفي رواية «ذمة الله ورسوله» أخرجها ابن ماجة في السنن ونحوه للطبراني في المعجم الكبير وغيرهم.

(٢) رواه الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في الديباج [٦/ ٢٨٣٧] وهو جزء من حديث طويل أوله «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم... » أخرجه الحكيم الترمذي، والبزار، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن خزيمة، وأبو نعيم، والديلمي، وانظر فيض القدير [٤/ ١٤٣] وأخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد عن أبي هريرة، وحسنه السيوطي، وتقدم تخريجه في أول مجموع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وهو بتحقيقنا.

مرات ماذا عسى أن يبقى عليه من الدرن»[1] لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فإنها مقطعة للأعمار، ومكسبة للآثام، ومؤدية إلى النار، وإياكم وقطع الأرحام فإن ذلك مؤذن بالبعد من الله، وبالقرب من سخطه وأليم عذابه، وصلتها مؤذن بالخير من جهة الله -تعالى- والفوز بعظيم ثوابه، وعليكم بالصدقات قليلها وكثيرها، فإنها تكفر الذنوب والخطايا، وتؤخر الآجال، وتنسئ المنايا، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم **«صدقة السر تطفئ غضب الرب»**[2] وتقربوا إلى الله بالطاعة، وابذلوا في حق الله ما تجدون من جهة الاستطاعة، فإن حقه واجب لوجوب نعمه، وعظيم إفضاله، ولمزيد إحسانه، وباهر جوده وكريم جلاله، ونعرفهم بما أوجب الله عليهم من حقنا، وأكَّده

(١) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين عن جابر بن عبدالله كما في شمس الأخبار [١/ ٢٧٦] وأخرجه أحمد ومسلم في صحيحه من حديث جابر مرفوعاً «مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا... » والبيهقي في سننه الكبرى [٣/ ٨٩] وللشيخين نحوه من حديث أبي هريرة ومحمد بن نصر عن أبي هريرة، وأخرجه ابن حبان وأبو يعلى عن أنس، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة، وأخرجه ابن السمان في أماليه عن سعد بن أبي وقاص بلفظ «إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر ببا أحدكم.. » كما في شمس الأخبار [٦/ ٢٧٢-٢٧٣] وقال في تخريجه: أخرجه مالك والنسائي، وابن خزيمة في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص بلفظه. اهـ

(٢) رواه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الشريف [١٩٩] والإمام أحمد بن عيسى في الأمالي [٢/ ٣٠٨-٣٠٩] والإمام أبو طالب في الأمالي [٣٦١] وأخرجه الترمذي عن أنس وحسنه، وابن حبان من حديث أنس، والطبراني من حديث أبي أمامة، وفي المعجم الصغير عن عبدالله بن جعفر، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، والبيهقي في الشعب، والعسكري في السرائر من حديث أبي سعيد الخدري.

من وجوب محبتنا، وعظيم ودنا حيث قال تعالى﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣] وإن الله سائلكم عما أوجب عليكم من ذلك، ومعطٍ لكم الأجر على ما هنالك، وأنتم أحق الناس بالإعتراف بحقنا، والتزام برنا، وحقيق مواساتنا، فذلكم عند الله لكم خير ذخرٍ ذخرتموه، وعظيم ثواب خبأتموه، وقد صدرنا متحملها الفقيه الطاهر إبراهيم بن عبدالله[١] يذكركم بما قد عودتمونا، ويأمركم بما قد أوجبتم لنا من برٍ، أو نذرٍ، أو خمسٍ، أو بيت مال، فمن سلم إليه شيئاً من ذلك يريد به وجه الله -تعالى- والتقرب إليه فقد دعونا الله له بالبركة، وسألنا الله له أن يخلف لكم ما تنفقون، ويكفيكم ما تحذرون، ويبارك لكم في المال والأنفس والثمرات، ويدفع عنكم الأسواء، ويلقيكم النعمات، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلى الله على محمد وآله وسلم. اهـ

هذا وكان الإمام يحيى عليه السلام قد وقف في كثير من البلدان ودخلها كصعدة وصنعاء وفللة وثلأ والشرف والجوف وغيرها من البلدان، سواء أكانت له يد فيها أم لا، لأن أحداً لم يقل ببطلان إمامته كما لم يقولوا ببطلان إمامة غيره.[٢]

(١) هو الفقيه إبراهيم بن عبدالله كان والياً في جهات (الأهنوم وحبور وعذر).

(٢) راجع الدر المنظوم ففيه كلام مفيد.

الفصل الرابع:

وقفة مع المعارضين للإمام يحيى عليه السلام

وقفة مع معارضيه من الداخل

هذا ولا تخلوا الدنيا من المعارضات والإختلافات، وهذا الإمام يحيى عليه السلام وهو القائم من آل محمد في عصره والأعلم والأكمل إلا أنه حكي أنها وقعت له معارضات بقيام معارضين له، وجرت المعارضة أيضاً ممن يتعاطى العلم من أهل المعرفة كما كان في مدة الإمام يحيى بن حمزة كما قال الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام [1].

فسنذكر منهم عدداً يليق بهذه السيرة المباركة:-

أولهم: الإمام علي بن صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين وصاحب الياقوتة

وقد قام ودعا الإمام علي بن صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين –وإن لم يكن علمه يوازي الإمام يحيى عليه السلام– فقد مال معه الكبراء من بني الهادي وسادات أهل الجبال وهم آل يحيى بن يحيى.

قال بعضهم: إن الإمام علي بن صلاح كانت دعوته هي الأسبق ومع ذلك

---

(١) قال: كما كان في مدة الإمام يحيى بن حمزة والإمام علي بن محمد من المعارضات وقبلها...إلخ والإمام عزالدين يذكر أنها تمت إمامتهما وغيرهما عن مشورة واتحاد رأي وإن جرت معارضات حتى وقعت قضية الإمام علي بن صلاح بن المهدي المتوفى سنة ٨٤٠هـ ففتحت باب النزاع. راجع الدر المنظوم

لم يذكر أحد تاريخ دعوته، ليتحقق هذا القول وأنه الأسبق.

وقيل: أرسل بكتاب الدعوة لكن علماء الظاهر وكثيراً من العلماء لم ينظروا إليها ولم يلتفتوا إليه أصلاً ولا لقيت دعوته قبولاً... مما أثار النزاع، وعضده السيد يحيى بن الحسين صاحب الياقوتة وقد أكثر من النيل من الإمام يحيى عليه السلام بكلام شنيع لم يقبله أحد من العوام فضلاً عن العلماء الأعلام، وقد كان السيد يحيى يقيم المجالس بل طيلة النهار يقيم المجالس والخطب في بعض الأيام لسب الإمام يحيى عليه السلام والإنتقاص من علمه بما لا يحتاج إلى ذكره هنا...

وموقف الإمام يحيى عليه السلام من الإمام علي بن صلاح كان موقفاً إيجابياً ولم يتعرض له إلا في نزوله إلى البلاد المذحجية وانضمامه هو وصاحب خاو بالتأييد للباطنية والتثبيط عن قتالهم مع الإمام يحيى عليه السلام، حيث قال الإمام يحيى عليه السلام: وقد صار -أي صاحب خاو- حليفاً لهم -أي للباطنية- وموالياً ومخالطاً هو والسيد جمال الدين علي بن صلاح فإنهم قد صاروا يداً واحدة علينا واختلطوا وامتزجوا وعزموا على القيام معهم في وجوهنا وفَعلَ ما استنكره أحد[1] من الناس واستشنعه كل من له تمييز من كافة القبائل حتى قالوا إن المنع من جهاد الباطنية إنما كان من سببه، وأنه ما وصل إلا لنصرتهم

(١) كذا في الأصل ولعلها آحاد الناس.

والقيام معهم وشنعوا عليه في ذلك فدعانا ذلك عن حربهم في هذه الساعة فالله المستعان عليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل[1].

فالإمام يحيى عليه السلام يصف الإمام علي بن صلاح بالسيد جمال الدين وينقم عليه ما بلغه عنه دون تجريح أو سب أو قذع، وهذا شأن الأئمة القائمين بالحق الداعين إليه، ويظهر من الكلام السابق نقل الوشاة والساعين لتفريق صفوف المسلمين... هذا ولما كان الإمام يحيى عليه السلام في مصنعة بني قيس -التابعة لذمار- سمع عليه السلام بتقدم الإمام علي بن صلاح بعسكره وجنده يقودهم السيد يحيى بن الحسين صاحب الياقوتة، فتألم الإمام يحيى عليه السلام كثيراً من ذلك وكان لا يحب اللقاء بهم، ولا أن يدخل في حرب معهم، فما كان منه إلا الإبتهال إلى الله سبحانه بأن يكفيه شرهم وأن يفرق جمعهم ويمزق كلمتهم، وكان الإمام يحيى عليه السلام مستجاب الدعاء يعرف ذلك الخاص والعام، فاختلفوا فيما بينهم وتفرق جندهم فرقاً، وصاروا أشتاتاً وأحزاباً، كل ذلك قبل وصولهم إلى الإمام عليه السلام، وعاد كل واحدٍ منهم إلى محله وداره، وكأن الإمام يحيى عليه السلام كان قد خص السيد يحيى بن الحسين صاحب الياقوتة بالدعاء فقال: اللهم اكف يحيى شر يحيى... كما قيل، ولما عاد إلى صنعاء بعد تفرق الجند سقطت عليه كتبه سنة ٧٢٩هـ،والله المستعان.

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦٧٠] بتحقيقنا.

والعجب أن السيد يحيى بن الحسين هذا لم يبايع الإمام علي بن صلاح كما روى ذلك ولده العلامة الهادي[1] بن يحيى بن الحسين... كيف وهو أكبر مناصريه لكن لم يبايعه!! والله هو العالم بما في النفوس.

كذلك رجع السيد يحيى بن أحمد وكان معهم ووصل إلى خاو ومات هناك وكذلك رجع الإمام علي بن صلاح عليه السلام إلى السودة وتوفي بها بعد السيد يحيى بن الحسين بقليل ولعل ذلك أول سنة ٧٣٠هـ، ولم يناصره أيضاً إلا الفقيه يحيى البحيبح ولكنه رجع وأناب ووالَى الإمام يحيى عليه السلام، ولما توفي حضر الإمام يحيى التشييع والدفن وصلى عليه إذ كان الإمام عليه السلام بالسودة، وقد أشار إلى ذلك في ضريحه:

ومن الأئمة من تولى دفنه ... يحيى بن حمزة وسط هذا المشهد

---

(١) روى ذلك العلامة صلاح بن الجلال عن العلامة الهادي بن يحيى بن الحسين أن والده لم يبايع الإمام علي بن صلاح وأنه كان غير قائل بإمامة السيد علي بن صلاح إنما لصلاح المسلمين!! قال في كتاب المشاهد بعد روايته لذلك: هذا شاهد من أهله أن يحيى بن الحسين أقدم على البغي على الإمام الكامل الشروط وهو الإمام يحيى بن حمزة بعذر تافه لا يخلصه عند الله والناس. اهـ

ثانيهم: الإمام الفتحي

هذا وبعد استقرار دعوة الإمام يحيى عليه السلام ومبايعة الأعلام له قام الإمام أحمد بن علي الفتحي من ذرية الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي، وكانت دعوته سنة ٧٣٠هـ وكان الفتحي أعور[١]، غزير الفقه كما قيل، وقيل: بخلاف ذلك، وهو من أكثر من راسل الناس في الأقطار بأن الإمام يحيى عليه السلام قد خالف إجماع المسلمين وإجماع أهل البيت عليهم السلام في إجتهاداته في مسألة امرأة الغائب وفي بيع الأوقاف وغيرهما، حتى وصلت رسائله إلى العراق لكون الزيدية قد استجابوا لدعوة الإمام يحيى عليه السلام هناك فكتب كتاباً إلى العلامة محمد بن عبدالله الكوفي، فوصلت رسالة منه إلى الإمام يحيى عليه السلام وقد أجاب عليه الإمام برسالة سماها ((الكاشفة للغمة في الإعتراض على الأئمة)) وفيها تعرض الإمام عليه السلام للفتحي بكلام لاذع وساق كلاماً فيه ومنه: وليس يخفى عليك أيها الفقيه من نرمز إليه، وإنما تركنا ذكر لقبه ترفعاً عن ذكر اسمه وظِنَّةً بالبياض عنه -فأبعد الله بكشف تلك الثياب- فهو بإدراك الجلي غير لاحق فضلاً عن الغوص على الأسرار والدقائق، وهو بمعزل عن المباحث الكلامية، وبجانبٍ بعيد عن الأسرار الأصوليَّة ، فلو كان ممن تنفس في جوِّها، وطار فكره في أرجائها، وأحاط بجليِّها وخفيها لكان

---

(١) كذا روي في كتب السير والتاريخ والله أعلم.

أقل تشنيعاً، لكن زلت به النعل، وارتطم في ورطة الجهل فصار يخبط في غيِّه خبط العشواء، ولا يفصل بين رماد الكير وخلاصة الذهب الإكسير، ولا يدرك التفرقة بين الإبريز[1] والإرزيز[2]، والدر المنضد والخشب المُعقد، ومن أعجب أحواله أنه يدعو إلى المناظرة! وهي كلمة حقٍ يراد بها باطل، **فسبحان الله العظيم** كيف يدعو إلى المناظرة ولم يحرز علماً من علومها؟!، لأن المناظرة إن كانت في مسألة عقلية فهي تفتقر إلى العلوم الكلامية، وإن كانت فقهية فهي تفتقر إلى المباحث الأصوليَّة، وهو لا يقدر على إقامة لقب مسألة فيها، لكنه يدعي بزعمه الفضل وهو عار عنه، وما أجدره بما قيل: القرنباء في عين أمها حسنة، والخنفساء تسمي بنتها القمراء، وأعجب من هذا أنه دعا إلى الإمامة! وهو منها على أميال وبُرد، ومن استحقاقها على مسافات ومراحل، ولقد علم الله وكفى به عليماً أنه لم يحرز صفات العدالة فضلاً عن إحراز خصال الإمامة!! ومن الخزي العظيم أنه تسمَّى بأمير المؤمنين![3] وليس معدوداً من جملة المؤمنين فضلاً أن يكون أميراً لهم! فحاشا الله.

وكلما قد لفَّق طرفاً من علم الفقه، وأحرز نبذةً من أقوال الفقهاء لم يحط بأغوارها، ولا تغلغل نظره في دقيق أسرارها، لم يدرك التفرقة بين الشرط

---

(١) الإبريز: هو الذهب الخالص.

(٢)الإرزيز: من الرزاز وهو الرصاص، وقيل: التراب.

(٣) حاشية في (أ، ب): إشارة إلى السيد أحمد بن علي بن أبي الفتح.

والعلَّة؟ ولا أحرز الميْز بين المخيل والشّبه؟ ولا خطر له على بالٍ محصول كلام الأصوليين في قياس العلة وقياس الدلالة، ولا استولى فكره على التفرقة بين قياس الطرد وقياس العكس، والمفرد والمركب، ولا وصل إلى حقيقة الفصل بين الظاهر والنص، والمجمل والمتواطئ، إلى غير ذلك من الأسرار الأصوليَّة، والمضطربات الاجتهادية، وهيهات هيهات ما أبعده عن ذلك، ولو سُئل عن التفرقة بين جزء العلة ووصف العلة، وشرط العلة وركن العلة لم يفه لسانه بحلوة ولا مرَّة، ولنا أسوةٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث عارضه مسيلمة الكذاب، وعلي عليه السلام حيث عارضه معاوية، والخوارج، وأهل النهروان، والحسين في معارضة يزيد[1] له، وغيرهم من سادات أهل البيت عليهم السلام.

(١) يزيد بن معاوية: السكير الهاتك للحرمات، القاتل أولياء الله وآل بيت رسول الله، وأصحاب رسول الله، والأخيار والهداة، من أعظم موبقاته وأكبر جرائمه قتل الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله وابن بنته فلذة كبده، ومن معه في كربلاء، ووقعة الحرة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل فيها أولاد المهاجرين والأنصار ستة آلاف نسمة فيهم أكثر من سبعمائة صحابي، واتفق آل محمد عليهم السلام على كفره وخروجه عن دين الله، وعلى ذلك كافة الشيعة في الأقطار، وسائر الأمصار، وأما غيرهم فقال الذهبي في سير أعلام النبلاء [٤/ ٣٧] عن محمد بن أحمد بن مسمع قال: سكر يزيد فقام يرقص فسقط على رأسه فانشق وبدى دماغه، وقال: كان ناصبياً فظاً غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الحسين، واختتمها بواقعة الحرة. اهـ. وجوّز لعنه كبار علماء السلفية، ومنهم الكردي الحنفي والصفاري، وابن الكمال، وأبو يعلى، وأحمد بن حنبل، وأكد التفتازاني أن يزيد رضي بقتل الإمام الحسين وإهانته وإهانة أهل البيت عليهم السلام وأنه تواتر معنى، ثم قال: فنحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. اهـ. وقال ابن حجر المكي: ويزيد بن معاوية فإنه من أقبحهم وأفسقهم -أي

وإنه ما زال معارض لكل من قام منهم بهذا الأمر، وهذا كله من شؤم الدنيا وهوانها على الله -عز وجل- وبلوى أيضاً وامتحان، ومصداقه قوله -عز وجل- ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[العنكبوت: ١، ٢].

والذي يقضي به العجب أنه على ضلالته، وعتوه واستكباره في جمعه وجهالته أنه لا يجد مستروحاً إلا سلَّ عضب لسانه بالأذية لإمام المسلمين، ولأفاضل العلماء وأهل الصلاح والتقوى، الذين جدوا في نصرة الدين وهجروا لذاتهم، وأسهروا لياليهم في طلب رضوان الله، وإحراز ثوابه، وشغلوا أنفسهم في جهاد أعداء الله -تعالى- بالسيف والسّنان، والعلم واللسان، وإحياء شرائع الدين وأحكامه، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، كأنه لم يخرق قرطاس سمعه قوله -تعالى- ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣] ولا

بني أمية- بل قال جماعة من الأئمة بكفره. اهـ. وقال ابن حزم: هتك يزيد الإسلام هتكاً، وانتهب المدينة ثلاثاً، واستخف بأصحاب رسول الله ﷺ ومدت إليهم الأيدي، وانتهبت دورهم، وحوصرت مكة ورمي البيت بحجارة المنجنيق، وأخذ الله يزيد بعد الحرة بأقل من ثلاثة أشهر وأزيد من شهرين ونصف في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين وله نيف وثلاثون سنة. اهـ. ولابن الجوزي ردٌّ على من حاول الانتصار ليزيد سماه «الرد على المتعصب العنيد» واستوفيت النقل لشيء كثير من أخباره وأقوال المسلمين فيه في رسالتنا «الإصابة» وفي «ضياء الأهلة وبيان الأدلة» نفع الله بهما المسلمين والمسلمات وكتب لنا الأجر والثواب.

وزعه وازع الوعيد بقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «**من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن أذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله**» قال الله عز وجل ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا**﴾ [الأحزاب:٥٧] فلا هو عرف حاله، وقِصَرَ باعه، وفتور سيره عن بلوغ التحقيق وذراعه! ولا هو سكت عن عي وفهاهه، فلو سكت الجاهل ما اختلف الناس، فالله خصمه فيما نقل عنه وقال، ومجازي له بالخزي له على ما أفتى من مسالك السُّفهاء وأهل الزيغ والضلال، وهذا عارض أحببنا إطلاعك أيها الفقيه على جرأته على الله، وزيغه عن الدين[1]. اهـ

ولا شك أن الإمام يحيى عليه السلام قد تحامل على الفتحي ولا يلام بالنسبة إلى علم الإمام يحيى عليه السلام فهو أي الفتحي لا يساويه ولا يضارعه، هذا مع سلّ لسانه على الإمام عليه السلام وعلى أصحابه من العلماء والفضلاء والمجاهدين معه، ومحاولة التشنيع عليه والتخطأة له، ومع ذلك فهو متأخر الدعوة ولم يذكر عن أحد ممن بايعه أو عاضده سوى القاضي يوسف بن محمد الأكوع قاضي صنعاء فقد قيل: إنه عاضده، والله أعلم.

وتعرض الإمام يحيى عليه السلام للفتحي في رسالة أخرى بعثها إلى الإخوان بحوث وذكر أنه شاق لعصا المسلمين، وأن قيامه بدعة وضلالة ومنقصة وجهالة.

---

(١) مجموع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام [٢٧٥-٢٦٠] بتحقيقنا.

هذا وقد أقام الإمام الفتحي على قطع طريق صعدة ومخاليفها وأخاف المارة فيها مدعياً أن أمراءها ظلمة ومن أتباع الظالمين فلما نقم عليه اعتذر بجواز ذلك لكونه إماماً، وادعى أن الرعايا تابعون لحكمه، وقد أجاب عليه العلامة الشهير المطهر بن محمد بن تريك -رحمه الله- بجواب طويل وذكر فيه: أن كلامه هذا مبني على ثبوت أصل وهي ثبوت الإمامة مع أنها مبنية على شفا جرف هار وهو ثبوت الإمامة لك -أي الفتحي- وكونك أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهذا الأصل لا يثبت عندنا **مع تقدم الإمام يحيى بن حمزة ودعوته إليها قبلك،** حتى وأنت منازع في ثبوت شرائط الإمامة **والإمام يحيى قد ثبت عندك وعند ذوي البصائر أنه مبرز في فنون الإجتهاد**... اهـ المراد منه وفي هذا الكلام كفاية لذوي الألباب، ومع ذلك فقد أورد على الفتحي من المسائل وغرائب العلم نيفاً وثلاثين مسألة وأورد عليه في كل فن عشر مسائل يختبر بها الفتحي ومبلغ علمه[1].

ولم يذكر الناقلون للفتحي أي جواب أو ردٍّ فقد حار عندها ووقف عن الجواب عنها.

ومع ذلك فقد ردَّ العلماء دعوته ولم يستجيبوا له ولم يتم له أمر ومنها استكن، وقام بالدعوة بعد وفاة الإمام يحيى عليه السلام ولم تقبل دعوته وقد ضمَّن

(١) انظر المستطاب -خ- وغيره.

الإمام الواثق المطهر بن محمد ذلك، كما سيأتي إن شاء الله.

ولما كان يوم العراقية كان مع آل الحمزي ضد الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام فرماهم الإمام علي بن محمد بالمنجنيق وكتب السيد أحمد بن علي الفتحي كتاباً ينتقده -كعادته يكثر الترويج بالكتابة- فلم يسمع منه أحد ولم يقبل قوله لكونه مخالفاً على الإمام المهدي عليه السلام كما ذكر ذلك الهادي بن إبراهيم الوزير في كريمة العناصر.

والمصادر لم تأت بما يجب عن سيرة الإمام الفتحي هذا ولا عن دراسته ولا تلامذته ولا عن شيء من أخباره وما ذكرته هنا إنما ما وقفت عليه أمانة للتاريخ ولنقل بعضهم المعارضة فأردت التوضيح كوني أكتب في سيرة الإمام يحيى عليه السلام والله يغفر لنا ولهم فالنيات والمقاصد يعلمها الله سبحانه ويتولى ذلك.

ثالثهم: الإمام الواثق المطهر

وقد ذكر بعضهم أن الإمام المطهر بن محمد بن المظلل بالغمام -عليهم السلام- قد ادعى الإمامة أيام الإمام يحيى عليه السلام وبعضهم أنكرها إنما ادعاها أيام الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام، ولكن اتفق أهل العلم ونقلة الأخبار والآثار أنه تنحى للإمام يحيى عليه السلام عنها،[1] لو صحَّ أنه دعا إليها.

---

(١) ذكر ذلك في كتب السير والتاريخ حتى القاضي الأكوع في هجر العلم في ترجمة الإمام الواثق عليه السلام.

وقد أشار الإمام الواثق عليه السلام إلى بطلان إمامة الفتحي[1] بقوله:

قالوا: عصيت كما دعوت وأحمد داعٍ وليس لأحمد من مخرج

قلنا: صدقتم دعوتي مشروطة بفساد دعوة أحمد البر النجي

حتى أتت أفواج حوث ثلة تختال بين مقمص ومتوج

فبما هم نقضوا إمامة أحمد هل كان في نحله في المنسج

وهذا يدل على أن العلماء عدلوا عنه وعن الفتحي، ولعل هذا أيام الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام.

وفي سيرة المظلل بالغمام وأولاده وأحفاده تعرض لبيعة الناس للإمام يحيى عليه السلام ولم يذكر أن الواثق عليه السلام دعا[2]، وأثنى فيها على الإمام يحيى عليه السلام، وكان الواثق عليه السلام ممن أكثر الثناء على الإمام يحيى عليه السلام ولو لم يقل إلا هذا البيت:

وسيد سادات الأئمة عن يد مؤيدها يحيى بن حمزة قدوتي

وله فيه ترثية عظيمة سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

---

(١) ولعل الكلام أيام الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام ومعارضتهما له.

(٢) لفظ ما في السيرة بعد ذكره لوفاة الإمام محمد بن المطهر: قام بعده الإمام يحيى بن حمزة سنة ٧٢٩هـ واستمرت دولته إلى سنة ٧٤٩هـ وفي هذه السنة قام الواثق داعياً ودعا الدعوة الكبرى في شهر محرم سنة ٧٥٠هـ. اهـ المراد

وعلى كل حال فإن إمامة الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام هي التي ثبتت واستقرت.

ففي ورح الأخبار: ولم تستقر إلا دعوة الإمام يحيى.

وقال إسماعيل بن جعمان: وعلى منهاج الشرع لم تستقر إلا دعوة الإمام يحيى.

ثم علل ذلك بأن السيد علي بن صلاح لم يقل بإمامته السيد يحيى بن الحسين ((صاحب الياقوتة)) وهو أشد من تابعه، وهذه عجيبة من السيد يحيى!! فهذا يدل على أن الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام هو الإمام كامل الشروط وأن خروجه ضد الإمام يحيى عليه السلام كان بغياً.[1]

وأما الفتحي فهو متأخر الدعوة، وأما الواثق عليه السلام فلم يدعُ إليها وقد رجع عنها إن صح أنه دعا إليها وكل هذا مع فرض الأهلية، وأما مع عدمها وثبوت المنازعة في عدم تحققها -أي شروط الإمامة كاملة- فيهم، وتحققها في الإمام يحيى عليه السلام إجماعاً فإنها لم تثبت إلا دعوته..

---

(١) ذكر ذلك في كتاب ((المشاهد)).

موقف للإمام يحيى عليه السلام يدل على سماحته مع معارضيه

كان السيد محمد بن أبي القاسم عالماً كبيراً، كما وصفه بعضهم بأنه يصلح للإمامة، وكان إمام جامع مدينة حوث وتزوج بابنة الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام لعلها الشريفة الفاضلة/ فاطمة بنت الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، ولما نهض الإمام يحيى عليه السلام بالإمامة وبايعه العلماء والخاصة والعامة لم يأت للبيعة، وكان يحضر الجمعة، فقيل له: كيف تحضر الجمعة وهي للإمام يحيى عليه السلام؟!! فامتنع ولم يحضر، فلما رأى أولاد الإمام منه الإعراض رجحوا إخراج أختهم منه، فقال لهم الإمام يحيى عليه السلام: سبحان الله وهل الإحتفاء إلا في أمور الدين، والسيد إذا نفر منا شبراً تقربنا منه ذراعاً..

فهل بعد هذا التسامح والفضل شيء مع أن السيد محمد بن أبي القاسم ظل نافراً يدل على ذلك أن الإمام يحيى عليه السلام لما وهب كسوة للسيد محمد بن المرتضى وقَبِلَها أمره السيد محمد بن أبي القاسم بردها!! (١)

ولم يتعرض له الإمام يحيى عليه السلام بأي أذية لا في بيته ولا أهله، ولا من قريب ولا من بعيد، وهو قادر على ذلك، ولعله تراجع بعد ذلك، والله أعلم.

---

(١) المستطاب -خ-.

إضافة إلى مواقف المعارضين

ويبدو جلياً أن الإمام يحيى عليه السلام لم يكن يحب مواجهة معارضيه من الداخل -كما سبق- ونضيف إلى ذلك حكاية المختار بن قاسم، كان الإمام عليه السلام يعتني بالمختار ويهتم به ويدعوه إلى الجهاد، وكان مع الإمام عليه السلام ومن المبايعين له، ولما وصل الإمام عليه السلام إلى الشرف قلب ظهر المِجن، وخالف عليه، وكان الإمام عليه السلام قد أركبه بغلته فسار ليفسد أهل البلاد، فركب على البغلة فتعثرت به وكسرت رقبته، فمات من ساعته[(١)].

ومثل ذلك لما لزم الإمام عليه السلام الأمير الحسين وهو من أهل جبل الحرام[(٢)] تقدم أصحاب الأمير إلى وادي مور يرصدون فيه ولد الإمام وهو السيد عبدالله بن الإمام يحيى، فنزل عليهم السيل وحمل منهم قريب عشرين رجلاً،[(٣)] ونجى السيد العلامة عبدالله بن الإمام يحيى بمن معه.

وكان الإمام ربما يتوجه إلى الله بذلك، فربي قريب مجيب لوليه وناصر له، ولما خالف بعض أهل صعدة عليه وخالفوه فيما وعدوه فسلَّط الله عليهم شدة عظيمة لسنين كثيرة، ثم توالت الحرب العظيمة فيما بين الأشراف وأهل صعدة، وذلك مما عُرِفَ واشتهر[(٤)].

---

(١) الترجمان –خ–، تتمة الإفادة.

(٢) جبل حرام في عزلة الأمرور في مديرية الشاهل محافظة حجة.

(٣) الترجمان –خ–.

(٤) في الترجمان: وذلك معروف مشهور.

المعارضة الخارجية

مع المجاهد الرسولي

أما معارضة الباطنية فقد تقدم ذلك وأما عن المجاهد الرسولي فنقول:

كان الملك المجاهد(١) علي بن داود بن يوسف أحد ملوك الدولة الرسولية باليمن، وقد ساد في بعض أيامه الهدوء النسبي في شمال اليمن سيما أيام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، وقد أرسل له الإمام يحيى عليه السلام رسالة وكتب إليه كتاباً لعله أول كتبه ورسائله إلى المجاهد وفيها أكثر من مديحة بالألقاب والتعظيم له في الملك، وهي رسالة تدل على سياسة الإمام يحيى عليه السلام وتعامله مع خصمه

---

(١) المجاهد: هو الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف أحد ملوك الدولة الرسولية باليمن، وصفه بعضهم بأنه كان ملكاً شجاعاً، كريماً، شاعراً فصيحاً، وأنه أعلم ملوك بني رسول ووقع عليه من نوائب الدهر ما يقضي منه العجب، وذلك أنه ألقي عليه القبض سنة ٧٥١هـ في أيام الحج بمكة وتركه جنده، وتسلّم للمصريين، فأخذت أمواله وأخذ أسيراً، ورأى في سجنه ما تقشعر له الجلود، وظل أسيراً إلى سنة ٧٥٤هـ ولله الأمر من قبل ومن بعد، مولده سنة ٧٠٦هـ وقام بالملك سنة ٧٢٣هـ وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٦٤هـ، مع اشتهاره بشرب الخمر والولوع به، كما ذكر ذلك الجندي وغيره.

قيل في المجاهد:

فاستنطق الأوتار واشرب واسقني   فالكأس طالقة إذا لم أشرب

باللين والرفق والموعظة الحسنة، ثم يذكر له قيامه بالإمامة وإجماع أهل العلم والفضل عليه وأسباب اختياره وما الداعي إلى ذلك **فقال** عليه السلام: نعلمه بقيامنا لله، ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تلبسنا من أثواب الإمامة، وتحملنا من أعباء الزعامة، وما كان ذلك منا عن عجل ولا طيش ولا فشل، ولا مسارعة منا إلى زخارف الدنيا وشهواتها، ولا ميلاً إلى عاجل حطامها ولذاتها، بل كان عن تؤودة وترديد نظر، وبصيرة واضحة تحكي إشراق النهار، وحجة ظاهرة علينا للملك الجبار، وإجماع من سادات أهل الدهر، واتفاق من علماء الوقت والعصر، وأمر من أولى الرئاسة وباذخ المجد والفخر، بعد بذل واسع الجد والجهد منا في طلب الرخصة، وشدة الطلب والبحث لمن يقوم بأمر العامة والخاصة، فلم نجد إلى ذلك سبيلاً يسقط الفرض، ويطمئن إليها الخاطر، ولا مندوحة في التأخر يكون لنا عذراً عند الغائب والحاضر، ولا لاح لأحد من الأفاضل شبهة تسقط ذلك عنا، ولا استقر عندهم برهان تنشرح به صدورهم وصدورنا، بل حملنا الكل منهم على القيام بذلك، وسلوك ما تقدم وسبق لآبائنا الأكرمين من المسالك، ثقة منهم بفضل من حملوه وكماله، وخبرة أتقنوها في نهايته في خصاله، وصلاحه في جميع أحواله، واستعظاماً منهم لما رأوه من ظهور الفساد، وعاينوه من انتشار التبطنة والزندقة والإلحاد، من هذه الفرقة الحائدة عن الدين، المارقة عن كافة مذاهب المسلمين، الذي جحدوا الأمور الأخروية، وحرفوا الآيات القرآنية، وأعظموا الافتراء، وأجمع

على كفرهم أئمة العترة والأمة من غير شك ولا مراء، وعُصي الرحمن، وأرضي الشيطان، وانطمست معالم الدين وآثاره، وامَّحت رسومه وخفض مناره، واضطهد أهله وكانوا أعزاء، وامتدت أيدي الملاحدة وصارت كلمتهم العليا، وكاد أن يظن من الحق الإياس و﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[الروم: ٤١] فعند ذلك قلدنا أنفسنا ما افترض علينا ربنا من دعاء كافة الخلق، إلى الله وإلى مناهج الحق، والذب عن حوزة الدين، وجهاد الملاحدة والمفسدين، ومنابذة كل ظالم، ومباينة أهل الفسوق والمآثم، وقمنا بالإمامة، وتقمصنا أثواب الزعامة، وتحملنا أمر خاصَّة هذه الأمة والعامة، وقطعنا العلائق، وشمَّرنا عن ساق الجد بهمة أمضى من الصوارم، وعزيمة يخافها في الأرحام[1] الأسود الضراغم، وفي الآكام الأراقم، عقد لنا بذلك أهل العقد والحل، وبايعنا عليه الجهابذة من ذوي العلم والفضل، ودخلوا في الإمامة أفواجاً، وسارعوا إليها فرادى وأزواجاً، وحفوا بركابنا، وتعلقوا بأهدابنا، علماً منهم بلزوم ذلك ووجوبه، واستدلالاً منهم بقوله -تعالى- ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ﴾[الأحقاف: ٣١] وقوله عز سلطانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] وأولو الأمر هم الأئمة العادلون بإجماع كافة الأمة، وقوله

(١) هكذا في الأصل ولعلها في الآجام والله أعلم.

عليه وآله السلام «من سمع واعيتنا»[1] الخبر، فحينئذ ظهر ضوء صباح الحق وسطع، واستبان نور قمره وطلع، ووجب الانقياد لأمر الله سبحانه وأمرنا، والحتم على كافة الخلق طاعته وطاعتنا، فلا عذر لأحدٍ من الخلق بعد ذلك في الخروج عن حكمنا، ولا حرج علينا فيمن خالفنا إذا أنفذت فيه بصيرتنا، وقد تعين على الكل التزام الطاعة وامتثال الأوامر بقدر الجهد والاستطاعة، فالممتثل مندرج في زمرة المؤمنين، والمخالف معدود في جملة البغاة الفاسقين المتمردين، هذا هو الحق الذي لا ريب فيه ولا لبس، والمنهج الذي لا زيغ في رسمه ولا طمس، بل حق تلألأت أنواره، ومنهج طلعت شموسه وأقماره إن شاء الله -تعالى- يعيذنا عن الميل عما يريده ويرتضيه، والانحراف عن الانقياد لأوامره والانتهاء بنواهيه، هذه هي الضلالة من غير شك ولا ارتياب، والجهالة الموجبة لعظيم النكال وشديد العقاب، وكيف لا يتبع رجل من أهل بيت النبي المختار يرجو باتباعه النجاة والفوز من عذاب النار؟! قال -تعالى- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ..﴾ الآية[البقرة:

---

(١) روى نحوه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في المجموع ، والإمام المؤيد بالله في شرح التجريد -خ- ، والإمام أحمد بن سليمان في أصول الأحكام [٢/ ١٤١٢]، ورواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في الشافي[٣/ ٦٧]، وفي العقد الثمين [٢٤٤]، وفي شرح الرسالة الناصحة [٢/ ٥٣٥]، والسيد العالم حميدان في المجموع[٤٤٠] والأمير الحسين في الينابيع والشفاء، والشرفي في شرح الأساس الكبير [٢/ ١٨٩]، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين[ص٨٠]. وأخرجه الطحاوي، والمزي في تهذيب الكمال [٩/ ٥١٩].

١٤٣].. فنحن أهل البيت الشهداء، والناس المشهود عليهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح**» الخبر، وقال: «**أهل بيتي كالنجوم**» الخبر، وقال: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم**» الخبر، إلى غير ذلك، وذلك مما يعرفه العارفون، ولا ينكره المنصفون، أم كيف لا يجاب من يذب عن دينكم بالسيف والسنان؟! ويوضح براهين عقائدكم بالقلم واللسان؟! ويحمي حوزتها والجناب، ويحيي ما اندرس من علم السنة والكتاب، ومنهج طرق العترة الراشدين، وأصحاب رسوله البررة الأكرمين، ويسير بسيرتهم، ويقفو آثارهم، ويعرف ويعرِّف الحق، ويعدل بين الخلق، فما بعد ذلك من غاية تطلب، لمن كان صحيح العقيدة والمذهب؟! فبادروا إلى إجابة هاديكم إلى الخير والتقوى، وبادروا إلى تلبية دعوته في السر والنجوى.[1] اهـ

ثم يدعوه إلى عدم مخالفته قائلاً: نعيذ بالله[2] من التعرض لسخطه لمخالفتنا، والتأخر بغير عذر عن نصرتنا، فلا عذر بعد وضوح الحجة، ولا مندوحة في التأخر بعد إيضاح المحجة ﴿**إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ**﴾[هود: ٨٨] الآية.. جاء الحق وزهق الباطل، واضمحل سلطان من كان عنه مائل، واستبانت سبل الهدى وسادت أركانها، وخمدت نيار الظلمة

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦٠٦-٦٠٩].

(٢) أي نعيذك بالله.

وأجنادها وأعبائها، وعاد المستضعفون أعزاء، والمتجبرون أذلة ضعفاء، ورجع سيدهم المسود، واسودَّ وجه الظالم العنود، وظهرت كلمة أولياء الله وأوليائنا، وتأججت نيار من دانانا وقاربنا.

أما والله إنا لا نترك لظالمٍ بسطه، ولا نرضاه في بلد ولا خطة، هذه هي السيرة المرضية للرحمن، والسجية التي يرضى بها لنا كافة الإخوان.[1] اهـ

ويدعو إلى نصرته في قتال الباطنية الأشرار قائلاً: فبادروا إلى ما وعدكم مليككم الجبار، ولا تكونوا لغضبه متعرضين بالتأخر والاستكبار، وليعلم المقام الأعظم أنا ما طلبنا بهذا الأمر إلا إبانة معالم الدين، ومحو آثار ما عداه من عقائد الملاحدة الجاحدين، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة ما عداه هي الراكسة السفلى، ما قمنا لمشاركة أهل الدنيا فيها، ولا لإزالتهم عن أمرهم، ولا حطهم عن مراتبهم، ولا من مذهبنا إنكار عقائد أهل القبلة وفقهاء الأمة، ولا طعناً عليهم في مذاهبهم، بعيدون من الإكفار، **منصفون في حال المناظرة والاستبصار، فمن شاء الخبرة والامتحان، فهذا الفرس والميدان**، ومن أجل ما عرف الكل من السادات والأفاضل، وتحقق الكل من أمراء الشرف، وأكابر العرب ورؤساء القبائل، من حسن سيرتنا، وطيب سريرتنا، ولين عريكتنا، ومحمود طريقتنا، أجمعوا على إقامتنا، واتفقوا على نصرتنا، وسارعوا إلى

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦٠٩].

جماعتنا وجمعتنا، فأقبلوا إلينا مهطعين، ودخلوا في حكمنا طائعين، وبادروا إلى دعوتنا مسارعين، وبذلوا مهجهم الكريمة في الجهاد، وأجابونا من نائي الآفاق وأطراف البلاد، ونحن راجون في المقام الأعظم حسن الرجاء، وأن يكون مبادراً إلى ما ندبناه إليه من الخير، ودللنا عليه من سبيل النجاة والهدى، فبذلك ينال خير الدارين، وتقر له كل قلب وعين، ويظفر بالسعادة، ويفوز بالحسنى وزيادة ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ..﴾الآية[النساء: ٦٤]. تم ذلك. [(١)] اهـ

ويبدوا أن الملك المجاهد لم يحرر جواباً أو تباطئ عن الجواب، والإمام عليه السلام يتابع ويلحظ تحركات الملك المجاهد مما لزم تقديم النصيحة له وأبدى الإمام عليه السلام فيه شيئاً مما يعاب على المجاهد ونلاحظ أن الإمام يحيى عليه السلام لم يكثر الثناء في رسالته الثانية، هذا وقد ذكَّره ووعظه ودعاه إلى ثلاث خصال:-

الأولى: تقوى الله وإحياء الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من إماتة كل بدعة وإحياء كل سنة، ويشير الإمام عليه السلام على الملك بمتابعته والقول بإمامته.

الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا يستقيم الدين وعموده إلا بهما، ويذكر الأدلة على ذلك وبوجوبهما على السلطان لمكان سلطانه، فهما

---

(١) مجموع الإمام يحيى عليه السلام [٦١١].

عليه، والحجة عليه بهما لازمة، ثم يشير إلى خصال مذمومة في المجاهد **فيقول:** وأي منكر أعظم من شرب الخمر!! الذي لا خلاف في تحريمه بين الأمة[1] وذكر الأدلة، ثم فاحشة الزنا والأدلة على ذلك.

الثالثة: ترك الإفراط في المظالم العظيمة والإستبداد بأموال الخلق الجسيمة وتجاوز الحد في إزهاق الدماء.[2]

ثم يوضح الإمام عليه السلام للمجاهد الرسولي ذلك قائلاً: فأجل ما ننقم عليك في هذه الخصال ومعظم ما نأمر به التخلي عن هذه الخلال.[3] ودعاه إلى الالتزام بما نصحه وهو اللائق بمكانته، والمراد الإبلاغ له والتحذير، وقد صدرت الرسالة من الإمام عليه السلام وهو بالمحطور من بلاد الشرف شمال غرب مدينة حجة، سادس وعشرين من شهر ربيع الأول، ولم يذكر السنة ولعلها سنة ٧٣٥هـ والله أعلم.

ولكون المجاهد كان صغيراً في سنه وقد كثرت عليه المخالفات ولم تستقر به الأيام فلم يُنازع، ولم يجب أو أنا لم نعثر على الجواب كسائر رسائل الإمام عليه السلام.

---

(١) المجموع [٦٣٩].

(٢) المجموع [٦٤٠].

(٣) المجموع [٦٤١].

وكانت بلاد التهائم مما يقع عليها التعارض كون بعض الشافعية كان يميل إلى حكم الدولة الرسولية، فأبلغه بعضهم بتمكن أتباع الإمام عليه السلام هناك، فأرسل المجاهد كتاباً يتهددهم وقد تعرض الإمام يحيى عليه السلام لذلك في جوابه على العالم الصالح أحمد بن علي بن شافع من منطقة أم الخشب من صبيا، فذكر صلاة الجمعة وأن أمرها إلى الإمام ثم قال: وقد بلغنا أن المجاهد كتب كتاباً. [1] وكان في كلامه تهديد للزيدية، لكن الإمام عليه السلام عازم على حرب المجاهد، وأنه لن يجيبه إلا بالجيوش، ثم الإمام يحيى عليه السلام يؤكد أن الجمعة تكون تابعة للإمام ولا معنى لجمعة الشافعية أو الحنفية أو غير ذلك، بل جمعة واحدة تابعة للإمام ولا يجوز ذكر المجاهد ولا غيره: فلا ينبغي أن يدعا للسلطان على رؤوس المنابر..... والذكر فيها لنا. [2]

ويؤكد أن ذكر المجاهد أو غيره لا يجوز في خطبة الجمعة: ونحن لا نرى ذكر الظلمة على المنابر ومديحهم وإعظام شأنهم. [3]

ويذكر مؤرخوا الدولة الرسولية بأن نشاط الزيدية قد ازداد بشكل كبير منذ بداية عصر المجاهد الرسولي، للخلافات التي وقعت في أيامه فيما بينه وبين أفراد أسرته من بني عمه وأقاربه، ولاضطراب الدولة الرسولية داخلياً

---

(١) مشكاة الأنوار –المجموع [٢٢٢].

(٢) مشكاة الأنوار –المجموع [٢٣٠].

(٣) مشكاة الأنوار –المجموع [٢٢٣].

بفعل القوى القبلية، وكان أسلوبه -أي المجاهد الرسولي- ومعاملته لأمراء جنده معاملة سيئة جداً، واعتقل بعض أقاربه.

ففي سنة ٧٣٠هـ كان النزاع بين المجاهد والظاهر عبدالله بن المنصور أيوب بن المظفر يوسف الرسولي، وقد ظل ذلك لسنوات واستطاع المجاهد بحصاره له أن يشتري أصحابه ويطوّق عليه فاستسلم بعد الأمان، ولكن المجاهد حبس الظاهر لما تسلَّم له وقتله خنقاً سنة ٧٣٤هـ.

ثم خالفه الغياث السبائي وخرب بلاده، وخالفه أهل صبر فقتل نحو أربعمائة ٤٠٠رجل وقطعت رؤوسهم وطيف بهم في البلدان.

وكان في سنة ٧٣١هـ قد زحف على أهل مطران عزلة من المعافر وقتل الزعيم الأمير شجاع الدين -وكان من أياديه وأعوانه- بسبب وشاية كاذبة**!!**

وكان غضبه على أهل صبر كونه في أول دولته كان قد حوصر أي المجاهد ورمي بالمنجنيق ولم ينصروه حتى حبس، فلما تمكن زعم أنهم لم ينصروه فأوقع بهم القتل والتشريد.

وفي سنة ٧٣٣هـ كان لا يزال محاصراً للظاهر الذي استسلم سنة ٧٣٤هـ وأودع قصر الإمارة فقتل.

وفي سنة ٧٣٥هـ قتل ابن عبدالمؤمن أحد أعضاده وأنصاره.

والعجب أنه في سنة ٧٣٨هـ ذكر ابن الديبع أن المجاهد جهز فيها إلى ذمار

خيلاً كثيرة فأخذوها قهراً بالسيف ثم حطوا على هران فأخذوه قهراً!![1]

ويذكر أنه في سنة ٧٣٩-٧٤٠هـ قام بالعمائر والمباني وبناء المدارس، لكن كان لا يسلم من المنازعة، ففي سنة ٧٤١هـ خالفت عليه المعازبة فنزل بنفسه وجنده إلى حيس ومنها إلى المعازبة وقطع نخلهم وأسر طائفة وغرقهم في البحر!! وأخرب ديارهم خراباً عظيماً، واستهزأ بهم فولى عليهم امرأة تسمى بنت العاطف تقودهم وتذلهم، وبعد ذلك سافر سنة ٧٤٢هـ للحج ثم عاد إلى زبيد واستقر بها.

وخالفه ابنه المؤيد وخرج عليه سنة٧٤٤هـ واستولى على مدينة المهجم وما قبض عليه إلا بالأمان ولكن والده المجاهد أخذه وضربه لما وصل إليه سنة ٧٤٥هـ ثم قتله سراً ولعل ذلك بالسم والله أعلم.

وقد خالف عليه أكثر أولاده ما عدا الأفضل وهو الذي قام بعده بالحكم.

هذا وقد ثار على المجاهد سنة ٧٤٧هـ المماليك بسبب تأخير نفقاتهم وكانوا قد اتفقوا مع الفائز وهو ابن أخي المجاهد على الإنقلاب عليه وإقامة الفائز،

(١) قرة العيون [٤٣٨]؛ لكنني أستغرب من حصول ذلك بل أستبعده جداً، إلا أن يكون بعد رسائل الإمام يحيى عليه السلام إلى المجاهد أثار ذله وخشي ذلك فأعدَّ لاقتحام ذمار وأخذ حصن هران ثم تراجع، أما أنه هجم وأخذ الحصن فغير صحيح، مع أن الحكاية لم يذكرها أحد من مؤرخي الزيدية ولا غيرهم إلا أن يكون نقلاً عن المصدر السالف.

لكن فشلت خطتهم، وهجم المجاهد على الفائز وأخذه وقيده وأرسل به إلى تعز ومات في السجن سريعاً، وما أسرع ما كان يموت من يدخله المجاهد إلى السجن!!

وخالف عليه أهل الشوافي فسار المجاهد سنة ٧٤٨هـ لقتالهم فقتل جماعة وغرَّق آخرين!! وكحل آخرين !! وأذلهم إذلالاً شديداً.

من خلال هذه الدراسة المستعجلة لأيام المجاهد نجده عاش بين النزاعات والصراعات وكثرة الإختلافات مما شغله عن مواجهة الإمام يحيى عليه السلام أو الإعتداء على دولته وعدم التقدم عليه، وكان له قسوة في التعامل مع خصومه وإن كانوا أقاربه أو أنصاره، فقد أفرط في القتل بالسيف والخنق والإغراق!!

وصدق الإمام عليه السلام في نقمه عليه ذلك،[1] مما أدى كل هذا الصراع على المجاهد من استقرار الإمام يحيى عليه السلام وبقاء دولته الحميدة دون أي تعرض يذكر، وكون الإمام يحيى عليه السلام قد عانى أيام دولته من النفقات على الجند ومن إعداد كثير من السلاح والحاجات الكافية ليتم له إتمام الغزو والهجوم بل كل واحد منهما استقر في مكانه محافظاً على بقاء دولته وما تحت يده وتصرفه.

هذا مع أنه قيل: إن المجاهد كان من العلماء، ولعله أعلم من تولى من ملوك الدولة الرسولية، وذكر عنه بعضهم ميله إلى أهل البيت وأنه كان مشهوراً

(١)وأما الخمر فقد ذكر إفراطه فيها العلامة المؤرخ الجندي في كتاب السلوك.

بالمحبة لأهل البيت، ولعل ذلك نُقل من كلام السيد صارم الدين الوزير عليه السلام ولعل هذا من الأسباب التي جعلت الأمور مستقرة أيام دولة الإمام يحيى عليه السلام بالإضافة إلى ما تقدم ومع وصف بعضهم له بالداهية أو بالدهاء وحسن السياسة.

الفصل الخامس:

من أهم أعماله عليه السلام ومواصلة المشوار

نجد أنه عليه السلام سعى جاهداً لتعليم الناس، وبث روح الإيمان فيهم، ومحاولة صفاء قلوبهم وانشراحها، وكانت آثاره حسنة وأعماله زاكية، وحينما دخل صنعاء هدم الكنيسة العظمى التي كانت بصنعاء وكان موضعها عند مسجد عياض[1] ذكره السيد صارم الدين في هامش الهداية، ودخل إلى مدينة حوث في آخر يوم من شهر رمضان سنة ٧٣٤هـ وأمر ببناء مسجد المدرسة وذلك في شهر صفر سنة ٧٣٥هـ، وكلّف بذلك ولده العلامة عبدالله، وأفرغ عمارته دون القصاص في شهر جمادى الآخرة، فأتمه السيد العلامة محمد بن الإمام يحيى عليه السلام وهذا هو المعروف بجامع الشجرة بحوث، ورحل إلى غربان ثم إلى الشرف وتفقد أحوال البلاد، وأصلح فيها ما تحتاج إليه، كما قام بتأسيس بعض مدارس ومساجد ثلأ[2] وبنى مدرسة بذمار، واهتم بالحصون فبناها، وشيّد القلاع، وبنى في الشرف قلعتين، وشيد القلاع بشبام وغيرها، واستقر بهران غربي ذمار وبنى بها الحصن الشهير، وبنى حصن تلمّص بصعدة مرة ثانية في أيام حكمه، وله أعمال كثيرة.

---

(١) قال في مساجد صنعاء للحجري [٩٤]: من المساجد الدارسة في سوق القص يحده قبلياً بستان مسجد علي وعدنياً ضريح القاضي عياض وهو الآن عرصة لا غير. اهـ وقال ايضاً [٩٣]: ومسجد علي من المساجد العامرة شرقي سوق الحلقة المشهور ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٢) من فوائد سيدي العلامة القاسم بن أحمد بن الإمام المهدي عافاه الله.

((الإهتمام بإخراج كوكبة من العلماء))

وبعد المصالحة وتوقف الحروب انشغل بالتأليف[1] والردود وتثبيت الأمن واستقرار الأوضاع وحل قضايا الناس ومتابعة القضاة، وإرساء العدل بين الناس، ثم توجه إلى فتح المدارس ولذلك فإن العلامة ابن تريك كان يقرأ الأصولين بحوث على يد العلامة قاسم بن أحمد بن حميد، وانشغلوا بالحرب مع الإمام يحيى عليه السلام حتى دخل الإمام عليه السلام صنعاء فأكمل تلك الدراسة على العلامة قاسم في صنعاء، وفي أيامه يذكر بعضهم في ترجمة المهدي بن إبراهيم بن مفضل أنه قرأ بصنعاء وهي في ذاك الأوان مشحونة بالعلماء والفضلاء، وكذلك كانت مدينة حوث وصعدة والظفير وذمار وغيرها تزهو بالعلماء وتزدهر، بل قيل لما اجتمعوا لمبايعة الإمام المهدي علي بن محمد إلى ثلا كانوا نحو ثلاثمائة، وهذا يدل على النتاج العظيم للإمام يحيى عليه السلام.

وكان الإمام عليه السلام داعياً إلى العمل بما تقتضيه الأدلة وذاماً للتساهل في التفسيق والتكفير من غير برهان قاطع وداع إلى حمل الناس على السلامة، ونبذ الطعن في الأعراض المصونة والتمسك بالكتاب وما دلت عليه صحاح السنة والتمسك بالعترة الزكية وأن السلامة في التمسك بهم والعمل بأقوالهم وأفعالهم.

---

(١) أكمل كتابة مؤلفاته وأتمها كالإنتصار وغيره.

كما جعل اهتمامه في العطاء إلى العلماء وطلبة العلم وأنهم محل ذلك بعد الجهاد في سبيل الله، فلهم الدور الأكبر في إحياء الشريعة وإماتة البدعة وإصلاح أمور الأمة.

كما جعل نصب عينيه الفقراء والمساكين والصرف فيهم والعطاء لهم حتى أيام الجهاد ومواجهة الأعداء جعل ناصفة الواجبات في كل بلاد تصرف إلى أهلها من الفقراء والمساكين.

((المناظرات مع مواصلة الأعمال))

ولما عظمت اجتهاداته وكثرت أخذ الناقد ينقد والحاقد ينقم وأخذ الإمام عليه السلام يوضح للناس ويبين بإظهار الحجة، ويكتب ويراسل في ذلك ويطلب من الناس الوصول إليه، ومنهم من كان يقصد زيارته وينال من خيره ويرتوي من علمه، ومنهم من يناظر ويناقش حتى يجد المراهم الشافية من الإمام عليه السلام، وقد قال بعض العلماء: كان وجه الإمام عليه السلام يتهلل إذا ذكرت المراجعة والمناظرة، ولا يمل ولا يسأم، وينشرح صدره ولا يضيق مع حسن أخلاق ولين عريكة، مما ازدادت عند الناس محبته، وستأتي حكاية عن الإمام عزالدين بن الحسن عليه السلام تدل على المناظرات مع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، وكان يتألم إن أصاب الناس شيء من الشدة أو الظلم، فقد روى بعضهم -والله أعلم- أن بعض أصحابه أو ولاته وجنده قتلوا رجلاً خطئاً في أيامه فاستعبر واسترجع وبكى حتى اخضلت لحيته.. إذ هو الساعي في حقن

دمائهم، والحافظ لأموالهم، لا يغضب إلا لله، يحب مخالطة الصالحين، ويجالس المساكين، وينتصـر للمظلومين.

ولا زال يصدر الفتاوى والأحكام طيلة أيامه ومدة قيامه بالإمامة ومن ذلك كمثال ليدل على غيره كتابه إلى الفقيه عفيف الدين إسماعيل وهو فقيه من بلاد الأهنوم في مسألة الطلاق البدعي، وكان قد حكم في ذلك، فقال الإمام عليه السلام في ضمن كتابه: ومعك ولاية من جهتنا وإلا فالحكم مردود. اهـ

وفيه أنه لا زال قائماً بالإمامة وأعمالها، وكانت تلاحظه العناية الإلهية، لما مرّ إلى حوث كان هناك شجرة تسمى النبق في الوادي وكانت تؤذي النـاس أذيـة كبيرة، فدعا عليها الإمام عليه السلام فما غربت شمس ذلك اليـوم إلا وقـد أرسـل الله عليها سيلاً اجتاحها وأزالها بالمرة،،

وسد الثغور، وأصبحت الحصون محفوظة وسـلاح المسـلمين وذخـائرهم وأطعمتهم محميّة تحت يد الإمام عليه السلام وتصـرفه حتى قبضه الله تعالى إليه.

ولا زال يواصل المشوار ويقوم بالأعمال طيلة أيام إمامته، ويـواسي النـاس ويشارك في العزاء ويكتب التعازي إلى آل حنش وآل الرصاص وغـيرهم مـن العلماء أو من ذوي الشأن، ولم يعتزل عن الإمامة ولم يتنحَ عنها إذ لا تزال بيده الحصون وفيها المتاع والكـراع والسـلاح، وتوليـة الأمـراء والقضـاة، وأخـذ الواجبات كالزكاة حتى أخر يوم من حياتـه، ويـدعو النـاس ويحـثهم بتسـليم

واجباتهم إلى من ولاه عليهم لا إلى غيرهم، ولم يزل آمراً بالمعروف ناه عن المنكر، يدين له أكابر العلماء والفضلاء بالسمع والطاعة ومن حاول أن يقول إنه لم يكن "إمام جهاد"!! فقد أنكر الشمس في سراجها، وزاحم البدر في نوره وجلائه، فهو عليه السلام إمام علم وجهاد وجبل من جبال الصبر الراسيات، نشر العدل بين العباد، وجاهد واجتهد حتى أتاه اليقين، سلام الله عليه ورحمته ورضوانه.

وقد قال الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في آخر الجزء الرابع عشر من كتاب الإنتصار: كان الفراغ من تأليفه في العشر الأواخر من شهر رجب الأصب سنة سبع وأربعين وسبعمائة في حصن هران للمرابطة فيه، وكف أيدي الظلمة، ورم نفوسهم عن التطلع للظلم والفساد في الأرض بغير الحق، والله هو المتولي للإعانة لنا على قهرهم وإذلالهم فهو القادر على ما يشاء وهو حسبنا ونعم الوكيل. ا هـ

ولكن حاجة المال في كثير من الأحيان هي التي أوقفت مواصلة الجهاد بالسيف لا في غيره من الأشياء سيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة العلوم وإحياء المدارس العلمية الزيدية ودعمها، والمال لا بد من توفيره للحاجة إليه، ولما دخل الإمام يحيى عليه السلام صنعاء وتحمل أعباء الإمامة وطلبته الجنود أرزاقها والجوامك [هي المرتبات] فطلب من أهل صنعاء الواجبات الشرعية فلم يحصل له طائل منها وترادفت عليه المطالب فلما رأى

ذلك قال: ((**كنا عتبنا على الإمام محمد بن مطهر في وضع القبالات والقوانين ونحن لا ندري بما في وجهه، ولما تحملنا هذا الأمر عرفنا تكاليف الإمامة التي لا يعرفها إلا من مارسها**)) أو معنى هذا الكلام[(١)]، وحقاً لقد تحمل الإمام عليه السلام الأعباء مع وجود البخلاء وكثرة الأعداء فأفتى في الأوقاف بما أفتى مما هو معلوم في كتبه ومجموع رسائله وباع بعض تلك الأوقاف في وقته، وله قدوة وأسوة بالإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام في بيع كسوة المسجد النبوي وصرفها في العسكر وغيره من الأئمة الأعلام عليهم السلام الذين صرحوا بجواز أخذ الإمام لكسوة الكعبة وأموال المساجد للجهاد في سبيل الله وجوز ذلك من ذكرنا والإمام المؤيد بالله والمتوكل على الله أحمد بن سليمان والمنصور بالله والقاضي جعفر[(٢)] ومن أراد مزيداً من الحجج حول الموضوع راجع مجموع الإمام يحيى عليه السلام ورسائله ففيها كفاية، وقد عمل الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام بذلك كما في كاشفة الغمة وغيرها، وللإمام عزالدين بعض التصرفات بشأن ذلك، وأظن الأئمة بعد الإمام يحيى عليه السلام قد عملوا بذلك أو ببعض ذلك مما أفتى بجوازه الإمام عليه السلام كما تشهد بذلك كتب التواريخ والسير، وقد صدق من قال وهو العلامة علي بن عبدالله بن

---

(١) كريمة العناصر -خ-، هذا وقد كان استنكر على الإمام المهدي محمد بن المطهر عليه السلام عدد من العلماء، وقد تولى ذلك عن العلماء السيد محمد بن المرتضى وسأل الإمام المهدي حتى أجابه بأحسن جواب.

(٢) حواشي الهداية، حواشي شرح الأزهار.

أبي الخير: معظم ما تدور عليه التصـرفات الإمامية أربعة أمور: وهي المعونـة، والعقوبة، والمصالح المرسلة، والتضمين. ا هـ[1]

هـذا ومـا للنـاس والإعـتراض عـلى أقـوال الأئمـة واجتهـاداتهم، ومـا أحسـن مـا قالـه الإمـام المهـدي أحمـد بـن الحسـين عليه السلام: وعنـدنا وعنـد غيرنا مـن أئمـة الهـدى أن اجتهـاد الإمـام حـاكم عـلى اجتهـاد غـيره ورأينـا أولى بالإتباع من رأي غيرنا. ا هـ

وقد قال الإمام عز الدين بـن الحسـن عليه السلام: ولـيس ينبغـي التشـنيع في مسائل الإجتهاد التي مبناها على الظن، وقد حكي لنا أنه لما كثر تشنيع الشـيعة على الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في هذا المعنى، وكان عليه السلام كثـير الإسترسـال فيه ووعدهم المراجعة والمباحثة في ذلك فلما اجتمعـوا أشـار إلـيهم أن يعينـوا رجلاً منهم لمحاورته وتولي مراجعته ثم قال لذلك الرجل: أخـبرني عـن هـذه المسألة التي أنكرتم هل هي قطعية أو ظنية اجتهادية؟! فقال: بل اجتهادية.

فقال عليه السلام: إذن لا معنى لما أنتم فيه وعليه، وكيف تنكرون علينا فيما أدانا اجتهادنا إليه –أو كما قال.

وهكذا تظهر براعة الإمام عليه السلام في المناظرة والمباحثة.

وكفى بقول الإمام عليه السلام: ونحن منصفون في حـال المنـاظرة والإستبصـار

---

(١) نقلاً من حواشي الهداية.

فمن شاء الخبرة والإمتحان فهذا الفرس والميدان.

هذا ومن تلك المسائل مسألة الصحابة فقد ذكر أن السيد العلامة محمد بن يحيى القاسمي –صاحب المؤلف الشهير اللآلي الدرية شرح الأبيات الفخرية والتي قالها الإمام الواثق المطهر بن محمد عليه السلام مطلعها:

لا يستزلك أقوام بأقوال ملفقات حريات بإبطال

فشرحها شرحاً نفيساً –قد جاء إلى الإمام يحيى بن حمزة وناقشه في مسألة الصحابة فطلب منه الإمام يحيى عليه السلام التوقف وذكر أنه رجع إلى ذلك أي الإمام عليه السلام، فأنكر واستبعد ذلك السيد يحيى بن الحسين في المستطاب، والذي يتحقق لي أن الإمام يحيى عليه السلام كان في زمن قد اشتغل الناس بالتكفير والتفسيق ويظهر من كتبه ورسائله أنه كان يطلب إما الترضية وإما التوقف، ويؤيد ذلك أنه قال في الرسالة الوازعة: والتوقف أسلم. ولهذا أقنع السيد محمد بن يحيى القاسمي بذلك وألزمه وأنه الرأي، ولذلك اعتقد السيد بأن الإمام عليه السلام رجع إلى التوقف، هذا هو الذي يتحقق ويحمل عليه الكلام كون السيد محمد بن يحيى القاسمي عالماً ثقة متورعاً فاضلاً، ولكن الذي يقع الإشكال فيه هو دعوى السيد يحيى بن الحسين في المستطاب أن الإمام يحيى عليه السلام رجع عن قوله في جواز بيع الأوقاف التي أجازها أيام إمامته حسب التفصيل الذي ذكره الإمام عليه السلام في كتبه ورسائله، ولم يذكر هذا أحد من الأئمة من بعده ولم أجد لذلك مستنداً ولا أصلاً،

وقد كان عليه السلام جازماً حازماً في اجتهاداته وقد كـان يتصـــرف في بيـع مـا يراه جائزاً ويكتب بقلمه الشـريف، وقد قال في بيع بعـض ذلـك في حجـور: وصار المبيع له أحل من ماله؛ وفي بعضها: وصار أحل له من الماء؛ كـما حكـى ذلك الإمام عزالدين في الدر المنظوم.[1]

وإنما كانت أمور المال هي الحالة التي يتشكى الإمـام عليه السلام منهـا، وقـال: فمن كتم عنا شيئاً من مال الله تبارك وتعالى بخلاً وتمرداً عن أدائه ومحبة لجمـع حطام الدنيا فلا بارك الله له فيـه فقـد صـار الجهـاد بـالأموال في هـذا الـزمن والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى النفوس. ا هـ وهكذا يتألم الإمام عليه السلام مـن المتخاذلين ويبكتهم فقد قال عليه السلام في كتاب له: فليت شعري ماذا تنتظرون؟! ومع أي تعدي تقاتلون؟! فمن تأخر عنا لغير عذر شـرعي فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا تغارون على الإسلام؟! ألا تخـافون مـن الوعيـد مـن الملك العلام عـن التقاعـد عـن نصـــرة دينـه، والحمايـة لـذمار نفسـه؟! فقـد استطالت شوكة أهل العنـاد، وظهـر مـنهم التطـاول عـلى المسـلمين بـالكفر والفساد، فاحذروا من الله –تعالى- في التأخر عقوبـة معجلـة، أو قارعـة تحـل قريباً من الديار نازلة.

اللهم إني أشهدك وأنت خير الشاهدين، بأني قد صارحت بالدعاء لهـم إلى

---

(١) وأما امتناعه عن مناظرة بعضهم فلقصور علمهم كما أوضح الإمام عليه السلام ذلك عن الفتحي في رسالته الكاشفة للغمة.

الجهاد ودعوتهم إلى مناجزة الحرب لأهل الكفر والإلحاد، فإن هم انقادوا فالجنة جزاؤهم ورضوان منك عظيم للسابقين، وإن هم تأخروا فإنهم عبادك فأمرهم إليك يا أرحم الراحمين ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] و...اهـ[1]

وقال عليه السلام يخاطب بعض الأمراء: ولا يضنون -أي يبخلون- في مصلحة الدين ببذل الأموال المذخورة. اهـ

وكلامه عليه السلام لو نقلناه لطال فهو من الآلام والموجعات من التشكي من أبناء زمانه وعدم الإمتثال لأوامره وتمرد بعض الشيعة عن جمع المال ومناهضة العدو.

وصدق من قال: لم تساعده الأيام على كل المراد وتحقيق المرام في مناصبة أعداء الإسلام. ولذلك لم يتحقق للإمام عليه السلام ما تحقق لغيره من الأئمة في مناهضة الأعداء ومقاومتهم، كما أن آل الحمزي لم يلتزموا بما عليهم بل أخذوا الولايات ولم يطبقوا كل ما تضمنه العهد فيما بينهم وبين الإمام عليه السلام ولم ينفذوا، وقد قدمنا في كتب الإمام عليه السلام إليهم بما تقرر وتمَّ عليه الإتفاق معهم فلطالما عصوا الله سبحانه وخالفوا أولياءه، ومخالفة إمامهم الذي أوجب

---

(١) المجموع [٦٧١].

الله عليهم طاعته، ولكن هي لهم عادة مع كثير من الأئمة، وقد ظل الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام في نزاع مع الأشراف بني الحمزي ومقاومتهم وإزالة سلطانهم نحو عشرين سنة ثم مع ابنه الإمام الناصر عليه السلام حتى أزالهم عن أزال وعن غيرها –وليس مرادنا الخوض في ذلك إذ ليس هذا هو مقام الشرح ولكن ما سنح في الخاطر كالتنبيه على غيره والشيء بالشيء يذكر.

ولا تزال الجُمع أيام الإمام يحيى عليه السلام قائمة[1]، والأمان موجوداً، إذ كان الوطن في استقرار تام، وعلم مستمر وإيمان، ومن حاول الإعتداء أو انتهاك الدين يرى جزم الإمام عليه السلام وحزمه، ومن ذلك أن شيخاً كان يعتدي في فعل المنكرات فكتب الإمام عليه السلام إليه كلاماً جاء فيه: من عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليك يا شيخ النار، وزاملة الظلم والفسق والعصيان، أعني أنت يا ابن زكري، فإنه بلغني ما أنت عليه من تعدي الحدود، فأقسم بالقرآن العظيم لئن لم تنتهِ عما أنت عليه لأشدنَّ عليك شدةً تدهش عقلك، وتذهب لبك، ولأغمزنك غمز الأسد للثعلب، فافهم ما أنت فيه، واعرف ما يراد بك، وإلا جعلت مخامرتك كالأمس الذاهب.[2] اهـ

---

(١) وكان الإمام عليه السلام حريصاً على إقامة الجمع وأنها أحب إليه من جمع الأموال وقد قال في إحدى رسائله في المجموع الشريف[٥١٨]: وبعد علم الله وكفى به عليماً أنا نود بإقامة جمعة في قريةٍ واحدة أحب إلينا من أن تجبى أموالها كلها، فضلاً عن أعشارها، فالله الله في القيام بأمرها، والرفع لمنارها، وإقامة شعارها. اهـ

(٢) المجموع [٦٦١].

كما أن الإمام عليه السلام قد فقد من أنصاره وأصحابه عدداً كبيراً من الأعلام كما قدمنا في أثناء الحديث عن بعضهم أو ذكرنا تاريخ وفاتهم في الثلاثينات كالقاضي العلامة الكبير إمام المذاكرين محمد بن سليمان بن أبي الرجال المتوفى سنة ٧٣٠هـ وكذا الشيخ ابن حنش ثم العلامة الرصاص وكذا فقد الأمير الكبير محمد بن إدريس سنة ٧٣٦هـ كما قدمنا وفقد العلامة أحمد بن يحيى حنش سنة ٧٣٧هـ، ثم في الأربعينات كذلك ففي سنة ٧٤٣هـ توفي ناصره العلامة حميد الزيدي.

وإنني حينما أتابع سيرة الإمام عليه السلام أجد أنه لم يتخلَّ عن الإمامة أصلاً[(١)] ويدل على ذلك دعوته للرؤساء والزعماء آل أسعد بن حجاج وبني إبراهيم وأهل الظفير فدعاهم إلى طاعته وأمرهم بتسليم نصف الزكاة مع البر والنذر وما هو لبيت المال والأخماس إلى يد الشيخ حاتم بن علي بن أبي المعالي وأن يصرفوا نصف الزكاة الأخرى إلى الفقراء والمساكين من أهل بلادهم...إلخ.

وذكر أنه لا يجوز تسليمها إلى غيره والواجب طاعته ومنها قوله: **فما النجاة إلا في موافقتنا وما الهلاك إلا في مخالفتنا**...إلخ، وكانت تلك الدعوة أو

---

(١) بل وصاياه في آخر أيامه وضع عليها علامته ((كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله)) مما يدل على أنه لم يعتزل أصلاً وسيأتي ذكر الوصايا بما فيها من الدلائل للمتأمل.

الرسالة في أحد شهور سنة ٧٤٥هـ. [1] وهي السنة التي خرج فيها الإمام المهدي علي بن محمد إلى بلاد حراز لجهاد الباطنية، وكان قد أصيب فيها إصابة بالغة كاد أن يفارق الدنيا لولا حفظ الله له وشفاءه وكان الإمام يحيى عليه السلام واقفاً بهران وقت مسير الإمام عليه السلام إلى العيانه بحراز، وربما كان مستنكراً لذلك.

ولما كانت سنة ٧٤٨هـ كانت المصيبة على الإمام عليه السلام في وفاة أحب أولاده إليه وهو السيد العلامة صفي الآل أحمد -رحمة الله عليه- في شهر ربيع الأول بحصن هران ذمار، وقد دخل الإمام عليه السلام على ولده وهو مسجى فقال: ((**يا أحمد والله لا أرضى عليك ثواباً إلا الجنة**)) وفارقه وإن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، وإنه على أحمد لمحزون، ولا يقول إلا ما يرضي الرب سبحانه ((إنا لله وإنا إليه راجعون))

ثم فارق بعد ذلك تلميذه المخلص العلامة القدير ومناصره الكبير وطالبه العلامة الشهير المطهر بن تريك -رحمة الله عليه- بصعدة في سنة ٧٤٨هـ.

ولا يمكن حصر المآسي التي وقعت في أيامه ونقل الفكرة كاملة عن كل أعماله وإنجازاته، ولكن أردنا التنبيه بما ذكرناه ليدل على ما أغفلناه، وكفى أن أحداً من أهل البيت عليهم السلام لم يقم بالإمامة ويدعو إليها حتى توفي

---

(١) المجموع [٦٧٢] وانظر ما قدمنا نقله من أخر الجزء الرابع عشر من الإنتصار.

الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام ولو علم أحد منهم اعتزاله وتنحيه لقام وادعا وهذا بيّن بحمد الله تعالى.

الفصل السادس: قضاته وولاته

((الإهتمام بتولية العمَّال والقضاة))

لقد اهتم الإمام يحيى عليه السلام بتولية العمَّال والقضاة في سائر البلدان اليمنية التي كانت تحت يده، ولكن التاريخ قد أهمل ذلك، بل إن في رسائل الإمام يحيى عليه السلام بعض الغموض حين كان يوجه إلى القبائل بالسمع والطاعة لمن ولَّاه عليهم وكان لا يذكر الوالي باسمه لكونه معروفاً لديهم وسأذكر منهم على سبيل الإختصار:-

١- الفقيه العلامة محمد بن أحمد يطلق عليه قاضي أمير المؤمنين.

٢- الفقيه العلامة مسعود بن محمد الحويت.

٣- الإمام المهدي علي بن محمد عليه السلام.

٤- الفقيه العلامة أحمد بن سليمان بن أبي الرجال.

٥- الفقيه أحمد بن الحسن بن سليمان بن أبي الرجال، خطيب الإمام يحيى بن حمزة، وكان الإمام يحيى قد عارضه في قضاء دار الضريوه بثلا،[(١)] وتولى القضاء للإمام يحيى وسمي قاضي القضاة.

٦- السادة الأمراء آل يحيى بن الحسن الحمزي كالأمير عبدالله بن داود، وصنوه أحمد بن داود (وهم ولاته على صنعاء)، والأمير إبراهيم بن

---

(١) وقيل: إنه عارض حكم الفقيه أحمد بن سليمان، والله أعلم.

عبدالله الحمزي وصنوه الأمير داود وأولاده هم محمد بن داود بن عبدالله المتوفى سنة ٧٨٢هـ وعبدالله بن داود بن عبدالله المتوفى في شهر صفر سنة ٧٨٠هـ وهما اللذان قاتلهما الإمام المهدي عليه السلام بصنعاء.

٧- السيد العالم محمد بن حسن (كان والياً على صبيا).

٨- الأمير الكبير الشجاع محمد بن خالد (أحد الولاة على صبيا).

٩- الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن أحمد الرصاص (كان على جهات الظاهر) وتولى للإمام يحيى عليه السلام (عيان، وبلاد سفيان) أيضاً.

١٠- عبدالله بن محمد الرصاص.

١١- عبدالله بن أحمد الرصاص.

١٢- ولده السيد العلامة عبدالله بن يحيى بن حمزة عليه السلام.

١٣- ولده السيد العلامة محمد بن يحيى بن حمزة عليهم السلام.

١٤- الفقيه العلم قاسم بن عبدالله تولى في جهات (بكر وما اتصل بها).

١٥- الأمير صارم الدين إبراهيم الحمزي أحد قواده ومناصريه.

١٦- الفقيه الحسام حاتم بن علي بن أبي المعالي تولى في (بني برام، وظفير حجة).

١٧- العلامة حسام الدين حميد بن أحمد بن الشهيد حميد المحلي.

١٨- العلامة حمى الدين بن أحمد بن يحيى.

١٩- الفقيه إبراهيم بن عبدالله كان والياً في جهات (الأهنوم وحبور وعذر).

٢٠- القاضي، محب آل النبي، الفاضل محمد بن أسعد بن زيد.

٢١- علي بن موسى الدواري[١].

٢٢- السيد نور الدين المختار قاسم من الشرف، لكنه فسد وقد تقدم ذكر حكايته.

٢٣- الأمير جمال الدين الهادي بن عزالدين محمد بن أحمد بن الإمام عبدالله بن حمزة، كان الوالي على بلاد صعدة ونواحيها وأميرها، وهو الذي أرسل إليه العلامة المطهر بن تريك رسالة سماها ((عنوان السعادة ومفتاح الإفادة)) سنة ٧٣٣هـ وهي رسالة مفيدة ومهمة جداً[٢].

وهناك من الأمراء والأعيان الذين كان لهم حراك سياسي كبير في القرن الثامن الهجري كالسيد الأمير عبدالله بن أحمد بن القاسم بن أمير المؤمنين

---

(١) من خط جدي صلاح بن محمد في حاشية على البسامة، وكذا في الطبقات الكبرى، والله أعلم.
(٢) انظرها في مآثر الأبرار [٣/ ١٣٣٩-١٣٤٩].

المنصور بالله عبدالله بن حمزةعليه السلام والأمير صلاح الدين المهدي بن عز الدين، والأمراء آل عماد الدين يحيى بن حمزة وآل شمس الدين، كالمقام النوري والمقام السيفي وآل عزالدين وآل يحيى بن حسن، نذكر بعضاً منهم ممن عاصر الإمام يحيى عليه السلام :

-الأمير علي بن موسى بن أحمد بن المنصور بالله.

-الأمير يحيى بن القاسم بن يحيى بن حمزة.

-الأمير أحمد بن يحيى بن الحسن بن حمزة.

-الأمير علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة.

-الأمير محمد بن إدريس بن الناصر بن علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة المتوفى سنة ٧٣٦هـ ودفن بصنعاء، وقد روى عنه الإمام يحيى عليه السلام جميع مؤلفاته ((شرح اللمع)) و((غاية الصادي)) وغيرهما.

-وابن الأمير محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة ((صاحب كحلان)) الذي توفي والده سنة ٧٠٩هـ.

وغيرهم.

ولا بأس أن نذكر شيئاً مما كتبه إلى قضاته وولاته هنا:

ومن عهدٍ له صلوات الله عليه إلى بعض قضاته قال فيه[1]:

كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

القضاء عهدة عظيمة، وتكليف شديد ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤].

الحمد لله الذي هدانا لسبيل البر ومناهج الخيرات، وجعلنا سبيلاً إلى محمود العاقبة ومنهاجاً إلى طرق النجاة، وجعل لنا ولاية مسترسلة على كافة الخلق وجميع البريات، والصلاة على المبعوث بأكرم كتاب، والمخصوص بختم النبوة وفصل الخطاب، وعلى آله الذين جعلهم شموس العلم وأقماره، وسيوف الحق وأنصاره، هذا كتاب عهدناه، وسجل ضمناه، ولاية القضاء بين الخلق وفصل الخصومات، وقطع ما وقع بينهم من الشجار في العادات والمعاملات والمعاوضات، وغير ذلك مما يعرض في أثناء الحالات، للفقيه العالم العامل، الفاضل الكامل، الورع المعتمد نجم الدين، عمدة الإخوان الصالحين، قاسم بن عبدالله[2] وقررنا له فيه وظائف يعتمد عليها إن شاء الله -تعالى-.

---

(١) مجموع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام [٦٢٥-٦٢٦].

(٢) فقيه فاضل، وعالم عامل، ورجل كامل، تولى القضاء من قبل الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في جهات بكر وما اتصل بها.

[وظائف هامة للقضاة والولاة]

الوظيفة الأولى:

تقوى الله -تعالى- فإنها الغاية القصوى، والعمدة التي من اعتمد عليها فقد اعتمد على العروة الوثقى، وطاعته وخوفه، ومراقبته في السر والعلانية.

الوظيفة الثانية:

الجري في جميع أحواله على وفق الشرع ومنهاجه، وقاعدته ومنواله، من المساواة بين الخصوم في اللحظ والإشارة، والتحية والمجلس، وغير ذلك من آداب القضاء المذكورة في كتبنا، وفعل ما أمره الشرع بفعله، وترك ما دله الشرع على تركه، من حضور وليمة الخصوم الخاصة، وغير ذلك.

الوظيفة الثالثة:

الاعتماد على قول أحد الأئمة من العترة عليهم السلام من غير تعدلة ولا مخالفة إلى غيره، فما التبس فيه الأمر، وعظم عليه فيه الخطب، كان الرجوع فيه إلينا، والاعتماد في العمل فيه علينا، لنعمل فيه بالأنظار الموفقة، والآراء المسددة إن شاء الله -تعالى-.

الوظيفة الرابعة:

الاجتهاد في السعي بين الخصوم في الصلح، فإنه أقل خطراً، وأقرب

منتولاً، فإن تعذر فليعتمد على الحكم بالأقارير، فإن الحال فيها أقرب إلى السلامة، وليبلغ الجهد، وليبذل الوسع في ذلك، فإن تعذر ذلك كله فليحكم بالشهادة العادلة الكاملة، من غير تعريج على الحكم بالشاهد واليمين، وليجتهد في إصلاح حال الشهود، ووعظهم وتخويفهم، وجعلنا له ولاية عامة يصدر عنها ويورد في جميع ما يحتاج فيه إلى الولاية من جهتنا، من إصلاح المساجد، والمناهل والطرقات، ونصب من يقوم بمصالح الأنام[1]، ويتولى منافعهم، ودفع الضرر عنهم على وفق الشرع، وإنكاح من لا ولي لها، أو غاب فوق ثلاثة أيام، وألزمناه القيام بالجمعة والجماعة، وغير ذلك من الأمور التي تكون تقوى الله -تعالى- وطاعته، بقدر الجهد والاستطاعة.

ولا يتُنا هذه للفقيه المقدم الذكر من جهات بكر[2] المحروس، وما اتصل به من الجهات أو من وصل إليه من غيرها، ونحن نبرأ إلى الله -تعالى- وإلى المسلمين من كل ما يكون خارجاً عن الشرع، أو جارياً على غير منهاجه، فليعلم ذلك من وقف عليه بتاريخ شهر شعبان سنة تسع وعشرين وسبعمائة، تم ذلك بحمد الله. ا هـ

ومن العلماء المبرزين في عصره على سبيل الإختصار:-

- أحمد بن علي الشتوي.

---

(١) في نسخة المنقول منها «الإمام» ولعل في ذلك سهواً من ناسخ الأم. حاشية من الأصل.

(٢) حصن يحاذي جبل كوكبان.

- حاتم بن منصور الحملاني.
- أحمد بن محمد بن أحمد الرصاص.
- عبدالله بن محمد بن خليفة.
- المطهر بن تريك.
- الأمير علي بن وهاس.
- السيد محمد بن جعفر بن وهاس.
- محمد بن سليمان ابن أبي الرجال.
- حميد بن أحمد بن حميد الشهيد.
- أحمد بن يحيى حنش.
- علي بن الحضوار.
- علي بن إبراهيم بن عطية.
- إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني.
- الحسن بن محمد النحوي.
- داود بن حمدين.

وقد كان لأكثرهم دور كبير أيام الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام، وغيرهم من رجال القرن الثامن الهجري.

الفصل السابع: مما قيل فيه شعرا

ولنقف مع مقتطفات في حديقة الشعر والأدب ومع قصائد سترسم لنا واقعاً وحكايات من السيرة اليحيوية والدولة المؤيدية فقد ضمَّن الشعر مالم يدونه النثر، فقد أثنى على الإمام يحيى عليه السلام عدد من الأئمة والعلماء والشعراء بقصائد عديدة فمن ذلك قول السيد محمد بن جعفر بن وهاس[1] منها:

الفكر حار فأي شيء أنظم ... مدحاً لمن مدح الكتاب المحكم

ولم أعثر على تمامها ولعل الله يُسهل لنا ذلك.

وقال صاحب البسامة مشيراً إلى قيامه وعلمه:

وكان يحيى هو الحبر الذي ظهرت

علومه كظهور الوشي في الحِبر

ومـا ابن حمزة إلا عالم علمٌ

مخائل اليُمن لاحت فيه من صغر

وقال بعضهم قصيدة مطلعها:

يا ابن الأباة أولي النهى من هاشم ... وابن النبي وسبطه والقائم

وأثنى عليه الأمير الكبير عبدالله بن أحمد بن القاسم بن الإمام المنصور بالله عبدالله حمزة بقصيدة عصماء[2].

---

(١) وسلم الأمير الكبير علي بن وهاس للإمام يحيى حصن الظفر بما فيه، كما أسلفنا.

(٢) كما ذكر ذلك لكني لم أعثر عليها حال رقم هذا، وقد أفاد سيدي العلامة الحسين بن عبدالرب

قصيدة الفقيه العالم يحيى بن أحمد النحل الكوفي

وأتته قصائد من سائر البلدان كقصيدة الفقيه العالم البارع عماد الدين يحيى بن أحمد النحل الكوفي نذكر منها:

صبٌّ بأهل الحمى جمَّت بلابله ... تحن ما سجعت فيه بلابله
لا يسمع القول يوماً من مؤنّبه ... فيمن يحب ولا يلويه عاذله
طويل شوقٍ مدى الأيام وافره ... طويل توقٍ على الأعوام كامله
يهفو إلى اليمن الأعلى بخاطره ... من بالعراق نأت منه منازله
أنَّى تطير الذي قُصَّت قوائمه؟ ... وكيف يكتب من شُدَّت أنامله؟
همّ العيال وهمّ الدين يشغله ... وهمّ جور غدت تغلي مراجله
تضعضع الدين وانهارت دعائمه ... واستحكم الفسق واشتدت كواهله
فدهرنا اليوم موجود أراذله ... دون الخيار ومفقود أماثله
والجاهل الغر فينا لفظه درر ... والعالم الحبر لا تُلقى مسائله
وصالح الناس لا يعبى به أحد ... وآفة التبر عند النقد جاهله
والليث منقمع في غابه سغب ... ظمآن والكلب قد طابت مآكله
وجملة الأمر أن الدين عاد كما ... بدا غريباً وغالته غوائله
ودون ما نبتغي قطع القفار وأهـ ... ـوال البحار وخطب عزَّ حامله

ساري أنه قد كتب قصيدة الأمير عبدالله بن أحمد بن القاسم وقصيدة السيد محمد بن جعفر بن وهاس، ولكنني لم أجدها في المخطوطات المتبقية من مكتبة الإخوان آل ساري.

هل من دليل على أمرٍ نفوز به ... من الردى فدليل الخير فاعله

يا نفس لا تقنطي من رحمة أبداً ... إن القنوط لأعمى القلب ذاهله

سيجعل الله بعد العسر ميسرة ... فالله[1] حي وكل الناس آمله

حبلي بآل رسول الله متصل ... لا يرهب القطع حيث الله واصله

وكيف يخشى خطوب الدهر معتصم ... يحيى بن حمزة كافيه وكافله

بيت القصيد سليل الصيد واسطة الـ ... ـعقد النضيد فمن هذا يساجله

مبدي العجائب فلَّال الكتائب حـ ... ـلّا ل الغرائب إذ يأتيه سائله

سعد السعود لمن أكدت مطالبه ... قطب الوجود مقر الجود باذله

بحر خضمٌ فقل عنه ولا حرج ... لكنه رائق عذب مناهله

فالعلم والحلم والإنصاف جوهره ... ولجة البحر والمعروف ساحله

فللصديق مباحات فضائله ... وللسحيق متاحات قواصله

غيث الوجود فلا غيث يكاثره ... ليث الحروب فلا قرن يناضله

يُصيّر الفارس النحرير ذا بلهٍ ... عند الطعان إذا ما اهتز ذابله

إذا بدى السطر من كف العدا هملاً ... فرمحه ناقط والسيف شاكله

ويسحق الضد إن وافاه منتصباً ... أولاه خفضاً وأردته كلاكله

إن أمَّ حرب العدا غنَّت جوارحه ... طيباً وعجَّت بشكواها ثواكله

يروم شانيه رفع الرأس يوم وغىً ... وسيفه حرف جزم إذ ينازله

فللبسط والعطايا كفُّه خلقت ... فمن ترقب شيئاً فهو شامله

(١) في نسخ: فإنه.

مثـل السـحاب مبيـدات صـواعقه ... قومـاً ويحيـي مـوات الأرض وابلـه
در القلائـد سـهل الفوائـد محـ ... ـمود المـوارد يـروى منـه ناهلـه
حـرز الأمـان لمـذعور يلـوذ بـه ... وجـه التهـاني بمهجـور تواصـله
مفتـاح بـاب الهـدى للطـالبين لـه ... مصـباح ليـل الـردى دلَّـت دلائلـه
هدايـة المهتـدي إن جـاء مقتبسـاً ... ذخـيرة المحتـدي إن قـلَّ حاصـله
مهـذب الـرأي كـافي كـل معضـلة ... كشَّاف كـرب الـورى غيـث نوافلـه
كـل الإفـادة في تحريـر مادحـه ... عـما سـواه إذا عـدت فضـائله
سبحان من جعـل الإسـلام منتصباً ... بـه كـما نصـب المعمـول عاملـه
وأصبح الدين مـن بعـد الـدثور بـه ... مجـدداً وتخـلى منـه عاطلـه
وأشرقـت بعـد إظـلام معالمـه ... واستوسـقت بعـد تفريـق محافلـه
وكـان روض الهـدى يبسـاً فعـاد بـه ... غصـناً نضـيراً رطيـب العـود ذابلـه
أليَّـةً بخيـول الله راكبـة ... يـوم الهيـاج إذا سـارت جحافلـه
وبـالغمائم مـن نفـع إذا نشـأت ... نحـو السـماء وقـد ثـارت قسـاطله
أيضـاً وبالهنـدوانيات راعـدة ... وبـالنجيع إذا مـا سـال سـائله
لاحلت عن شـغفي فـيمن بـه شرفي ... حتى يفصـل مـن جسـمي مفاصـله
يا ابـن الـوصي عـلي يـا ابـن فاطمـةٍ ... نجل الحسـين الـذي قامـت شـمائله
ويـا نتيجـة زيـن العابـدين ويـا ... سـلالة البـاقر المرجـوِّ نائلـه
يـا بضـعة الصـادق المعـلاة رتبتـه ... يـا نخبـة الكـاظم الممنـوح سـائله
أنـت المؤيَّـد حقـاً أنـت نـاصرهم ... وأنـت هـاديهم المنـدود قائلـه

إن رمت إحياء وصف أنت حائزه ... فقد تعاطيت أمراً عزَّ ناقله

وإنما العذر أرجوه يتمم لي نقصي ... وطوبى لعذرٍ أنت قابله

إني أويسي زماني في محبتكم ... فاعذر أويسك إذ شطَّت منازله

فأمُّه وأبوه باقيان له ... لو رام سيراً غدا كل يجادله

يراك بالقلب والأوطان نازحة ... وكيف لا وهو وادٍ أنت نازله

إن كان فات جهادي في عساكركم ... بصارمٍ تعبت فيه صياقله

فبين فكَّيَّ عضب فاتك ذلق ... عدوكم منه لا تبرا مقاتله

هذا وغاية مطلوبي وجائزتي ... منك اثنتان وخير البر عاجله

إحداهما دعوة في الليل صادقة ... بجمع شملي بكم فالقلب يأمله

وردَّ قلبي إلى الخلَّاق يشغله ... بأمره فلقد طالت شواغله

ما دام شخصك موجوداً لناظره ... فليأمن الكون أن تطرى زلازله

قصيدة العلامة صلاح بن محمد الفلكي

وقال العلامة شيعي آل محمد صلاح بن محمد الفلكي في مولانا ووالدنا الإمام يحيى عليه السلام:

أيا قبةً يعلو ثراها على الشِّعرى ... لقد قصر الحاكي وإن طول الشعرا

بها علم الأعلام يحيى بن حمزة ... رضيع لبان الفضل تاج بني الزهرا

حليف الندى شمس الهدى قابض الحدى ... مُبيد العدا بالسيف والحجة الغرا

أفي الناس إنسان حوى العلم مثله ... وهذبه حتى لقد شرح الصدرا

وحسبك أن الانتصار كتابه ... لدى كتب الدنيا هو الآية الكبرى

وماذاك من تيّاره غير قطرة ... وما ثَمَّ إنسان أحاط به خبرا

تصانيف مولانا وجود يمينه ... تشابه وبل الغيث كلَّا بل البحرا

شمائله راقتْ عناصره سمتْ ... طرائقهُ فاقتْ جميع الورى طُرَّا

ففي الزّهد معروف وفي الجود حاتم ... وفي النُّسْك داود وفي اللغة الفرَّا

كراماته إن رام شخص يعدّها ... تقول له لن تستطيع معيْ صبرا

فلا ترج إحصاء كرمات إمامنا ... فمن رام إحصى عُشرها أنفذ العمرا

ليهن ذماراً أن يكون نزيلها ... لقد شرُفت أرجاؤها وعلت قدرا

بمثوى أبي أدريس صار ترابها ... عبيراً وصارت في الدُّنا روضة خضرا

فيا بُغية العافين يا ابن محمد ... ويا ابن عليّ من حوى المجد والفخرا

ويا ابن البتول البضعة الطهر فاطم ... ومن شرفت قدراً على مريم العذرا

ويا بضعة السبط الشهيد بكربلا ... ويا نجل زين العابدين أخي الذكرا

عبيدك يا ابن الشم في اليم غارق ... صروف الليالي أبدلت يسره عسرا

ذنوبي لو أن البحار اغترفتها ... لغاصت وصارت صفصفاً يبساً صحرا

أجرني وأنجز مُنحتي إن مهجتي ... بحبكمُ يا آل طه غدت سكرى

فحبكمُ أجر علينا لجدكم ... بذى جاء نص الذكر في سورة الشورى

وطهركم عن كل رجسٍ بنصه ... وفي هل أتى هذا لسعيكمُ شكرا

وفي آل عمران المباهلة التَّي ... إذا تُليت أصلت أعاديكمُ الجمرا

فمجدكمُ المجد الذي علوه ... تعالى عن العيوق وانتعل النسرا

وأنــتم لنــا ســفن النجــاة وكلكــم مصــابيحنا في كــل مظلمــة عــبرا
قصــارى معالينــا بأنــا عبيــدكم وهــذا محــل نيلــه يعجــز الحــرَّا
لقــد فــاز مــن زلــت مطايــاه فكيــف بمــن مــا مــال ولا شــبرا
وصــبَّ إلــه العــرش سـحب صــلاته عـلى أحمـد المختـار مـن مضـر الحمـرا
كـذا الآل والأصـحاب مـا هبَّـت الصـبا واهتــزت الأغصــان لصــفد الســمرا

وقد توسَّل بها فقضـى الله حاجته.

بعض قصائد العلامة المطهر بن تريك

وممن أثنى عليه وهنأه بالإمامة حـين دخولـه إلى صـنعاء العلامـة الشـاعر المفلق المطهر بن تـريك ومنها:

هنيئـــاً للخلافـــة والإمامـــة وفخـــراً للرئاســـة والزعامـــة
وتفخميـــاً وتكـــريماً لعصـــر حقيـــق بالكرامـــة والفخامـــة
وعـــزاً للعلـــوم ومـــن حواهـــا وللـــدين الحنيـــف ومـــن أقامـــه
وفـــوزاً بالنجـــاة لطالبيهـــا ومـــن طلـــب الســـلامة بالســـلامة
وأمنـــاً للـــذي يخشـــى ضـــلالاً وقـــد ألقـــى لهاديـــةٍ زمامـــه
ونقـــلاً للمظـــالم عـــن إقامـــه وتعريجـــاً لهـــا بعـــد اســـتقامه[1]
ونفيـــاً للتعســـف والظلامـــه وطـــرداً للندامـــة والمدامـــه

---

(١) كذا والله أعلم، أي اعلاءً لها بعد تصحيحها واستقامتها.

بـــأن أضـــحت مســـلَّمة بطـــوعٍ ... إلى يحيـــى بـــن حمـــزةٍ الإمامـــه

تقلـــــدها إمـــــام هاشـــــمي ... يقـــيم عـــلى أعاديـــه القيامـــه

علـيم بالسياســة لــيس يــرضـــى ... عـــلى هضـــمٍ ومظلمـــةٍ إقامـــه

كـــأن غرائـــب الأشـــياء عنـــه ... مصـــــورة ممثلـــــة أمامـــــه

يصيب بفكره غرض المعــــــالي ... فما يخطي مراماً قــــط رامـــــه

بتســــديد وتأييـــــد ولطــــف ... إلاهـــيٍّ ينـــال بـــه مرامـــه

ألا فاقصـــده يـــا مـــن رام دينـــاً ... تلـــــق في كـــــلٍ أمامـــــه

وجـــاوره تجـــد في الجـــود بحـــراً ... وحـــاوره تجـــــد دُراً كلامـــــه

وذاكـــره تجـــد ذكـــراً[1] صـــقيلاً ... يشـــابه في مضـــآءته حســـامه

حـــوى كـــرم الخـــلال فلـيس خلـق ... يصـــادفه يـــرى فيـــه ثُمامـــه

فمـــن ســـاماه في شـــرفٍ ســـماه ... ومـــن جـــاراه في كـــرم أقامـــه

فـــلا يـــأمن معاديـــه ابتســـامه ... ولا يخشـــى[2] مـــأوٍ إليـــه انتقامـــه

فـــما هـــو كـــالغمام الجـــو لا بـــل ... لـــه في كـــل أنملـــة غمامـــه

ســـيطلع أنجـــماً للعـــدل زهـــراً ... بهـــنَّ الجـــور تســـلبه ظلامـــه

تشـــاهد منـــه في بـــأس أســـامه ... وتحقـــر في بلاغتـــه قدامـــه

---

(١) في نخ: فكراً.

(٢) كانت في الأصل: ولا يحدو، أو ولا يحذر.

ويقصر في فراسته إياس | لديه وجوده كعب بن مامه
فلو أن البرية وازنته | لما بلغت بأجمعها قلامه
على العلماء أن يرضوا قيامه | كما فعلوا وأن يوفوا ذُمامه
وأن يسعوا لما يرضيه سعياً | فها هو رأسهم وهمُ العمامه[1]
وبدرهم المنير وهم نجوم | وروحهمُ الشريف تحرَّوا[2] قوامه
فلو كانوا بناً كان سقفاً | رفيعاً والجميع له دعامه
ورامٍ والسهام همُ ولكن | على الرامي المجيد يقي سهامه
ويفتقد العفى[3] والرشا منها | مع التنقيف من قدحٍ قوامه
قوام الأمر والناضر بهم | على تقويمه أهل الشهامه
سلالات الإمامة والزعامة | وأرباب الخيولات المسامه
فإنهمُ جردوا هماً وعزماً | لنصرة دينهم حازوا الكرامه
وقاموا بالسيوف مجردات | أطاروا قحف أعداهم وهامه
ونالوا ما أرادوه وراموا | ومن ناواهمُ حصد الندامه
وفي الدنيا لهمُ ملك عظيم | وفي الأخرى لهم دار المقامه

---

(١) الغمامة (نخ)

(٢) تجدو (نخ) والله أعلم بالمراد

(٣) كذا في الأصل، والعفى الفضل والكثرة والوفرة، والمنقول عنه الحبل.

فـــبهم إقامـــة كـــل فـــرض ووكـف الكـف عـن كسـب ظلامـه
وصـــونهمُ لأغـــراضٍ كـــرامٍ مـــن الفعـــل المـــذمم والملامـــه
وكـــل مـــنهم ينهـــى غلامـــه ويـــأمرهم بهـــدي واســـتقامه
بهـــذا أصـــبحوا الأشراف حقـــاً وخُصُّـــوا بالإمـــارة والزعامـــه
بهـم نرجـو الصـلاح لكـل أمـرٍ ونصـــر الـــدين مـــنهم وانتظامـــه
وهـــدم قواعـــد الإشراك جمعـــاً وقطـع الفسـق أصـلاً واصـطلامه
ولا ســيما صــلاح الــدين فــيهم فهــا هــو مشــيه في المجــد سـامه
وإن لاث العمامـــة فهـــو بـــدر هـــلال حـــين يلتـــثم اللثامـــه
ســلالة عزالــدين لله مــن لا يخـــاف لبأســـه يومـــاً حمامـــه
بــه خلــق كمثــل الــروض حســناً يخـــال قســامه الحســـنى كلامـــه
فتـى الحمـزات في حـزم وعـزم ورأي لا يعقبـــــــه ندامـــــــه
دعـوت[1] لهـا وفحـت[2] بهـا فلبَّـى وجـــاء مـــن لـــيس يثنيـــهِ ملامـــه
رآك بعـــــين إعظـــــام وود يخـــالط مـــن يكـــابره عظامـــه
فحببـــك الإلـــه إلى البرايـــا وجنبــك الــذي تخشــى أثامــه
فإنـــك للـــذي يعـــدو معـــادي ويـــأمن طـــول مـــدتنا قيامـــه

---

(١) رجع الآن في الكلام للحديث عن الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام.
(٢) في نسخة: دعوت لها فقمت.

فســـر فينـــا بإنصـــاف وعـــدل ولا يأخـــذك عـــن حـــق ســـأمه

وكـــن بالمســـلمين أبـــاً شـــفيقاً كجـدك حـين قمـت بنـا قيامـه

ولســـت بمتبـــع وكـــري بـــأمرٍ لأنـــك ذو الفطانـــة والفهامـــه

ســـتنثر أرض صـــنعا بالســـلامة وبـــالخيرات فيهـــا والإقامـــه

وأمِّـــنهم جميعـــاً حيـــث كـــانوا بغـــور أو بنجـــد أوتهامـــه

وهلـــك الباطنيـــة عـــن ولآيءٍ ولابـــن الأنـــف في أنـــف خزامـــه

بيحيـــى صـــفو حمـــزةٍ المرجـــى ســـيحيى الله مـــن ديـــن زمامـــه

ألا يـــا أيهـــا المفضـــال حقـــاً بحقـــك داو مـــن دهـــرٍ ســـقامه

ولا تقعـــد عـــلى هضـــم وظلـــم لمـــوت المـــرء في عـــزٍ ســـلامه

ودبِّـــر بالحزامـــة كـــل أمـــر فـــما التـــدبير إلا بالحزامـــه

عليـك صـلاة ربـك كـل وقـت وزادك بعـــد رحمتـــه ســـلامه

ومـــدَّ عليـــك مـــن نصـــر دوامـــاً وطنَّـــب خُـــيّماً تـــأوي خيامـــه

وقال أيضاً: يصف كتاب (القسطاس) لمولانا ووالدنا أمير المؤمنين عليه السلام:

من رام للفقه تـحـصيلاً من النـاس ولم يكـــن لمعانيـــه بقيّـــاس

فقـد تشـوق للـهيئـات يـدركها عـلى تنوعهـا مـن غيـر إحسـاس

كـذا القيـاس لعمـري في تعسُّـره عـلى مؤمّلـه مـن غيـر قسـطاس

تأليف أعلم آل المصطفى وهـم الـ أخيارفي العلم والسادات في النـاس

يحيى بن حمزة المحيـي العلـوم وقـد كـاد الزمـان يواريهـا بأرمـاس

وله قصيدة في سنة ٧٢٥هـ لما وفد على الإمام يحيى للقراءة عليه في مدينة حوث قبل أن يدعو الإمام للإمامة وأثنى على الإمام يحيى ثناء كثيرا:

لقد جاءني منه كتاب فوجدته ... لدائي طبيباً مثل عيسى بن مريم

وسكَّن من وجدي وبرَّد لوعتي ... وكان لجرحي مرهماً أيَّ مرهم

وما ذاك إلا لفقد لا لنقص حالة ... فإني عند الماجد المتكرم

عماد الهدى يحيى الندى مردي العدا ... كثير الجدا مروي القنا المتحطم

ملاذ الورى ليث الثرى مكثر القِرى ... لعارٍ عرى أو طارق متوسم

وملجأ ملهوف ومفزع خائف ... ونجعة سبروت وغنية معدم

وما شئت من علم وحلم فإنه ... هو الغاية القصوى وربك فاعلم

إذا ما امتطت يوماً أنامل كفه ... يراعاً أتت حقاً بوشيٍ متمم

وإذا انتظى سيف الروية لم يزل ... يفارق جسم رأسه كل مبهم

وأخلاقه منهما الرياض تعلمت ... بشاشتها في بهجةٍ وتبسُّم

عنيت الإمام الحبر يحيى بن حمزة الـ ... حسيني برهان النبي المكرم

وهذا قليل من كثير عجزت أن ... أحيط به وصفاً وحُرمةِ زمزم

حباني وأدناني أعلى مكانتي ... وصرت به في أنعم أيّ أنعم

ولا زال في خير من الله دائمٍ ... ومبغضه في محنة وتهضُّم

قلت: ولابن تريك رحمه الله قصيدة مخمَّسة في الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام نختار[1] منها قوله:

ياأيها الناس هذا أوحد الزمن   هذا الإمام مقيم الفرض والسنن

هذا هو مُذْهِب البأساء والمحن   هذا من الناس مثل الروح في البدن

هذا المؤيد من رب السماوات

فعاضدوه بنصحٍ أيها الأمرا   على الجهاد ومن ناوى ومن كفرا

واجعل روؤسهم للعاويات قرا   إن أمكن القتل ولم يأتوا بهم أسرا

من صحة الطهر إحصاء النجاسات

فطهروا الأرض منهم إنهم نجس   هم النكال وفي أيديكم القبس

كيف السكوت ولا عي ولا خرس   أو الجلوس ومذ قاموا فلا جلسوا

إلا على أرؤس منهم وهامات

إلى قوله:

يحيى بن حمزة سامي المجد والشرف   خير الأئمة والسادات والشُرف

محيي العلوم وقد أشفت على التلف   ألفاظه الدر ليس الدر في الصدف

بحر مغاصاته خير المغاصات

---

(١) وهي قصيدة طويلة.

إمـــام حـــق جليـــل عـــالم علـــم   مصور الذات من فضـل ومـن كـرم

مطهـر الخلـق في الأفعـال والشـيم   ذو همَّـة مالهـا مثـل مـن الهمـم

فراج كرب ملاذ في الملمات

وللشاعر الفصيح الأديب جلال الدين بن حُبيش قصيدة في الإمام عليه السلام تقع في مائتين وثمانين بيتاً، وغيـرهم من الشعراء والأدباء.

قصيدة جلال الدين أحمد بن حبيش(1) في الإمام عليه السلام

وهذه قصيدة الفصيح المقول جلال الدين أحمد بن حبيش في مولانا الإمام المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله عليه السلام ورحمة الله وبركاته :

قافية الألف

إذا بـرق ليـل الـدجى في ليلـة شرَّى   أزال وميض البرق عن عيني الكـرى

أخـال بـه مـن ثغـر لـيلى تبسـماً   كـذاك أظـن البـدر لـيلى إذا سرى

أرى عـاذلي في حبهـا غـير عـادلٍ   ولكنـه في الحـب غِـرٌ فـما درى

---

(1) هو من الشعـراء الأفذاذ المتمكنين في القرن الثامن الهجري وقـد قـال الاكـوع في هجـر العلـم [٤/ ٢٠٦١] نقلاً عن مجموع بلدان اليمن وقبائلها [٧١٣]: مـن أعـلام المئـة العاشـرة أديـب شاعر، وذكر أن له القصيدة المقطعة على الحروف الأبجدية كما نسبه إلى مصنعة بني قـيس. ا هـ فلعل هذا المتأخر من نسل المتقدم إلا أن يكون هذا من رجال سفيان فالله أعلم.

ألا إن لي قلبـــاً أصـــيب بحبهـــا وعينــاً إذا كفكفــت بــدمعها جــرى
أجـود بـدمعي جـود يحيـى بـن حمـزة ببــذل العطــا لابــن السـبيل إذا عــرا
إمــام الهـــدى والمقتـــدى بســـبيله حليف النـدى بحـر القـراءة والقِـرَى
أخي العلم والتقوى وخير الـورى أبـاً فكونـوا لـه في الطـوع يـا أيهـا الـورى
أطيعـــوا أمـــير المـــؤمنين بـــأمره ولا تعـــدلوا عـــما إمـــامكمُ يـــرى
أبت مهجتي أن أعصي الـداعي الـذي تلــين لــه مــن فضــله شَــمخ الــذرا
أعـــوذ بـــربي أن أخـــالف حكمـــه مــدى مــدتي حتــى أُغيَّــبَ في الثــرى

قافية الباء

بروق الغوادي أضرمت بين أضـلعي نيـاراً مــن الشــوق العظـيم تلهــبُ
بعـدت عـن الأحبـاب داراً وحـبهم إليَّ مــــن العينـــين أدنـــى وأقـــربُ
بحـــبهمُ هـــام الفـــؤاد فلـــم يكـــن صبوراً وكيف الصبر والشوق يغلـبُ
بليــت بفــظ عينــه عــين جُــؤْذُر[1] أغــنّ وفي جــوف التنوفــة[2] ربــربُ

---

(١) الجذر القطع والأصل والإستئصال ومغرز العنق والجمع جذور وجؤذر وتفتح الدال والجوذر بفتح الدال ولد البقرة الوحشية. قاموس

(٢) **التنوفة**: المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطـراف، أو الفـلاة مـا بهـا ولا أنـيس وإن كانـت مشبعة. قاموس

والربرب: القطيع من بقر الوحش. قاموس

بفيـه الحُميَّـا وهـو عـذب وإنـما ... صلات أبي إدريس أشفى وأعذبُ

بليـغ اللسـان المقتـدى بمقالـه ... مليـك بـه فضـل مـن الله مُعجِبُ

بيحيى قـد أحيـا الله أمـوات أرضـه ... وليس على الرحمن ما شاء يعزبُ

بنـى ركـن ديـن الله لله طاعـة ... فلـم يعصه إلا مسـيء ومـذنبُ

بمـدح أبي إدريـس تجـري ركـائبي ... فتستقصد العيس الفلا وهو سبسبُ[1]

بلغـت المنى في مدحـه دام نصـره ... ونعـماه لي فهـو الإمـام المهـذبُ

قافية التاء

تولعـت في لهـو الهـوى وطلابـه ... وللهـو يـا ذا اللهـو دهـر مؤقـت

ترى الشعرات البيض إن لُحْنَ فيَ ... فصاحبها إن جدَّ في اللهو يمقت

تِبابـاً لعقـلي أن أكـون متـيماً ... وقد بـان في فـوديَّ للشيب منبت

تبعـت الهـوى دهـراً فلـما تركتـه ... وأيقنـت أن الحتـف للمـرء يبغـت

تأملت يحيى خير من وطئ الحصى ... إمـام بتقـوى الله يُعنـى وينعـت

تقيـاً نقيـاً ماجـداً بِصِـلاته ... يغـاث الفقـير البائس المتسـبرت[2]

تمائمـه تشـفي المـريض مـن الضـنا ... وذاكره المغلـول في السـجن يُفلـت

---

(١) السبسب المفازة أو الأرض المستوية البعيدة. قاموس

(٢) **المتسبرت**: الشيء القليل التافه، أو الفقير القنوع، والمسَبْرت الذي لا شعْر عليه. قاموس

تكاد الصخور الراسيات لفضله إذا استقبل البيت المحرم تُفْتَتُ
تناجيه والغصن الذي في ثرائه يناجيه من جوف الثرى وهو ميت
توسمت سمت الفاطمي مناهجاً مشت قدمي فيها إلى حيث تثبت

قافية الثاء

ثملنا غبوقاً من سبية بابل دعانا لها شمع وشرع مثلث
ثلاثاً وخمساً قد أدمنا ارتشافها مشعشعة كالحُص للعقل تعبث
ثماناً سقاناها نديم مهفهف[1] أسيل كحيل فرعه متأثث
ثمين أمين لو يريك لبابه لتدعوه بالتذكير وهو مؤنث
ثنا عطفه من شدة السكر مائساً وأقبل عن مستحسن الشعر يبحث
ثنيت له مدحي ليحيى بن حمزة ومدحي ليحيى جل ما كنت أنفث
ثكلن الأيامى ضد يحيى فضده من الناس أغوى من يكون وأخبث
ثقي بالإمام العدل يا نفس واهتدي فلم تعلمي يا نفس ما الله محدثُ
ثوابي جزيل إن وفيت بعهده ولست له ممن يخون وينكث
ثوى في الثرى من خان عهد إمامه ولا زال في فيه رغام[2] وكثكث[3]

---

(١) ضامر البطن دقيق الخصر.
(٢) **الرَّغام**: تراب لين أو رمل مختلط بتراب واسم رملة بعينها. قاموس
(٣) **الكثكث**: التراب وفتات الحجارة. قاموس

قافية الجيم

جبينـــك وضـــاح وخـــدك زاهـــر وثغـــرك بـــرَّاق وطرفـــك أدعـــجُ
جعيدك[١] جثل[٢] فاحم اللون حَالِك أثيـــث لـــه تحـــت الخـــمار تـــأرُّجُ
جذبت النهى عني وأضرمت جذوة بقلبـــي لهـــا بـــين الضـــلوع تـــوهُّجُ
جـــرى قلـــم التفريـــق بـــالبين بيننـــا وأضحى غراب البين بالبين يشحج[٣]
جفـــوت فلـــما آضْ قلبـــي متـــيماً ومـــا فيـــه إلا جـــذوةٌ تتـــأجَّج
جعلت أجوب البيد سيراً وطـاب لي بســيري إلى يحيــى بــن حمــزةَ مــنهجُ
جميـــل البِنـــا رحـــب الفنـــا لوِفـــودِه إذا حـــثَّهم ســـارٍ إليـــه ومُـــدْلَجُ
جدى كفه كالغيـث إن سـاقه الصـبا وقـــد قـــاده نحـــو الُمعـــاطين زَبَـــرَجُ
جـــرت ســـفني نحـــو الإمـــامِ وإننـــي لأفقـــر محتـــاج إليـــه وأحـــوجُ
جعلـــت أبـــا إدريـــس قصـــدي مـــن لعـــل كـــروبي عنـــده تتفـــرج

---

(١) الجعد من الشعر خلاف السبط أو القصير منه.. إلخ، أو أراد أنه غليظ أو قاصر كرمك. والله أعلم.

(٢) **الجثل**: الجثل من الشَّجَرِ والشَّعَرِ الكثيرُ الُمْلتَفُّ، أو ما غَلُظَ وقَصُرَ منه، أو كَثُفَ واسْوَدَّ، أو الضَّخْمُ الكَثيفُ الُمْلتَفُّ من كُلِّ شيءٍ. قاموس

(٣) يشحج الغراب غلظ صوته وأسن تمت وهذا القول الأقرب، وبجيمين بمعنى يقطع. قاموس

قافية الحاء

حماني حمام البان أن أطعم الكرى ... فأمسيت أبكي والحمائم تصدح
حزيناً كئيباً ماء عينيَّ سافح ... وكل حزين ماء عينيه تسفحُ
حذلتُ[1] بغزر الدمع وأبيض ... وخدَّد خدي فهو منه مُجرحُ
حمامُ الحمى مهلاً فإنك مُنضجُ ... فؤادي بنيران من البين تقدحُ
حوت كبدي من شدة الشوق ... تكاد لمن حولي من الناس تلفح
حرجت غداة البين درعاً وإنما ... صلات أبي إدريس للقلب تشرح
حميد المثاني باسط العدل في الورى ... إمام كلام الفصل فيه مصرح
حليم إذا ما كان ذو العفو جاهلاً ... وإن يَعفُ يوماً فهو أعفى وأصفح
حددت إلى أبواب يحيى بن حمزة ... فنطقي مُلَبٍ حولها ومُسبحُ
حكيت بسعي حولها فضل من ... يطوّف بالبيت العتيق ويمسح

قافية الخاء

خلا معلم الأحباب عنهم فما به ... سوى الصبر يرعى والنعام يَفرخ
خوت بعدهم إطلاله بطوال ما ... استمرت به النكباء تجري وتنفخ
خرجت إليه طائفاً عدت باكياً ... كئيباً أخا بثٍّ أنوح وأصرخ

---

(١) **الحذل**: الميل وسيلان الدمع. قاموس

خليلاً خليلاً للطوى متسربلاً ... أحِن ودمع العين كالعين ينضخ
خسرت إلى أن زرت ملكاً مطهراً ... عفيف ثياب لم يشبها التوسخ
خليفة رب العالمين بأرضه ... إمام أقام الحق فهو له أخُ
خلعت قميص الوزر إذ زُرْتُ ... المنيف الأشم الباذخ المتمشرخ
خلاصة مدحي فيه وهو ذخيرتي ... وخيرةُ زادي يومَ في الصور ينفخُ
خليليَّ إطرائي له وامتداحه ... أُدوِّن مدحي عنده وأُأَرخُ
خبت نار أحزاني وهمي وكربتي ... برؤيته كل الضلالات تُنسخُ

قافية الدال

دواجي الليالي دون فرعك ظلمة ... ولو أنها سَودُ ففرعك أسودُ
دُجى الليل إن يثبت لخدك ينثني ... طريداً كذاك الصبح لليل يَطردُ
دنى دونك البدر التمام وضاءةً ... وغصن النقا يُزرى به وهو أكمدُ
دعاني إليك الشوق يا من بلحظه ... حسام لحتف العاشقين مُجردُ
دع النفس إن الله حرَّم قتلها ... فقتلي حرام سَهوه وتَعمدُ
دمي غيرُ حلٍ سفكه فأبقي الذي ... على دينه عاش الإمام المؤيد
درور العطا يحيى بن حمزة من له ... ملائكة الرحمن بالفضل تشهد
دليل ذوي الألباب من خير منهج ... إلى خير ملك ذي نعيم يُخلَدُ

دعا دعوة الحق الـذي هـو أهلهـا ... فزينهــا علــم وحلــم وســؤددُ

دلائله قامت مـن الصـحف التـي ... تلاهــا النبــي الهاشــمي محمــدُ

قافية الذال

ذكرت الصبا فانهلَّ دمعـي صَـبابةً ... وكــاد فــؤادي حســـرة تتفلـــذُ

ذهاب الصبا لما أتى الشـيب كـائنٌ ... فهل لي من الشيب الذي جاء مُنقذُ

ذممت بشير الشيب خـبراً فقـال لي ... رويـداً فحكـم الله في الخلـق ينفُـذُ

ذوت عنك أغصان الشباب وطالما ... صـحبت الـذي تلهـو بـه وتلـذُذُ

ذَرِ الـــراح إن الله حـــرَّم شربهـــا ... عـــلى النـــاس فالنُّبَّـــاذ فيَّ تَنَبَّـــذُ

ذهبت إلى نصح النصيح فكنت من ... أنـــاس لهـــم بـــالله منهـــا تعـــوذ

ذكــرتُ إمــامي واتبعــت ســبيلهُ ... لئن كنت ممن ليس بالذنب يؤخَـذُ

ذريعي إلى الرحمن يحيـى بـن حمـزةٌ ... فمــثلي بــذا مــن خــوف ذا يتلــوذُ

ذخيري ومَلْجـاتي وركنـي وعـدّتي ... إمــام يغيــث المســتغيث وينقــذُ

ذهبـــت إلى رأي أراه ولم أكـــن ... كذوباً إذا مان الكذوب المطرمـذ[1]

---

(١) **المطرمذ**: يقول ولا يفعل أو لا يتحقق في الأمور. قاموس

قافية الراء

رضابك[١] سَلسَال ولست بشارب عَقاراً ورشف الريق من فيك سكَرُ

رعـى الله أيـام الوصـال وردَّهـا عـليَّ لعـلي باللقـا منـك أظفـر

رهنتُ فؤادي في هـواك فلـم أُطـق عـلى فكـه فهـو الـرهين المحـيَّرُ

رميـت سـويداء الفـؤاد تعـدِّياً عليـه كـأن البـدر فيـه مصـورُ

رضـيتك خـلاً والمؤيـد هاديـاً إلى دينـه وهـو الإمـام المطهـرُ

رجوت الذي أحيا بيحيى عباده يُكفـر عنـي مـا جنيـت ويغفـرُ

ركنـت إلى ديـن الإمـام الـذي لـه منـار عـلى بـرج النعـائمُ يظهـرُ

رقى قلـل المجـد الـذي هـو أهلُـه فكـل الـورى يُثني عليـه ويُشـكرُ

رأيـت اتبـاع الحـقِ خـير وسـيلةٍ إلى الله جـــلَّ الله والله أكـــبرُ

رعيـت بتقـوى الله أخشـى عذابـه لينجينـــي ممـــا أخـــاف وأحـــذرُ

قافية الزاي

زهى في نصيف الحسن مرتـدياً بـه ظبي هضيم الإطـل ريـم[٢] مُعجّـزُ

---

(١) **الرُضاب**: الريق المرشوف، وهو المراد هنا. قاموس

(٢) **الهضم**: خمص البطن ولطف الكشح وقلة انفجار الجبين، وهو أهضم وهي هضماء وهضيم. قاموس

الإطل: الحسن والمعجب من ليل وغير ذلك. قاموس

الريم بالكسر الظبي الخالص البياض. قاموس

زيادته في الحسن من بعد قَسْمِةٍ إلى التسعة الأعشار عشر مُحوّز

زيارته عندي أسرُ زيارةٍ ومذهبه مطل بها وتعوزُ

زهى مُسعِداً للدهر في حتف وما ذاك في دين الإله مُجوَّز

زهاني نوى حتفي فحسبي وحسبه إمام له فضل من الله مُعجزُ

زمام بني الزهراء في سبل التقى ومن همُ بالفضل منه تجوُّز

زجرت افتقاري باسم يحيى بن لكل الورى ركناً من الفقر محرزُ

زرعت بقلبي حب يحيى بن حمزةٍ فما حبه عن حبةِ القلب يَبْرُزُ

زهوت بمدحي للإمام وإنني لأفقر محتاج إليه وأعوزُ

زعيم بأجري عن صياغة مدحهِ تمام المواعيد التي هي تُنجَزُ

قافية السين

سلام على الرسم الذي غاب أهله وأقفر عن سكانه فهو مُكرِسُ[1]

سفكت به دمعي أصيلاً فلم يزل لظى كبدي فيه إلى الصبح يُقبَسُ

سقى وجنتي دمعي وأجَّج جثتي على الدَّف من حر الفؤادِ تنفسُ

سهوت عن المكبوس[2] بَلْبَلَ مهجتي هناك ومثلي من بكى وهو مُنكِسُ

---

(١) **خال مكرس**: أي منظم كالقلادة المكرسة إذا نظم اللؤلؤ من الخرز في خيط. قاموس

(٢) **المكبوس**: المشدد أو الحامل إذا شد الكبس الصلاب الشداد. قاموس

سُلبت الحُجا حتى نظمت فرائداً ... بها جيد لفظي محتل متلَبِس
سلكت نظامي في الطروس وإنها ... لأطيب من نفس العبير وأنفَسُ
سطور بها مدح الإمام الذي دعا ... فسُرَّت به منها قلوب وأنفُسُ
سليل الرضا المفضال وابن نبيه ... وكاشف جلباب الدجى وهو حَندسُ
سلام على يحيى بن حمزة من له ... المنار المعلى والمقام المقدسُ
سأشكر يحيى ما بقيت مُعمرا ... وتشكر يحيى أعظمي حيث أُرمَسُ

قافية الشين

شُغلت بحب البيض دهراً فلم أزل ... عميداً ودمعي للخدود ترشُشُ
شربت بكاسات من اللهو والنوى ... وشاربها يوم القيامة أعطشُ
شُغلتُ بمن أهواه حتى تعرضت ... لنا نائبات البين والبين مُوحشُ
شوى كبدي جمر البعُاد بحرِّه ... وخامرني ليل من الفقر مُغطشُ
شبيهان في تعذيب قلبي ولم أكن ... جليداً أخا صبر وما اسطت أبطِشُ
شطى الفقر شاطٍ فيَّ حسبي ... إمام به في الأرض للخلق ينَعشُ
شمائله راقت وفاقت ودمرت ... جحافله ما كان ذو الظلم يعَرشُ
شددت إلى يحيى من الفقر إذ غدت ... نوافله تترى لنا وتُرَيِّشُ
شكرت أبا إدريس شكراً مؤبداً ... إلى حين أُوتى بالحنوط وأنعشُ

شَفيتُ كلام القلب أن صغت مناظيم يحويها القريض المُفَتَّشُ

قافية الصاد

صديقيَّ شدا عن جسور كأنها مهاة إذا الكلَّاب للصيد يقنصُ

صُهائية[1] عيرَانه[2] شدقميةٌ[3] تنص على ظهر الفِلاة وترقصُ

صموتاً لدى حد البرى غير ناقص نواهقها يوم الركائب تنقص

صبوراً على سير السُرى كل ما اغتدى صليب مضى غِبَّ السُرى وهو أحوصُ

صلايأتي مولانا الإمام الذي دعا إلى خير نهج وهو بَر مخلصُ

صبيح المحيا خير من حذَّمت[4] له الظباه المواضي والقنا المتخرِصُ

صفي إله العرش وابنُ صفيه شفيع الورى يوم البواصرِ تَشخصُ

صفوح سموح حقَّق الحق فالذي يخالفه في غيِّه مُتربصُ

صفا لأبي إدريس أمري فإنه لألطفُ بي من والديَّ وأحوصُ

صروف زماني كبلتني قيودها وجود أبي إدريس نعم المُخَلِصُ

---

(١) **الصها**: جمع صهوة وهو المطمئن من الأرض تأوي إليه ضوال الإبل. قاموس

(٢) **عيرانه**: التي وضع في أنفها العران، أي عود يجعل في وترة أنف البعير. قاموس

(٣) **الشدقم**: الأسد والواسع الشِّدق وكجعفر فحل للنعمان بن المنذر ومنه الشدقميَّات من الإبل. قاموس

(٤) **حذَّمت**: أي أسرعت له.

قافية الضاد

ضَحكتَ بجنح الليل يا برقُ فلتطب ... عُــرى كبــدي لَمَّــا رأيتــك تنــأضُ

ضــياؤك يكســوني مــن المجـد حُلـةٌ ... إذا بــان لي في الأفــق منــك تَعــرضُ

ضربت بسـيفِ الهجـر ضربـاً مُكلـماً ... فلم يُغن عني صـارمي وهــو أبـيضُ

ضنينا غدا بالوصل ذى المبلـغ الـذي ... بعســجده طــوراً وطــوراً يفضــضُ

ضَـحوك الليـالي ضـاع قلبـي بحبـه ... ومــا ذنبـــه إلا يَصْــدُ ويُعـــرِضُ

ضللت إلى أن زرت يحيـى بـن حمـزةٍ ... إمامــاً كــريماً دينــه لــيس يُــرفَضُ

ضــبطراً[1] لــه ممــا قنــاه صــوارم ... ذكور تُرى يوم الوغى وهـي حُـيَّضُ

ضربت بسـوطي نحـو يحيـى شـملةً ... ترفَّــع في بطـــن الفـــلاة وتَخِفــضُ

ضِــخاماً فقــار الظهــر منهــا بليغــةُ ... يشـــوِّقني إرقالهــا حـــين أركـــضُ

ضــبطت أمــور الــدين لَمَّــا اتبعتَــهُ ... مطيعــاً لــه فــيمن يُسِــنُّ ويُفــرِضُ

قافية الطاء

طَغى الدهر ويلُ الدهر ما بال حكمـه ... يجــورُ علينــا في الأمــور ويَشــططُ

طِمعــتُ بــأن الــدهر يقضـــي بقربنــا ... قضـى بالذي يبغي الغريب ويشُـحِطُ

---

(١) **الضَّبطر**: الشديد والفخيم المكشـر والأسد الماضي. قاموس

طمعتُ إلى سلمى فما اسطعت وصلها فيـا ليتنـي مـن عقـدها المتوسـطُ
طعمـت النـوى مُـراً فلـما أمّـر مـا حـلا ثـم شـاب المستسـاغ المُـنغَطُ
طلعـتُ ذرى هـران لا برحـت بـهِ بكـل صـباح رحمـة الله تَسـقُطُ
طلوعـاً نفـى عنـي الـذنوب بأسرهـا وعرفنـي مـا كـان للـدين يَحـبِطُ
طويتُ الصحاري مهمهاً بعـد مهمـه أحـور عـلى عـيري بزجـري وأقَسـطُ
طِلابـاً لفضـلٍ مـن إمـام كأنـه نبـي لـه جبريـل بـالوحي يَهـبطُ
طويلُ القنـا يحيـى الـذي زانـهُ التقـى ولم يُرضِـه مـا كـان لله يُسـخطُ
طمى مرجُ بحر العلم من فيـه زاخـراً فـأزرى بمـوج الـيم وهـو غُمطمـطُ

قافية الظاء

ضـبي الفـلا أضـمتك أسـهم لحظـه وليست سهام الأعينِ النُجـل يَـرعظُ
ضـبياً غـدوت اليـوم لمـا رأيتـه بسـهم الـردى يرنـو إليـك ويلحـظُ
ظلومـاً كأصـحاب لنـا بـآن ظُلمهـم ومـانوا بعهـد الله وهـو المغلَّـظ
ظننـتهمُ يرعـون عهـدي فـإنني لأرعى لـذاك العهـد مـنهمُ وأحفـظُ
ظللـت غـداة البـين أبكـي علـيهمُ فكادت به عيني مـن الـدمع تجحَـظُ
ظَفِرت ونالت نفسـي الخير مذ غَدَتَ بـما قالـه يحيـى بـن حمـزة يـوعظُ
ظهـير كتـاب الله فـيما أتـى بـه يحـور لديـه المصـقعُ المـتلفظُ

ظـلام الأمـور المشـكلات بفضـله ... تجـلى ويرجـى للنِّيـام التـيقظُ
ظفـرت بـما أرجـوه منـه فربُّـه ... يسـلمه مـن كـل سـوء ويحفـظُ

قافية العين

عـلى رسـم لـيلى سـلماً وترحمـاً ... وإن كان قفـراً مهمهـاً لـيس يُسـمعَ
عفـى فهـو خـال[1] مُكـرِس متأبـد ... ومـا فيـه إلا الآبديـة تَرتَـعُ
عسى الله ذو العـرش المجيـد بلطفـه ... يؤلـف بـين النـازحين ويجمـع
عـلى عجـل فـالله بـرٌّ بخلقـه ... ومـا شـاء في مخلوقـه فهـو يصـنعُ
عُـلا مجـد يحيـى الفـاطمي بفضـله ... يسامي السها بل مجـد مـولاي أرفـع
عـليٌ أبـوه ثـم أحمـد جـده ... نبـي شـفيع للأنـام مشـفع
علمنـا بـأن الشـرك ظلـم وظلمـةٌ ... وديـن إمـام الحـق بـالنور يصـدعُ
عرفنـا الهـدى لمـا ابـنُ حمـزة أمَّنـا ... فنحن على السُبل التـي هـي شـرعُ
عبـاد لـرب العـالمين بـأمره ... سـجود إلى البيـت الحـرام وركَّـعُ
عليـه سـلام الله مـا هبـت الصـبا ... وما هاتف أضحى على البان يسـجعُ

---

(١) **خال**: شامة في البدن والرجل السمح وصاحب الشيء والخلافة. قاموس

قافية الغين

غرامك يـا قلبـي بمـن سـهمُ لحظـه ... رمــاك فلــم ينفــك منــه الــتروغُ

غـــزال وأمـــا في تـــرنح قَـــدِّه ... فمثـل قضـيب البـان بـل هـو أبلـغُ

غـــدائره مُســـحنككات[1] وخـــده ... أسيل ومخضـر مـن السـكرِ مُشـرع

غياهب لون الـدجى في لـون فرعـه ... وشمس الضحى من لون خديه تبزغ

غفلت عـن الطاعـات شـغلاً بحبـه ... وكيف ترى ذا الشغل في الحب يفرغُ

غفلـــت فلـــما زرتُ يحيـــى مســـلماً ... سلمت من الرجس الذي هـو ينـزغُ

غنمـــت لديـــه مغـــنماً خـــيرَ مغـــنمٍ ... وأبلغنـي مـن قبـل مـا لسـت أبلـغُ

غنيـــت بـــأن قبلـــت كفَّـــاً مطهـــراً ... إذا مـــسَّ صـــخراً كـــاد بالمـــاء ينبـــغُ

عرفـت إنـائي مـن غطمطـم جـوده ... سلاف كطعم الشهد بل هي أسـوغُ

قافية الفاء

فـــؤادك مكلـــوم وجســـمك ناحـــلٌ ... وأنت مريض من طبـا البـين مُـدنِفُ

فقـدت الأُحيبـاب الـذين ثغـورهم ... جمـان ومرجـان وشـهد وقرقـف[2]

فُتنـــت بهـــم حتـــى غـــدوتُ ببـــثهم ... كأنـك مـن عينيـك تبكـي وتغـرف

فـــداؤك في الإخـــوان تبكـــي تلهفـــاً ... علـــيهم ولم ينفـــك ذاك التلهـــفُ

---

(١) **مسحنككات**: مسحنكك بكسـر الكاف وفتحه شديد السواد. قاموس

(٢) **قرقف**: الخمر يَرعَد عنها صاحبها. قاموس

فـــــراقهمُ داء دهــــــاكَ وإنـــــما ... شــفاؤك هِــرَّانَ إن كنــت تعــرفُ
فضــائل يحيــى الفــاطمي الــذي لــه ... خلائــقُ بــرٍّ لم يَشــبها التعجــرفُ
فوالله مــا في الأرض مثـل ابـن حمـزةٍ ... ولست بذي حنثٍ إذا شئت أحلـفُ
فلـــم يـــك إلا صـــائماً أو مصـــلياً ... مــدى عمــره أو مملياً مــا يصُــنفُ
فيحيــى الــذي أحيـا الـبلاد بفضـله ... فلم يبـق في وجـه البسيطة مُســرفُ
فصـــلى عليـــه الله مـــا هبَّـــت الصـــبا ... وما بات ذو طوق عـلى البـان يَهتـفُ

قافية القاف

قهرت شعاع الشـمس بـالغرة التـي ... بها الليل والسود الغياهـبُ تشــرقُ
قوامك كالغصن الرطيـب إذا انثنـى ... عـلى هيئـة قـدٌّ مـن الغصـن أرشـقُ
قنـا الخـط يـدنو دون قـدِّك لـدنها ... قوامــاً وفي فيــك الرحيــق المــروّقُ
قســوت وتيمــت الفــؤاد صــبابةٌ ... فصـــار لقلبـــي في هـــواك التعلـــقُ
قطعت وتين القلـب بالصـد عامـداً ... فلــما رأيــت الشــمل وهــو ممــزق
قطعــت متــون البيــد تحمــل عــدتي ... شــمل كـركن الطـود أعلـم أورق
قـــويّ عـــلى طـــي المهـــود[1] كأنـــه ... إذا خــبَّ في جـوف التنوفـة نقنـق[2]

---

(١) **المهود**: الأرض أو النشز من الأرض أو ما انخفض منها في سهولة واستواء. قاموس

(٢) **النِّقنق**: الظليم أو النافر أو الخفيف، والنقف كسر الهامة عن الدماغ أو ضربها أشد ضـرب أو برمح أو عصا. قاموس

قصدت بـه أبـواب يحيـى بـن حمـزة ... إمـام الزمـان الصـادق المتصـدق

قربت إلى الرحمن إن صـغت مدحـه ... وذاك لأن الفضـل فيـه محقـقُ

قــررت بــه عينــاً فــلا زال كفــهُ ... سـموحاً سـفوحاً كـيفما شـاء ينفـقُ

قافية الكاف

كملـت صـفات في المحاسـن كلهـا ... فأنـت لأربـاب المصـاقع تملـكُ

كساك الدجى فرعـاً فكـان كمثلـهِ ... أبـى الله إلا أن فرعـك أحلـكُ

كمائـم أزهـار الريـاض إذا بـدت ... خدودك ذات النور بالنور تضـحك

كأنـك مـن لحظيـك تسـتلَ مُحُـدماً ... يحـور بأكبـاد الرجـال ويفتـك

كلُمـت بـه قلبـي فكيـف يكـون ذا ... وحبـك فيـه سـاكن متحـرك

كحـب أمـير المـؤمنين ابـن حمـزة ... إمـام لـه في مـنهج الحـق مسـلك

كـريمٌ كـريمِ الفخـر ملـك مطهـر ... يـدمر أعـداء الإلـه ويهلـك

كتآئبـه تغشـى الـبلادَ فدأبـه ... يُبـيح دمـاء الظـالمين ويسـفكُ

كفى بأبي إدريس ملكاً عـلى الـورى ... لـه حجتـان فـيهما الفضـل يـدركُ

كتـاب مـن الـرحمن جـاء وسـنة ... فذو الشك في يحيى بن حمزةَ مشـركُ

قافية اللام

لحاظك مكحولات من سَحر بابل فبـــالي كئيـــب منـــه بـــالٍ مبلبـــلُ
لثاتـــك فيهـــا لؤلـــؤ متـــنظمٌ ومســك وكــافور وشــهدُ وسلســلُ
لخديك إشراق يضيء شعاعهُ فشمس الضحى عن شمس وجهك يخجلُ
لــو اتفــق الإكليــل والبــدر ليلــةً لأزراهمـــا منـــك الجبـــين المكلـــلُ
لعمرك إني في الهـوى أوحـد الـورى وأوحـدهم في المجـد يحيـى المفضـلُ
لبــاب ذوي الألبــاب مــن آل أحمــد إمـــام بـــأمر الله في الأرض يعمـــلُ
لطيــفٌ رحــيمٌ بالرعيــة عــن يــدٍ حليم صفوح حين ذو الجهـل يجهـلُ
لبيــب أُريــت كــل مــن كمُلــت لــه المعــالي فيحيــى منــه أعــلى وأكمــل
له سـيرةٌ قـد شـاع في الأرض عـدلها فمن ذا الذي عـن عـدل ذي العـدل
لقـــد هـــدَّ أركـــان الظـــلام بعلمـــه كــأن أبــا إدريــس بــالوحي مرســل

قافية الميم

مراضِ العيون النجل بـانوا فبينـوا ببيـنهم الســـر الـذي كنـت أكـتمُ
معالمــه صـــارت خـــلاء ولم يـــزل بقلبـي لهـم يـا أيهـا النـاس مَعلـمُ

محت مائحات الريح آثارهم فما ... ترى ثم إلا الجُون والجُون جثم[1]
مخيمهم خاوي الطلول وطالما ... أقام لهم في القلب مني مخيم
منعت هوى نفسي فلما منعته ... ولم يصدق الوهم الذي كنت أزعم
مددت الخُطى نحو ابن حمزة ... مكارمه فهو الإمام المكرم
مليك من القوم الذين أبوهمُ ... جلا ظلمات الظلم والظلم مظلم
محمد المختار ذو المفخر الذي ... به شُرِّف البيت العتيق وزمزم
مدحت أبا إدريس مدحاً كأنه ... إذا حِلَته الدر النضيد المنظم
مرامي مولانا الإمام وإنني ... لأشرف إن واليت يحيى وأعظم

قافية النون

نأت عنك ذات الدملجين[2] فلم تزل ... كئيباً أخا بثٍّ دموعك هتن
نفت عنك تهويم الكرى يشطونها ... وطيب الكرى من لوعة الشط تشطن
نحولك يبدي كل ما أنت كاتم ... وعيناك تجري منهما الدمع أعين
ندمت وقد أشبهت داوود بالبكا ... وفي الحزن إسرائيل بل أنا أحزن
نعوذ من البين المبين بمن به ... إمام الهدى يحيى بن حمزة مومن

---

(١) **جثم**: لزم مكانه فلم يبرح. قاموس

(٢) **الدملجين**: الدملج المعْضَد والدملجة والدملاج تسوية صَنعة الشيء والدماليج الأرضون الصلاب. قاموس

نجيب الأصول الزاكيات ومن به ... من الله فضل ظاهر متبين
نفى ظلمة الظلم التي هاضت الورى ... فذو العرش يخزي من عصاه ويلعن
نظمت بجهدي فيه مدحاً وإن أكن ... مسيئاً فمولاه المؤيد يحسنُ
نعمت به دهري فقلبي مُنظم اللآ ... لي ولساني للعقود يفكّن
نسيم الصبا هبَّت فقامت لمدحه ... وإطرائه مني قلوب وألسن

قافية الهاء

هواك هوى نفسي ونيؤك مُسّقِمي ... كذا السقم سمٌّ ما يفارق إِلفَهُ
هرقت دمي والله حرَّم سفكه ... وأحللته ما سالب الظبي رَدْفَه
هجرت فطال الهجر حتى أصابني ... عظيم من الأشواق ما اسطعت وصفه
هواك حوى نصفاً من القلب شائعاً ... وحب أبي إدريس يملك نصفه
هلال بني الزهراء بل بدر تمِّهم ... ومن جوده يزري من الجَون وكْفَه
همى كفه تبراً ترى الغيث دونه ... حقيراً إذا ما ساجل الغيث كفَّه
هتفت بقومي حين يحيى بنُ حمزةَ ... نهى القلب عن فعل القبيح وكْفَّه
هلموا إلى دين الإمام وحاذروا ... معانِدَه أن يُرِغم الله أنفه
هو الملك العدل الذي كل ملحد ... يخالفه في الأمر يشرب حتفهُ
هو القائم الداعي إلى الحق والذي ... ترى فيه من فضل الأئمة ضِعفه

قافية الواو

وقائلـــةٍ مـــا بـــال شـــيبك شـــاعلاً	فقلــت إذا شــاب الكــرام تــوقروا
وكـم مـن أنـاس قـد أحبـوا زيـارتي	فلـو زرتهـم بعـد المشـيب لأنكـروا
وهـا أنـا غـادرت الصـبابة والصـبا	فخلوا سـبيلي أيهـا النـاس واعـذروا
وعــدت إلى ســفرٍ كــريم مشـــرف	إذا مـا تـلاه العُمـى بالخـد أبصـــروا
وتُقـت إلى تـأليف يحيـى بـن حمـزة	من العلم توقاً فاعلموا ذاك وأشعروا
وكونـوا ليحيـى شـيعة واقتـدوا بـه	فقد قال قبلاً فانصروا الحق تُنصـــروا
ولا تجعلــوا يومــاً ســواه إمــامكم	فتــأتوا قبيحــاتِ الأمــور وتكفــروا
وقـــاه القـــدير الـــبر كـــل عظيمـــةٍ	من الدهر ما لاح الحجيجُ وأبكـروا
ولو وفـد العـافون مـن كـل جانـب	إلى سوحه الرحب الكـريم ليظفـروا
ولا زال ركنـــاً شـــامخات أنوفـــه	لفرقتـــه مـــا حيعلـــوا ثـــم كـــبَّروا

قافية لا

لأجل الهوى هانـت نفـوس عزيـزةٌ	وللبين باتـت أعظـم للصـبِّ نُحَّـلا
لأن الهـوى حلـو وفي البـين ضـده	إذا جـدَّ أمـر البـين مـرَّ الـذي حـلا
لأشكو الذي ألفيت من حرقة النوى	إلى ملـك فـوق العـلى مجـده عـلا
لأحـــدوا إليـــه ناقـــةً شـــدقمية	تقصـد بالإرقـال منهـا مـدى الفـلا

لأبلـغ مـن يحيـى بـن حمـزة مـأملاً　　فــلا زال يحيــى للأنــام مــؤملا
لأن لـــه فضــــلاً يجـــود بفضـــله　　ووجهاً لوجه الأرض كابن جلاجلا
لأمـلأ كفـاً عسـجداً مـن غطمـطٍ　　لكـل فقـير مـن أكـف المـلا مـلا
لآل رسـول الله فضـل عـلى الـورى　　فصـار عليـه فضـل يحيـى مفضـلا
لأنظــم في مــدح الإمــام فرائــداً　　تجــل وتعلــو أن تُشــابه جــرولا
لأمدحــــه دهـــــري وإني بمدحــــه　　على غيظ من عـاداه يومـاً ومـن قـلا

قافية الياء

يعــاتبني في الحــب قــومي وإننــي　　لأعصـي بحـب الغانيـات بنـي أبي
يقولــون دع عنــك الهـوى وطِلابَـهُ　　فقلت لهـم لا ينبغـي تـرك مـذهبي
يموتــون في التــبريح أبنــاء عَــذْرةٍ　　وكان الهوى حتفاً لقيس فكيف بي؟
يمينــاً بثغــر ذقــتُ فيــه سُــلافةً　　حلا عندها نومي وأكـلي ومشــربي
يــوالي ثنــا يحيـى بـن حمـزة خلتـه　　للفظي ولم لا وهو خـير بنـي النبـي
يمـين أبي إدريـس جـم عطاؤهــا　　عليَّ فـأغنى عـن تليـدي ومكسـبي
يجـود إذا مـا جئـت أسـأل جـوده　　بنافلــة يجلــو بهــا وجــه مطلبــي
يســاجله الجَــون الحَيِــيُّ بوبلــه　　وجــل عطــاء أن يســاجلهُ الحيــي
ينـال الحِبـا مـن كـان يحيـى إمامـهُ　　ومــن أمَّــه يومــاً ســواه فـلا حُبِـي

يـزورك يـا يحيـى سـلامي مكـرراً إذا ضم لحـدي بـين كفـي ومنكبـي

قال والدنا السيد العلامة المجتهد صلاح بن محمد بن صلاح بـن عـلي بـن الحسين بن علي بن عبدالله بن محمد بن الإمام يحيى بن حمـزة علـيهم السـلام : تمت المعشـرة الفائز قائلها ومن قيلت فيه سابع ضحوة يوم الأحـد لسـتة أيـام من شهر جمادي الأولى سنة خمس وتسعين وتسعمائة سنة والحمـد لله عـلى كـل حال، وصلواته على محمد وآله خير آل.

أما الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام فلم يشتهر عنه قول الشعر ونظمه، ولم أقف له على شعر وإنما وقفت على عدة أبيات في الفوائد المجموعة لوالدي العلامة الحسن بن القاسم السراجي رحمه الله قال فيها نقلاً من خط الوالد العلامة الحسين بن محمد الديدي رحمه الله قال فيها الإمام يحيى عليه السلام:

سأطلب علماً أو أموت ببلدة
يقل بها قطر الدموع على قبري[1]

وليس اكتساب العلم يا نفس فاعلمي
بميراث آباء كرام ولا صهري

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى
ليطلب علماً بالتجلد والصبر

فإن نال علماً عاش في الأرض سيداً
وإن مات قال الناس بالغ في العذر

---

(١) وجدت هذا البيت قد ذكره ياقوت الحموي.

الفصل الثامن: وفاته عليه السلام

لحظات الاحتضار

لما كان الإمام يحيى عليه السلام قد دنى أجله، وقد ناف على الثمانين بأشهر وهو مكتمل الخلق كامل الحواس لا اختلال في سمعه ولا في بصره، ولم يظهر عليه شيء من أثر الشيخوخة إلا بياض لحيته، لم يسقط له سن ولا تغير له جلد ولا لان له عظم ولا فتر له قوى، وإذا بالموت المحتوم قد شارف وقد صلى الإمام صلاة العشاء، فلما استوى من السجود قعد ثم سلَّم فقال له أحد أولاده: نسيت التشهد؟! فقال الإمام عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما علم الأعرابي[1] قال له: ((**فإذا قعدت فقد تمت صلاتك**)) فعلم الجميع أنه لم يذهل ولم يكن لينسى، ولا كان عن سهو ولا غفلة وهو في حال الإحتضار إكراماً من الله سبحانه له، وما فارق الحياة إلا أخر تلك الليلة.

وروي أنه قرأ بعد تمام صلاته تلك: ﴿**لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا**﴾[الجن:٢٨].

قال في الثمرات [١/ ١٧٥]: وحكي عن الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام أنه قال في مرض وفاته: ((**والله إني مشتاق إلى لقاء ربي**)). اهـ

وقد روى بعضهم أن الإمام عليه السلام مات ساجداً.

---

(١) الحديث المشهور بحديث المسيء صلاته.

وفاته عليه السلام

ولا زال عليه السلام على حاله الجميل قائماً بالدعوة مثابراً على التدريس والتأليف حتى نزل به الحمام ومرض مرض الموت ثم توفاه الله العلي اللطيف في ٢٩ من شهر رمضان سنة ٧٤٩هـ في حصن هـران غـربي ذمـار، فأظلمـت الأقطـار، وارتاعت الأمصار، واضطرب الناس، ووقـع الخـوف فـيهم، واشـتد البـأس لفراق إمام المسلمين وأمير المؤمنين القائم بالحق الآمر بالمعروف والناهي عـن المنكر، الذي كانت أيامه أيام الرخاء، وزيادة النعـيم، ووفـرة العطـاء، وكثـرة الأمطار، وغزارة الخيرات، واستقرار البلاد وأمنها وحُسـن حالهـا ووضـعها، وانتشـر العدل، وكثر أهل العلم، وشيّدت مدارسه، ولكنـه أمـر الله المحتـوم الذي لا مرد له، وإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا ونقل الإمام عليه السلام إلى ذمار إلى مدرسته، وقبـر في منطقة تسمى الحوطـة، وفي جامعـه عليه السلام ويسـمى بجـامع العماد، وقبـره هناك مشهور مزور، وقد كان يسمع وقت وفاتـه نـداء لفظـه: إمام علم وهدى.

وممن رثاه الإمام الواثق المطهر بن محمد عليه السلام بقصـيدة وهـي مـذكورة في تابوته عليه السلام وهي:

نـــور النبـــوة والهـــدى المتهلـــل

أرســـــى كلاكلــــه ولم يتحـــــول

في قبــة نصــبت عــلى خيـــر الــورى

قــدراً وأشـــرف في الفخــار وأفضــل

وعــلى الإمامــة والزعامــة والنــدى

والجـــود والمجـــد الأثيـــل الأكمـــل

وعــلى الســماحة والرجاحــة والنُّهــى

وعـــلى المليـــك الأوحـــد المتطـــول

والعـــالم المتوحـــد المتـــرهب الـــ

ـــــــمتعبد المتنفـــــــل المتبتـــــــل

يحيـــى بـــن حمـــزة نـــور آل محمـــد

لـــب اللبـــاب مـــن النبـــى المرســـل

كشّـــاف كـــل عظيمـــة ومـــلاذ كـــل

ملمـــــة ورجـــــاء كـــــل مؤمـــــل

يــا زائــراً يـــرجو النجــاة مــن الــردى

عـــن قبـــره وضـريـــحه لا تعـــدل

لُــذْ بالضــريـــح وقـف بــه متضـــرعاً

واطلب رضـاك مـن المهـيمن واسـأل

تحيا بكل وسيلة وفضيلة
وتنال خيراً في علو المنزل
شرفت ذمار بقبر يحيى مثلما
شرفت مدينة يثرب بالمرسل
فليهن أهل ذمار حسن جواره
فيما مضى وكذاك في المستقبل

وذكرها المولى الحجة مجد الدين عليه السلام في التحف شرح الزلف (ص٢٦٧) في ترجمة الإمام الواثق بالله، وفي الزحيف وغيرهما.

وكان القائم على عمل تابوت الإمام عليه السلام وبعنايته الوالي جمال الدين محسن بن حسن السرى [لعله السيري].

وكتب على عتبة الباب:

حبذا المشهد المشيد بالفضل ... وبنور الإله أضحى متوج
عرفه عنبر ومسك ذكي ... حامل البخور طيبة وبه ينتج

وكنت قد زرت الإمام يحيى عليه السلام لعل ذلك عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م فالتقيت بإمام المسجد القاضي العزي محمد الأكوع -وكان مفتي محافظة ذمار- وأحسن استقبالنا، ومن جملة ذلك قرأ تلك الأبيات التي على عتبة

الباب جزاه الله خيراً.

هذا ودفن السيد الحسن بن صلاح بن الإمام المهدي علي بن محمد بجوار الإمام يحيى عليه السلام في القبة وهذا السيد ابنته الشريفة الطاهرة المعروفة فاطمة بنت الحسن وهي من أشهر النساء وكانت كاتبتها وسكرتيرتها ومديرة مكتبها السيدة الفاضلة فاطمة بنت عبدالله بن الهادي بن الإمام يحيى بن حمزة رحمهم الله جميعاً.

(رؤيا صادقة)

الرؤيا الصادقة: ما صدَّقها الواقع، ومن ذلك ما رآه الفقيه العالم المذاكر الحسن بن محمد النحوي[(١)] في المنام، فقد رأى أن القيامة قامت والناس في قاع صفصف، ولم يـر أحداً من الناس راكباً إلا الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام فقد كان راكباً على فرس بيضاء، والإمام يسرع في سيره بالفرس وهو يقول: **(لمثل هذا اليوم حسنَّا الظنَّ)**، لمثل هذا اليوم حسن الظن بالناس[(٢)].

يا لها من رؤيا عجيبة صادقة، فقد كان والدنا الإمام يحيى عليه السلام يحمل الناس على السلامة، مهما وجد محملاً، عرف بالإنصاف والدفاع عن أئمة آل البيت وخيار الصحابة، وفضلاء العلماء الأتقياء.

---

(١) الفقيه حسن بن محمد النحوي العالم المجتهد، الفقيه، المسند، العابد الزاهد، قاضي صنعاء ومفتي الديار اليمنية، مضت أحكامه في مكة ومصر والعراق وبلاد الشافعية والحنفية وتهامة وعدن وجبلة وتعز وكتب التراجم كفيلة بترجمته فراجعها وكتابه المطبوع المسمى ب((التذكرة)) مشهور، توفي رحمه الله سنة٧٩١هـ ودفن بصنعاء.

(٢) صلة الإخوان(ص١٢٦)-خ-، المستطاب-خ-

ذرية الإمام يحيى عليه السلام

لقد رزق الإمام يحيى عليه السلام ذرية مباركة صالحة فرزق من الأولاد سبعة من الذكور وست من الإناث وقدمنا تراجم أولاده الذكور[1]، وقد كثر نسلهم وزادهم الله فيه البركة والصلاح بفضله حتى صارت ذرية كثيرة غالبها الصلاح، قال السيد العلامة القاسم بن أحمد المهدي عافاه الله: ويجتمع في الإمام يحيى بن حمزة السادة آل المهدي الحوثي الحسيني وآل الحوثي الحسينين بالروضة وصنعاء والفليحي والسر والشغادرة من أعمال حجة ورازح وخولان الطيال دار الشريف والحيمة وبيت الشعيبي وعزان وحوث وصنعاء وذمار وآل السراجي الحسينين وآل التقي وبيت الشرعي وبيت الأعضب وبيت أبو علي وبيت الأشقص وبيت الشيبة وبيت الديدي وبيت ساري وبيت حنيش وبيت الكبير وبيت جاحز وبيت مجد الدين وهم بيت جباله وآل الحوثي في مدينة الخراب وبرط وبيت عجاج وبيت عشيش في رداع وحوث وبيت الشراري وبيت الهادي شرف الدين بالاهنوم وصنعاء وجده، وسادة الجعدي من أعمال شرعب والأشراف في المطمة، وآل الحوثي في ثلاء

(١) وهم عبدالله ومحمد وأحمد والحسين وإدريس والمهدي والهادي، قدمنا تراجمهم في كتابنا ((روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث))، فراجعها فيه.

وسادة عمد بخبان[1] وذمار، وآل الحوثي بذمار وتعز وجهات الشرف والعدين وغيرها، وأعدادهم كثيرة بأصقاع اليمن وفيهم العلماء والصلحاء والأولياء من أهل النسك والعبادة والشجاعة والجهاد والسيادة والقيادة والريادة والدعوة والإرشاد[2]. اهـ

قلت: ومنهم في الجوف آل عقيل، ونقائل من أسر عدة سكنوا صنعاء وصعدة وتعز وغيرها، ومن بيت الشيبة في كحلان ويتسمون بالحوثي، ومن بيت الشرعي الذين في نجد الجماعي وغيرهم.

قال في الزحيف: وذريته -أي الإمام يحيى- مشهورة بالعلم والفضل.

قلت: ذكر العلماء أن من كرامات الإمام يحيى صلاح ذريته، وحسن طرائقهم، وانتظام أمورهم، لم يتطلع أحد منهم إلى الرئاسات الدنيوية، ولا رغبوا في شيء من حطام هذه الدنيا الفانية، بل تخلصوا منها، ولم ينافسوا في أقل قليل من حطامها، فنبذوها ظهيرا واتخذوها نسياً منسياً، زهداً وورعاً وتعففاً وتديناً، فصاروا علامة في السادات، وقدوة صالحة في العبادات والعادات، وصاحبوا أئمة الهدى ولم يجهدوا أنفسهم إلا في طاعتهم ولم يخالفوهم، فكانوا -عليهم رضوان من الله ورحمة- بعد والدهم عمدة للأنام،

---

(١) خبان في الشرق الجنوبي من مدينة يريم معروف اليوم باسم مديرية الرضمة ومديرية السَدَّة. اهـ معجم البلدان [١/ ٥٥٨]

(٢) تتمة تراجم الآباء -تحت الطبع.

ومرجعاً للخاص والعام، طلبوا العلوم وحققوا في منطوقها والمفهوم، وشغلوا أوقاتهم بالطاعات فكانوا نجوم العباد ونور الزهاد، ومنعوا أنفسهم فلم يخالطوا أهل البغي والسوء وأهل الفحش والمنكرات، وخالطوا أهل الفقه والحكمة، فهم معدودون في المحققين من العلماء الربانيين والأخيار الصالحين والفضلاء الزاهدين، (**حلماء علماء فضلاء أتقياء**) جعل الله ذلك شعارهم وألحقنا بمن مضى من أسلافنا ولا قطع تلك الشجرة المباركة ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[إبراهيم:٢٤-٢٥]... وصلى الله على سيدنا محمد وآله[1].

---

(١) وانظر النبذة اليسيرة-خ-، المستطاب-خ- وغيرهما.

الفصل التاسع:

وصاياه وكراماته عليه السلام

الوصية هي آخر ما يعهده الإنسان لمن خلفه من الأولاد والأقارب خاصة أو الأباعد عامة، والجدير بالذكر أن الوصية المتبعة والوصايا التي نشاهدها واطلعنا عليها تختص أكثر بما على الموصي وفي ذمته وما عند الآخرين له، كما أنه قد يتطرق إلى ذكر ما عاناه في الدنيا من الأقارب والأباعد، لكن وصية الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام بل وصاياه كانت نوعاً جديداً ونوراً ساطعاً ثاقباً ومنهجاً متكاملاً لذلك أحببت نقل تلك الوصايا التي هي كتاب ومنهج ودستور وحياة للسير على تلك الخطى في الحياة ورسمها كما هي، وفيها لمحات تاريخ وعناء وجهد وبلاء وفيها أخلاق الإمام عليه السلام وآدابه وسلوكه، فلتأخذها ذريته بإمعان ثم سائر شيعته ومحبيه، ومن اطلع عليها من المؤمنين والمؤمنات، حشرنا الله معه وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الوصية الأولى

اللباب في محاسن الآداب

والعهد إلى جميع الأقارب والأحفاد

الوصية الأولى: اللباب في محاسن الآداب والعهد إلى جميع الأقارب والأحفاد

ويتلو ذلك وصايا مولانا أمير المؤمنين يحيى بن حمزة
قدس الله روحه وعهوده التي عهد بها إلى أولاده

نفعنا الله بها ورزقنا العمل بما فيها، وهي أربع:

الأولى: اللباب في محاسن الآداب والعهد إلى جميع الأقارب والأحفاد، من رعاية حق الوالد على الولد، وإعظام حاله في الحياة والموت كما أكد الله -تعالى- ذلك في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه المكرم الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم[1]

الحمد لله الكبير المتعال، ذي المن والإفضال، المختص بالعز والكبرياء وصفات الجلال، المنزه في ذاته عن التغير والزوال، والمتعالي بقيوميته عن مشاكلة الأمثال، الذي جعل الموت قاطعاً لمرائر الآجال، وقاضياً بحكمه لقطع حبال الآمال، وذريعة وسبباً إلى ملاقاة جزاء الأعمال، وحكم على الدنيا بالتغير والزوال، وعلى أهلها بالتحول والارتحال، وعلى نعيمها بالتنغيص والتكدير والمفارقة والزيال، فلا نعيم إلا والموت منغصه، ولا أمل إلا وهو قاطعه وناقصه، وجعل الدنيا لأوليائه معبراً وممراً، والدار الآخرة لمن اصطفاه

---

(١) في النسخة التي بخط الإمام قال: كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وهي علامته وتوقيعه.

واختاره متجراً ومقراً، لينالوا بطاعاته ما عنده من الكرامة، ويفوزوا بجواره في دار المقامة، حيث لا يظعن مقيمها، ولا يكدر عيشها ونعيمها، واختارها لهم جزاءً على الأعمال المبرورة، ومكافأة لهم على ما أخلصوه لوجهه الكريم من الطاعات المقبولة المذخورة، فهو أهل لما خولهم وأعطاهم، وهم الأحقاء بما خصهم به وأولاهم، والصلاة على المبعوث بطي أعمار الدنيا، والخاتم برسالته جميع الرسائل والأنباء، المرجو بشفاعته السلامة عن جميع الأهوال، والمبلوغ ببركته في الآخرة إلى إحراز أعظم الآمال، وعلى آله الطيبين السالكين مسالكه في الدعاء إلى الخيرات الرابحة، والمخبتين لآثاره بالأعمال الصالحة.

وبعد فإن الولد لما كان له موقع في القلوب لا يخفى، ومحل في الأفئدة لا يدفع ولا ينفى، وصار بعضاً للإنسان، وثمرة الفؤاد، وعماد الظهر، وعين السواد[(١)]، وهم الأجنحة التي يطار بها، والأيدي التي يبطش بقوتها، وهم المبخلة والمجبنة كما أشار إليه صاحب الشريعة صلوات الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم «**الولد مبخلة مجبنة**»[(٢)] وأراد أن الولد مكان للبخل، ومحل لوقوعه

(١) في (أ، ب): وسواد العين.

(٢) حديث «الولد مبخلة مجبنة» رواه الإمام يحيى عليه السلام في الديباج [٦/ ٢٧٢٦] وأخرجه ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام من تاريخ دمشق برقم [١٤٥، ١٤٦]، وبلفظ «إن الولد... » أخرجه ابن ماجة عن يعلى بن مرة برقم [٣٦٦٦] قال الزين العراقي: إسناده صحيح، وصححه السيوطي في الجامع الصغير، ورواه بزيادة الحاكم في المستدرك في الفضائل عن الأسود بن خلف القرشي وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وقال العراقي إسناده صحيح، والطبراني في الكبير عن خولة بنت حكيم قال الذهبي: إسناده قوي.

وحصوله، وللجبن أيضاً، لأن الأب يبخل من أجله، ويجبن لمكانه، فهو الأصل في البخل والجبن[1] ومحل لهما، ومكان لهما، فلما كان الأمر في الولد كذلك، لا جرم دعاني ذلك إلى أن أعهد إليهم عهداً، وأوصيهم بخصال تكون تهذيباً لأخلاقهم، وشحذاً لهممهم لسلوك طرائق الخير، واقتفاء منهاج أهل الصلاح، والرجوى في الله عز سلطانه أن يجعلهم قرة عين في الدنيا بالتحلّي بمحاسن الأخلاق ومحامد الشيم وشريف[2] الخصال، وزيادة في ثواب الآخرة بما يحصل من دعائهم ومصداق ذلك قوله تعالى﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ**﴾[يس: ١٢] ومن جملة الآثار، هو الولد بل هو أعظمها محلاً، وأبقاها ذكراً، وأحمدها سعياً، كما ورد عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وآله «**إذا مات ابن آدم انقطع عنه سائر عمله إلا ثلاثة: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة تجري**»[3] والعهد إليهم والوصية لهم يكون في خصال ينفعهم الله -تعالى- بها:

الخصلة الأولى: تقوى الله -تعالى- وخوفه ومراقبته في السر والعلانية، فإن التقوى هي أشرف قميص لبسه الإنسان، وأجمل لباس غشيه، وأحسن

---

(١) في (أ): في الجبن والبخل.

(٢) في (أ، ب): وشرائف.

(٣) حديث «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله...الحديث» رواه الإمام أحمد بن عيسى عليه السلام في الأمالي [٢/ ٣١١] والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية، والأمير الحسين في الشفاء.
وأخرجه البخاري في الأدب، وأحمد بن حنبل، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، ومسلم في صحيحه، والحميدي، وابن الأثير في جامع الأصول.

رداء ترداه، وهو العلق الأنفس والعز الأشرف، والرتبة التي لا تساويها رتبة، ولا توازيها منقبة، وقد كرر الله -تعالى- ذكر التقوى في كتابه الكريم، وأثنى على أهلها غاية الثناء، وصاحبها قد حاز الشرف الأقصى وأحرز المناقب التي لا يعد فضلها ولا يحصى، فهي مع الغنى كمال، ومع الفقر زينة وعلو وجلال، فمن حازها فقد أحرز الخير بحذافيره، وظفر بالنصيب الأكمل الأوفر، ومن فاتته فقد حصل على الخسارة التي لا ربح بعدها، واختص بالحظ الأنقص الأخسر، فنسأل الله -تعالى- أن يجعلنا من الفائزين بالتقوى، والمختصين بخوفه ومراقبته في السر والنجوى.

الخصلة الثانية: المواضبة على تأدية الواجبات كالصلاة، وتأديتها على أكمل وجوهها، والتوفر على أوقاتها، والمحافظة عليها، ففيها الخير كله، والتحلي بالنوافل من الطاعات من الصلاة والصيام والصدقة وأنواع القرب، وفي الحديث «**لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته**»[1] وليتعهدوا

---

(١) حديث «لا يزال العبد يتقرب إليَّ حتى أكون.. » رواه ابن السمان، والقرشي في شمس الأخبار [٢/ ٥٢-٥٣] عن أنس عن جبريل عن الله تبارك وتعالى من حديث طويل، وفي تخريج شمس الأخبار قال: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، وابن مردوية، والحكيم، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الأسماء، وابن عساكر عن أنس. ا هـ، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس، وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري في الرقائق من صحيحه عن أبي هريرة من حديث طويل أوله «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً..إلخ»، وصححه السيوطي

أنفسهم بذلك، فإن فيه معظم الأجر، ومزيد الثواب.

الخصلة الثالثة: التحلي بمكارم الأخلاق من الصبر واحتمال الأذى، والحلم والشكر والإنصاف والبذل، وحسن الخلق، والاعتراف بالحق لأهله، وحسن الشمائل، ولين العريكة، وسعة الصدر، وإيثار التواضع، وشرف النفس، والسخاء، وإعطاء الحق من النفس، وبذل المعروف، فإن هذه الخصال كلها دالة على الخير، وفيها تزكية النفس عن رذائل الأخلاق، وتطهيرها عن الشين والمساوئ، وما من خصلة من هذه الخصال إلا وفي إحرازها قرب من الله -تعالى- وتحصل محبة من جهة الخلق، ولا يزال العبد يتخلق بها حتى يكون شبيهاً بالأنبياء والملائكة،؛ لأن هذين الصنفين هما أعز خلق الله -تعالى- وأكرمه عنده، وما ذلك إلا لأجل ما حازوه من الاختصاص بالخصال الشريفة، والصفات المحمودة التي خصهم الله بها، وأكرمهم بالإنصاف بها، حتى صاروا أكرم الخلق على الله -تعالى-.

الخصلة الرابعة: مجانبة الأخلاق الذميمة، والشمائل الرذيلة[1]، نحو البخل والحسد والغضب وكفران النعم[2]، وسوء الأخلاق، وسقوط الهمة، وركة

في الجامع الصغير قال المناوي في فيض القدير [٢/ ٢٤٢] قال في الميزان: غريب جداً، ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه... ولم يرد المتن إلا بهذا الإسناد، ولا خرجه غير البخاري.

(١) في (أ، ب): الرذلة.

(٢) في نسخة: النعمة.

الحال، والرياء، والحقد وشكس الأخلاق، وشرس النفوس، وحب الدنيا والإكباب على شهواتها ولذاتها، والإعراض عن الآخرة، والعجب بالحال، فهذه الصفات كلها مهلكة للدين، وحائلة عن الوصول إلى الدرجات العالية، ومن كان متصفاً بها فهو مشبه للشيطان والسباع الضارية، وبعضها فيه هلاك الدين فضلاً عن اجتماعها، وقد نزه الله -تعالى- الأنبياء والخواص من أهل طاعته وأوليائه عنها، وطهرهم عن التلبس بها، وهي أخلاق شرار الناس، وصفات الأراذل من الخلق، وقد ذكرنا هذه الصفات المحمودة والمذمومة، وأودعناها كتاب «التصفية»[1]، فمن أرادها والوقوف على محمودها ومذمومها، وشرح حقائقها، فليطالعها فإنه يجد فيه ما ينفع ويكفي ويشفي، والحمد لله رب العالمين.

الخصلة الخامسة: طلب العلم وإحرازه، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[2]، وقد اختلف العلماء في ظاهر هذا الحديث، وما هي

---

(١) كتاب التصفية قد طبع عدة طبع، وآخر طبعة طبعت بتحقيقنا.

(٢) حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [١٤٠][٢٠٢] عن أنس برقم [١٣٨]، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية [١/ ٥٧]، والإمام المنصور بالله في رسالة الثبات، والحافظ علي بن حميد القرشي في شمس الأخبار [١/ ١٦٣]، والسيوطي في الجامع الصغير [٢/ ٣٢٥]، وعزاه إلى ابن عدي، والبيهقي عن أنس والطبراني في المعجم الصغير، والخطيب عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، وفي الأوسط عن ابن عباس، والخطيب عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في السنن عن أبي سعيد، وصححه السيوطي.

الفريضة التي قصدهاصلى الله عليه وآله وسلم وأشار إليها، وكل أهل علم من العلوم الدينية ينسبونها إلى علمهم، ويحملون الوجوب عليه، فأهل علم الكلام يحملونه عليه وأهل علم الفقه يحملونه عليه، وهكذا سائر العلوم كلها، والمختار عندنا في ذلك تفصيل نشير إليه، وهو أن المكلف إذا بلغ حاله التكليف في وقت من الأوقات فأوَّل فريضة عليه هو[1] إثبات الصانع وصفاته، وإثبات حكمته وما يتعلق بأحواله، فهذه هي أول فريضة فإذا دخل وقت الزوال وجب عليه القيام بوجوب الصلاة، وتأدية فريضة الظهر، فإذا دخل عليه وقت العصر، توجه عليه وجوب صلاة العصر، وهكذا القول في سائر الصلوات، فإذا دخل وقت[2] شهر رمضان توجه عليه وجوبه، وإذا وجبت فريضة الحج توجه عليه وجوبها، وهكذا القول في سائر الواجبات العقلية والشرعية يكون بحسب ما يتوجه عليه وجوبها، وهكذا القول في فرض وقته، فهذا هو مراد الرسولصلى الله عليه وآله وسلم بقوله هذا، فإنه لا يختص بعلم دون علم، ولا بفنٍ [منها] دون فن، ولكن مقصده ما ذكرناه.

الخصلة السادسة: شغل النفس بأخذ العلوم وإعطائها، فإنها أشرف ما تلبس الشريف والوضيع به، فإن كان طالبها شريفاً زاده ذلك شرفاً، وإن كان وضيعاً أكسبه طلبها شرفاً، والعلم يضع المملوك مواضع الملوك، وبلغنا

---

(١) في (ب): هو النظر في إثبات..إلخ.

(٢) في (ب): وقت صوم.

أن مكحولاً[1] أُعتق وكان عبداً مملوكاً، فقال في نفسه: قد فتح الله عليك بالعتق للرقبة، فاطلب أشرف الأعمال تشتغل به جزاءً على هذه النعمة، فشغل نفسه بطلب العلم ودرسه، فما كان إلا بعض أيام[2] وأمير البلد يستأذن عليه للزيارة فلم يأذن له.

ثم إن العلوم منقسمة إلى دينية وعقلية، فالعقلية نحو الطب والحراثة وعلوم الهندسة وأشكال الحسابات، وعلم الرمل إلى غير ذلك مما لا يتعلق بالدين.

وأما الدينية فهي كل ما له تعلق بالدين وإصلاح حال الآخرة، والظفر بالسعادة الأخروية، وكلها حسنة، وأعظمها ما كان نفعه متعلقاً بتزكية النفس

---

(١) **مكحول التابعي**: هو أبو عبدالله مكحول بن أبي مسلم الشامي، أصله من فارس، ولد بكابل وبها ترعرع ثم سبي، ولما أعتق ذهب في طلب العلم، فقرأ بمصر ثم رحل إلى البلدان كالمدينة والعراق وغيرها، وقال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم، واستقر بدمشق، وكان فقيهاً عالماً، حافظاً للحديث، وكان مولعاً بعلوم الوصي عليه السلام راوياً لها وكان يقول: قال أبو زينب يكني عنه من الخوف من جور السلاطين، وكان يرجع إليه في الفتيا، وهو من القائلين بالعدل والتوحيد، ولذلك أطلق عليه أنه كان يقول: بالقدر يعنون بأنه كان يقول: إن المعاصي ليست بقضاء وقدر، وإنما يفعلها الإنسان باختياره، فتكلموا فيه لهذا، توفي بدمشق سنة ١١٢هـ، وقيل: سنة ١١٨هـ، روى له الإمام المؤيد بالله عليه السلام والإمام المرشد بالله عليه السلام والموفق بالله الجرجاني، والحافظ محمد بن منصور المرادي رحمة الله عليه، ومسلم والأربعة، أنظر طبقات الزيدية -خ- معجم الاعتبار [٤٢٨]، تهذيب التهذيب [١٠/ ٢٨٩] تاريخ الإسلام حوادث [١٠١-١٢٠] برقم [٥٧٣]. والحكاية التي ذكرها الإمام عنه قد رويت عن سالم بن أبي الجعد، والله أعلم.

(٢) في (ب): الأيام.

وتطهيرها عن دنس الذنوب، وكلها وصلة إلى هذا المقصود، فأما ما كان منها ليس المقصود به ما ذكرناه من صلاح الآخرة فنفعه حقير، ومتاعه قليل،؛ لأن كل منافع الدنيا فهي منقطعة ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[الشورى: ٣٦] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨].

الخصلة السابعة: أن يكون أول صباه وشبابه متعلقاً بإحراز العلوم الأدبية نحو اللغة والنحو، وعلم الكتابة، لأنها في أول الصبا لا تحتاج إلى مزيد نظر واستحكام العقل، وأكثر حاجتها إلى الحفظ نحو الخطب والأمثال، والأبيات الشعرية، والمواعظ الحسنة، فإذا بلغ واستحكم عقله فليكن خائضاً في العلوم الدينية، وليكن خوضه في علم الكلام أولاً، لما يحصل فيه من التدرب بالنظر، وفي إحرازه سلامة عن الخطر والزلل، ولأن إحرازه فيه الاحتكام على سائر العلوم،؛ لأن أدلته قطعية، والحق فيه واحد، ويستحكم به الرد على جميع المخالفين، فإذا أخذ فيه بحظ وافر، وظفر منه بقدح قامر، فليكن انتقاله إلى العلوم الأصوليَّة، فإن حاصله الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية، وهو أعظم قاعدة يخطو بها إلى إحراز العلوم الفقهية، فإذا أحرزه بقراءة كتبه، وضرب فيها بعَرَق[1]، وعض على هذه العلوم بضرس قاطع، انتقل إلى ممارسة العلوم الفقهية، فإنها جمَّة الفوائد، وفيها استغراق العمر كله لاتساع أطرافها، وكثرة مسائلها، وعظم موقعها، لأنه بعد إحراز ما يحتاج إليه من علم الأدب وعلم

---

(١) بعرق: يقال جرى الفرس عَرَقاً أو عَرَقَين أي شوطاً أو شوطين.

الكلام وعلم الأصول يكون على العلوم الفقهية أقدر، وعلى إحرازها أحكم، وليكن آخذاً من علم الفرائض بنصيب، لأنه يحتاج إليه في بعض المواطن الفقهية، وله تعلق بالفقه لا يخفى حاله.

الخصلة الثامنة: إذا أحرز بلطف الله وعونه لنفسه هذه العلوم الدينية، فليكن مواضباً على مطالعة شيء من الكتب الوعظية، والرقائق الأخروية نحو كتاب (منهاج العابدين [إلى الجنة] [1]) للغزالي، وكتاب «التصفية» الذي علقناه في الوعظ، وجمعناه من كتب الزهد، فإن فيها جلاء للقلوب، وتصفية لها عن كدر الذنوب، وتزكية للخواطر في الإقبال إلى الآخرة، وإيقاظاً لها عن الغفلة، فإن الغالب على القلوب التغافل والملالة والسآمة، وفي كتب الوعظ راحة للقلوب، وشرح للصدور، وإعراض عن الدنيا التي هي السم القاتل، وإقبال على الآخرة التي هي الحياة الدائمة، فالقلوب إذا لم تشغل بنار الخوف، وتضرب بسياط المواعظ كانت أقرب إلى الغفلة والتكاسل.

الخصلة التاسعة: أن لا يخلي نفسه عن تعهدها بالطاعات بالوصائف الحسنة، بالصلاة والصيام، وأقلها المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة، وإحياء سننها وفروضها اللازمة، ومن النوافل من الصلوات ما سهل من السنن التي حافظ عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي ثماني ركعات قبل الفجر، وثماني ركعات قبل الظهر، وأربع قبل العصر، وأربع بين المغرب والعشاء، هذا كله

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط في (أ، ب).

غير الرواتب التي للصلوات، وهي ركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، والوتر ثلاث ركعات، وركعتان قبل الفجر، ويتعهد نفسه من الصيام بما أمكن، فإن فيه فضلاً كثيراً نحو صيام الأيام البيض، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وفيه كفاية، وصيام الإثنين والخميس في كل أسبوع، ويوم عاشوراء، وإن صامه صام يوم التاسع مخالفة لليهود، وصوم شهر المحرم إن أطاقه، وإن لم يطقه فليصم في بعض أسابيعه يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت، فإن فيه فضلاً كثيراً.

الخصلة العاشرة: القيام بالحقوق الواجبة التي هي واجبة عليهم، وجملتها حقوق ستة نوضحها بمعونة الله -تعالى-:-

الحق الأول: حق الوالدين، وهو أعظم الحقوق الواجبة في حال الحياة، وفي حال الموت، أما حال الحياة فالقيام بحقهما، وإنصافهما والتواضع لهما، وإكرامهما بأصناف الكرامة وأنواع الإعظام، فإن كانا مسلمين فلهما حق الأبوة والإسلام، وإن كان الأب عالماً فله حق الإسلام والأبوة والعلم، وإن كان إماماً فله حق الإمامة مضافاً إلى تلك الحقوق، وحق الإمام فإنه متوجه على كافَّة المسلمين فضلاً عن الأولاد من الإعانة له على ما هو فيه من أمر المسلمين، ومن إعظام حاله، واتباع مراسمه، وخدمته في قليل الأمور وكثيرها، وحقيرها وخطيرها، ونحن مختصون بهذه الحالة، فالواجب على الأولاد لنا ما ذكرناه، وأن لا يكون من جهتهم مخالفة لأمره، لأن مخالفته

مخالفة للشـرع، ومعصية لله -تعالى- هذا كله في حال الحياة.

وأما حالة الموت فالترحم عليهما، وإشـراكهما في سائر الطاعات المقربـة إلى الله -تعالى- من الصدقة والصلاة وأنواع البر كلها، وقـد وفينـا بـالحق الـذي علينا لهم من الإنصاف والتعليم والإرشاد والتهذيب، وتعريفهم بمعالم الدين وسبل الهداية، وأوصلناهم إلى كل خير في الدنيا والآخرة، فإذا وفينـا بحقهـم فليفوا بحقنا فيما ذكرناه من غير تقصير من جهتهم في حقنا، فإن الله -تعـالى- قد خصَّنا بما يوجب الحق لنا على سائر المسـلمين، وهـم أحـق بالقيـام بـذلك والمواضبة عليه.

الحـق الثـاني: حـق الأولاد والأخـوة، فللإخـوة حـق لأنهـم أولاد أبيـه، وللأولاد حق لأنهم من صلبه، ولكل واحد منهم حق على الآخر من الإكـرام والاعتراف بالحق، فالصغير يعترف بحق الكبير في تـوقيره وتعظيمـه والقيـام بحقه، وخدمته والنصيحة والإرشاد والتعليم للخصال الشـريفة، والإلهام إلى معالي الأمور.

الحـق الثالـث: حـق سـائر الأقـارب والأرحـام مـن الأعـمام والعـمات، والأخوال والخالات والأخوات وبنات الإخوة والأخوات، فحقهـم متوجـه لأجل الرحميّة، ومن اختص من هؤلاء بخصلة و منقبة فله حقها من الإسـلام والدين والفضل والعلم إلى غير ذلـك مـن الصـفات المحمـودة، والصـفات

العالية، وقد وصى الله بصلة الأرحام فقال﴿**وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ**﴾[الأنفال: ٥] وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «**من بر رحمه وعقني عددته باراً، ومن برني وعق رحمه عددته عاقاً**»[1] وفي حديث آخر: «**الرحم اشتققت اسمها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**».

الحق الرابع: حق الجيران فإن حقهم عظيم، وقد قال تعالى﴿**وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ**﴾[النساء: ٣٦] وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه**»[2]، وحال الجيران يختلف، فمنهم من له حق الجيرة لا غير، ومنهم من له حقان حق الجيرة وحق القرابة، ومنهم من له حقوق ثلاثة الجيرة، والقرابة، والإسلام، والصلاح، ومنهم من له حقوق أربعة الجيرة والقرابة والإسلام والقرب من الدار، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «**الجار أربعون داراً من هنا، وأربعون داراً**

---

(١) حديث «من بر رحمه وعقني عددته باراً... » وبلفظ «من بر والديه وعقني..إلخ » هذا من كلام موسى عليه الصلاة والسلام المروي عنه عن الله سبحانه، وقد ذكره الغزالي في الإحياء [٢/ ٢١٦]، والإمام يحيى بن حمزة عليه السلام في كتاب التصفية [ص٣٩٨] كلهم عن موسى عليه الصلاة والسلام وليس بحديث، وفيه ضعف ظاهر، ولعل الإمام عليه السلام ذكره منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سهواً والله أعلم.

(٢) حديث «ما زال جبريل يوصيني بالجار... » رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [٢٦٧]، [١٢٨]، والإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية والإثنينية، والحافظ القرشي في شمس الأخبار [٤/ ١٧]، وأخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة وابن عمر، وابن ماجة في سننه عن عائشة، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن ماجة في سننه عن أبي هريرة، وغيرهم.

من هنا، حتى ذكر الجهات الأربع»[1]، وإكرام الجار من الخصال الشريفة، والمناقب العالية.

الحق الخامس: حق الإخوان والأصحاب المتعلقين، ولهم حق الاختصاص، وحق الإسلام من بسط الكف والمواساة ولين العريكة، وحسن الشمائل، وخفض الجناح وبساطة الخلق، ولين العاطف، والمخالطة والأنس بهم، والمفاكهة لهم، وهكذا حال من يقرأ أو يُقرأ عليه فإن لهم حقوقاً من حسن المعاشرة، وهكذا حق الزائر، وحق الضيف فإن الزائر له حق الإنصاف لقصده للزيارة، وحق الضيف له حق عظيم لأجل غربته.

الحق السادس: حق سائر المسلمين ممن لا يكون مختصاً بهذه الخصائص، فإن له حقاً وقد ذكرنا الآداب التي تجب لسائر المسلمين لبعضهم على بعض في كتاب «التصفية» وحصرناها فتطلب من هناك، فهذه الحقوق كلها لابد من رعايتها لكل أحد على قدر حاله في الاختصاص، وحقوق الزوجات مندرج تحت ما ذكرناه، فهذه الحقوق كلها متعلقة بحال الحياة، ونحن نذكر الآن ما يتعلق بحال الموت، وهو المقصود.

---

(١) حديث «الجار أربعون داراً من هنا... » أخرجه أبو داود في المراسيل، ووصله الطبراني عن كعب بن مالك، وأبو يعلى عن أبي هريرة، وانظر تخريج الإحياء [٢/ ٢٧١]، والبيهقي في السنن الكبرى عن عائشة بلفظ «حق الجوار أربعون داراً» وروى عنها «أوصاني بالجار إلى أربعين داراً»، وسند المرسل صحيح عند الزركشي، ورجاله ثقات قاله ابن حجر.

الخصلة الحادية عشـرة: وتشتمل على وظائف:-

الوظيفة الأولى: هذه الحصون التي في أيدينا لا يكون تسليمها إلا لمـن قـام مقامنا، ودعا إلى الله -تعالى- وإلى رفع منار الـدين، وبـاين الظلمـة، واعتـزل عنهم، ونصب الحرب لهم، فليس عماد الإمامة ولا قوام هـذا الأمـر إلا مباينـة أهل الظلم والفساد، وكفّ أيديهم وردهم عـن ظلـم الخلـق، وأعـرض عـن حطام الدنيا، وكان عمدة أمره الزهد فيها، فمـن هـذه حالـه سـلمت إليـه إذا رضيه أهل الدين، والعيون من العلماء، وكان قصد الكـل وجـه الله -تعـالى- وإحياء معالم الدين، فهي في أيدي الولاة حتى ينهض لهـذا الأمـر مـن رضـيه العلماء، وكانوا أعواناً له عـلى مـا يريـد مـن ذلـك، فأمـا شـحنها مـن الحـب فتصـرف في العلماء والمتعلمين، وأهل الفاقة، ومن تولى أمرها فهو يشحنها من أموال غيرها، وما فيها نقص فيمن ذكرناه، ولا يخالف أمرنا فأمرنا مـن أمـره، وقد رأينـا ذلـك صـلاحاً وخلاصـاً مـن عهـدة جمعهـا إذا صـــرفت في هـذا المصـرف، وهكذا حال ما كان من السـلاح وعـدة الحـرب فإنـه يصـــرف في وجهه الذي ذكرناه، وجميع الآلات تباع وتصرف فيمن ذكرناه.

الوظيفة الثانية: العهد إلى كافـة الأولاد، والوصـية إلـيهم في إشـــراكنا في الأدعية والقراءة والصلوات، والعبادات، والصدقات، وجميع القرب يجعلـون لنا قسطاً من ذلك بعد الموت ولا ينقص من أجورهم شيء من ذلـك، فـإن في سعة رحمة الله ما ليس له غاية، ولا حد، ولا نهاية، وهكذا سائر الإخوان وأهل

الصلاح والعبادة.

الوصية إليهم كذلك يشركوننا في الأدعية المستجابة في مجالس الذكر، والأوراد المباركة في الدرس والقراءة، ومجالس التدريس، وأن يحركوا ألسنتهم بالرحمة والاستغفار.

وهكذا الكتب التي عنينا في جمعها وتعليقها تُبذل لمن أراد أن يكتسب منها فائدة، ويطلع على معنى غريب، فقد قصدنا فيها وجه الله -تعالى- ونفع سائر الإخوان، لتكون عوناً لهم فيما يريدونه من طلب الفوائد، ولا يسهل في بذلها إلا بوثيقة حتى يكثر تداولها بالنساخة والاشتهار، فلعل الله -تعالى- أن يقسم أجراً عظيماً لمنشئها، وفائدة ومنفعة لطالبيها ومستفيديها، فكرمه وسعة رحمته فائضان على كل الخلق، والوصي هو المتولي لذلك، ومن اطلع فيها على زلل فيصلحه، فأبى الله أن يسلم من الخطأ إلا كتابه، ولا يخلو عن الخطأ[1] إلا حكمه وخطابه، وقلَّ ما رفع قلم من كتاب، فأكثرها ما سودت له مسودة، ولكن إملاء على القلم.

وكتاب «الانتصار» في الفقه، إن نفَّس الله في المهلة فالنية صادقة في إتمامه على المنوال الذي نسخناه عليه إن شاء الله -تعالى- وإن وقع أمر والحمد لله قبل إتمامه، وحالت الأيام دون إكماله، وكان في أهل المذهب من يمكنه ذلك

---

(١) في (أ، ب): عن الزلل.

فليفعل، فالمقصود هو المشاركة في الثواب والنفع، وكتب التعاليق وغيرها من سائر الكتب كلها وقف على الأولاد، ثم على المسلمين ينتفعون بها في القراءة بمعونة الله -تعالى- فقد أمرنا الوصي المتصرف في هذه الأمور أن يشتري بقعة جيدة نافعة، إما زرعاً، وإما عنباً، ينفقها في سبيل الله -تعالى- لإصلاح الكتب وترقيعها، ونسخ ما يعجبه من نساخة الكتب النافعة الجيدة المفيدة ينفقها عنًّا في سبيل الله حتى لا تزال حية منتفعاً بها إن شاء الله -تعالى-.

الوظيفة الثالثة: أن الزمان إذا شغر عمن يصلح للإمامة، ويقوم بمصالح الدين، وكان في الزمان من يصلح للحسبة لقصوره من مرتبة الإمامة فلا بأس في الإعانة له، وتسليم هذه المواضع إليه يتقوَّى بها، ويصلح ما يمكن إصلاحه مما يراه صواباً؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدتان من قواعد الدين، وعمودان عظيمان من أعمدة الشريعة، فإذا تعذر الإمام فلا بأس في نصب المحتسب، والقيام معه، وعضده حتى يتمكن من إزالة المنكر والإتيان بالمعروف، فإنهما لا يزدادان إلا اندراساً على مر الدهور، إذا لم يكن هناك من يقوم بهما، ويحيي سببهما.

والتفرقة بين الإمامة والحسبة ظاهرة من جهات كثيرة، وأقربها أن الإمام لابد من حصوله على صفات وشرائط، وأعظمها بلوغ منصب الاجتهاد في العلم بخلاف المحتسب فإنه لا يشترط فيه الاجتهاد، ولا ينبغي نصب المحتسب في أفناء الأمَّة وفي آل محمدﷺ من يقوم بالحسبة، بل هو أولى كما هو

أحق بالإمامة، فإن عدم من يصلح فيهم للقيام بالحسبة جاز أن يكون من أفناء الأمة، إذا كان محرزاً لخصال الفضل الشـريفة، والمناقب العالية.

الوظيفة الرابعة: يجتهد الولد صلاح الدين[1]، والولد عز الدين[2]، وسائر الأولاد في شـراء بقعة زرعاً، أو عنباً تكون وقفاً عـلى الكتـب عـلى ترقيعهـا، وعلى نساخة ما يستحب نساخته من الكتب النافعة ليـدوم نفعهـا بمعونـة الله ولطفه، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله[3].

تمت الوصية نفعنا الله بها ورزقنا بـما فيهـا العمـل، وصـلى الله عـلى سـيدنا محمد وآله وسلم.

---

(١) هو السيد العلامة الكبير صلاح الدين عبدالله بن الإمام يحيى بن حمزة رضـوان الله عليـه، كـان عالماً كبيراً، مجتهداً، مسنداً، بلغ درجة الإمامة علماً وعملاً وفضلاً وزهادة، سكن مدينـة حـوث ثم انتقل صنعاء وبها توفي في سنة ٧٨٨هـ -رحمه الله- تعـالى- انظـر «روائـع البحـوث في تـأريخ مدينة حوث»، مطبوع.

(٢) هو السيد العلامة عز الإسلام محمد بن الإمام يحيى بن حمزة، كان سـيداً عالمـاً محققـاً، مجتهـداً، زاهداً كاملاً، ورعاً، صابراً محتسباً، سكن مدينة حـوث مـدة عمـره حتـى تـوفي بهـا، وقـبره في صـرح جامع الشـجرة، مشـهور مـزور، كانـت وفاتـه رضـوان الله عليـه في ١١ شـهر شـعبان ٧٨٨هـ، انظر (روائع البحوث في تأريخ مدينة حوث)، مطبوع.

(٣) تم مقابلة هذه الوصية على النسخة التي كتبها الإمـام عليه السلام في آخـر السـفر الثـاني مـن كتـاب الإيجاز.

الوصية الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين]

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

سبحان من تعزز بدوام القيوميّة، وسرمدية الوجود، المتعالي بالعظمة والاختصاص بصفات الجلال على كل معبود، الجواد الذي إليه الرغبة في نيل المطالب، والمصمود إليه في إحراز كل مقصود، الذي أرغم بالموت أنف كل متكبر فخور مختال، وجعله طياً لما سطر من صحائف الأعمال، وقصر به ما اتسع من تنفس طوامح الآمال، وقطع به ما امتد وطال، من مرائر حبال الآجال، وأذاقهم مرارة طعمه، وجعله قاطعاً لوصل الوصال، حتمه على جميع الخلائق بحيث لا محيص لهم عنه ولا زوال، وأعجزهم بقضائه عليهم فلا مدفع لهم عن أنفسهم، ولا ينفع في صرفه عنهم دفع دافع، ولا حيلة محتال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة أعدها لخروج النفس بالموت وميقاته، وأجعلها ذخرة لإحراز رضوان الله -تعالى- والفوز بكراماته.

وبعد.. فإني أعتذر إلى الله -تعالى- وإلى من وقف على هذه الأحرف من دخولي في هذا الأمر، فما كان لإحراز حطام الدنيا، ولا للترفه بشيء من نعيمها

ولذاتها، ولكن قصدت لعل الله أن يظهر كلمة الدين على يدي، ويظهر أحكام الإسلام، ويمحو آثار[1] الظلم ورسومه بعنايتي، وتخمد نيار الظلم، وتركس أربابه، وتحيا معالم الدين بعد اندراسها، فما تراد الإمامة إلا من أجل هذا، ولا تكون مقصودة إلا لحصوله، وإن كان المقصود فيها خلاف ذلك فهي وبال على صاحبها، ووزرٌ على كل من دعا إليها، وفي الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال «لا تسأل الإمارة، فإنها يوم القيامة حسرة وندامة»[2]، وفي حديث آخر «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكِلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها»[3]، فنعوذ بالله من خسران النفوس، والتورط في متالف الأطماع، وأنا أستغفر الله العظيم من تفريط جرى مني في نصرة مظلوم، أو إعانة مسكين، أو إغاثة ملهوف، فما كان ذلك إلا من أجل تقاعد الخلق عن نصرتي، والإعراض عما دعوتهم إليه، والإكباب على تحصيل أغراض حقيرة من الدنيا لا نالوها فينعمون[4] ولا أعرضوا عنها فيستريحون،

---

(١) في نسخة: ربوع.

(٢)حديث «لا تسأل الإمارة... » أخرجه البخاري [٨/ ١٥٩، ١٨٤] [٩/ ٧٩]، ومسلم في الإيمان رقم [١٩]، وفي الإمارة رقم [١٣]، وسنن الدارمي [٢/ ١٨٦]، وسنن النسائي [١١/ ٢٢٥].

(٣) أخرجه في كنز العمال [٦] برقم [١٤٧٥٤]، وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبدالرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة..إلخ».

(٤) في نسخة: فينعموا ولا يعرضوا عنها فيستريحوا.

فصبرت على الخذلان والنكوص عن نصـرة الدين حتى يقضـي الله لي بـأمره، ويختر لي بخيرة من عنده، على غمٍ وهمٍ من مقاساة الظلم، ومعاناة الشدائد من ارتكاب الفجور، والتلبّس بالفواحش، وكانت لنا الأسوة برسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إقامته في مكة على مكابدة وشدة وصعوبة في الأمر حتى فرج الله عليـه بإنجـاز ما وعده من إظهار الدين على رغم المشـركين.

ثم أقول: حقاً على من كـان المـوت مصـرعه، والـتراب مضـجعه، والقـبر مقره، وبطن الأرض موطنه ومستقره، واللحد مضامه، والدود أنيسه، ونكـير ومنكر جليسه، والقيامة موعده، والجنة أو النـار مـورده أن لا يـزال فكـره في الموت وأهواله، ولا همة له إلا في انقطاع الروح وزياله، فـلا ذكـر إلا لـه، ولا فكر إلا فيه، ولا استعداد إلا لأجلـه، ولا تـدبير إلا لوقوعـه، ولا تعـريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار إلا لنزوله، ولا تـربص إلا لهجومه، وخليق بأن يعد نفسه في الموتى، ويراها في أصحاب القبور، فكـل ما هو آتٍ قريب، والبعيد ما ليس بآتٍ، ومصداق ذلك ما أثـر عـن صـاحب الشـريعة صـلوات الله عليـه وآلـه «الكـيس مـن دان لنفسـه وعمـل لمـا بعـد الموت»[1] ثم إن وصيتي إلى الأولاد والأقارب، وسـائر الإخـوان مـن العلـماء

(١) حديث «الكيس من دان نفسه.. » رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [٤٣٧] برقم [٥٦١] بسنده عن شـداد بـن أوس مرفوعـاً، وصـححه وفسـره الإمـام المرتضـى عليه السلام في مسـائل عبدالله بن الحسن كما في المجموع [٦١١]، والقضاعي في الشـهاب، وأخرجـه الترمـذي بـرقم

وأهل الصلاح، أرباب الديانة والتقوى والمسلمون أن يشركوني في صالح أدعيتهم بالتجاوز عن الفرطات، وإسبال الستر بمغفرة الخطايا في الأوقات المباركة، والأوراد الصالحة المتقبلة، ومجالس التدريس، وأدبار الصلوات.

[الدعاء المبارك للإمام يحيى عليه السلام]

ثم أقول متضرعاً إلى الله -تعالى- في قبول معذرتي، وغفران ما يعلم من خطيئتي في سري وعلانيتي: اللهم يا من هو المتعالي بجلال العظمة والكبرياء، والمستولي بسلطان القدرة على ملكوت الأرض والسماء، والباسط لجناح الرحمة لكل من بعد من خلقه ومن قرب ودنا، نسألك بكلماتك التامات، ونور وجهك الذي ملأ الأرضين والسماوات أن ترحم عن النار وإصلاء الجحيم رؤوساً تطأطأت خضوعاً وتصاغراً لهيبتك، وأن لا تشوي بها وجوهاً قد خشعت من خيفتك، واشتملت على أعين قد بكت من خشيتك، وعلى أسماع قد صغت[1] إلى سماع ذكرك وموعظتك، وعلى خدود قد سالت عليها الدموع وجرت إشفاقاً من سطوتك، وعلى ألسن قد تحركت بالاستغفار والعذر عن معصيتك، ونطقت بأنواع التقديس، وضروب

[٢٣٨٣] وقال: حديث حسن. وابن ماجة برقم [٤٢٥٠]، وأحمد في المسند برقم [١٦٥٠١]، والترغيب والترهيب برقم [٤٨٢٢].

(١) في (ب): أصغت.

التحميد، وأقرت بمعرفتك، أو تغل بأغلال الحديد رقاباً قد خضعت حذراً من رهبتك، أو تحطم بالنار أصلاباً طال ما حنت لأداء فرائضك وعبادتك، أو تطلع النار على أفئدة مشتملة على العلم بتوحيدك، وحقائق صفاتك، وكنه معرفتك، أو تقرن مع الشياطين جنوباً قد تجافت عن المضاجع إسراعاً ورغبةً في طاعتك، أو تشوي بالنار أكباداً لها تَطَلُّعٌ إلى نيل عطائك وتكرمتك، أو تصهر بالحميم بطوناً قد انصرفت عن أكل الحرام والسحت خوفاً من رهبتك، أو تقطع بكلاليب النار أمعاءً قد ضمئت بالصيام تقرباً إلى إحراز مغفرتك، أو تحترق بسعير النار ولهبها أبداناً لما مدَّت أكفها لنيل عطائك وهيبتك، أو تُسِيلَ بالصديد فروجاً قد تحصنت من حرامك وانحرفت عن معصيتك، أو تَقْرُنَ مع النواصي أقداماً قد طال ما مشت إلى المساجد طلباً لإحراز ثوابك ومنتك، أو تمزق بالنار جلوداً قد اقشعرت من خوف وعيدك، وعظيم سطوتك، فلا وعزتك ما أسبلت العيون وَاكِف العبرات إلا إشفاقاً من غضبك وعذابك[1]، ولا طوّلت العكوف ببابك إلا طمعاً في مغفرتك وثوابك، ولا بسطت النفوس أكفها إلا رجاءً لنيل رحمتك، فقد مددنا إليك أيدي السؤال، واستمطرنا الجود من عطائك الواسع وعظيم النوال، فقد سألنا ما عندك واثقين، فلا تردنا بالحرمان خائبين، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة قمين.

---

(١) في نسخة: وعقابك.

ثم إن هذه التعاليق التي جمعتها تحفظ وتبسط لمن طلبها بالحفظ والصيانة، لعل الله أن يقسم منها ثواباً، فقد وقعت العناية في تأليفها ليسهل أخذ الفوائد منها، وتكون عوناً لمن وقف عليها على تسهيل مراده، وتحصيل مقصده بالتسهيل والتقريب، وما كان من غيرها من سائر الكتب فهي موقوفة على الأولاد، وعلى المسلمين عموماً، للقراءة بالحفظ والصيانة.

ثم كتاب «الإنتصار» إن نفَّس الله [لي] في المهلة فالنية صادقة في إتمامه على النحو الذي قصدته، وإن حالت الآجال دون إتمامه والعياذ بالله وقع الاجتهاد في بعض من خصَّه الله -تعالى- بفضلٍ في إتمامه على الأسلوب الذي اخترته فيه، فالرجوى في الله عز سلطانه أن ينفع به صالح الإخوان الطالبين للعلم، المنقطعين في طلبه، الشاغلين أنفسهم في تحصيل الفوائد.

ثم إني أوصي الأولاد وسائر الأرحام والأقارب بتقوى الله ومن بلغته وصيتي من سائر الإخوان، والمسلمين، فإنها هي الجُنَّة من النار، وبها يحصل الفوز والسلامة من غضب الله وسخطه، وانتظام أموركم[1] بالألفة والمحبة، وصلاح ذات بينكم بالمواصلة والتواد والتراحم، فإن الله -تعالى- يقول﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال: ١] وفي الحديث «إصلاح

(١) في مآثر الأبرار: وانتظام أموركم يحصل.

ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[1]، وإياكم والتقاطع والبغضاء، فإن فيهما هلاك الدين، وحل نظام الأمر وإفساده، وعليكم بالتراحم فيما بينكم، والموادة، فإن ذلك فيه صلاح الأمر كله، ولا تطلبوا الدنيا فإنها هي السم القاتل، والسناد المائل، ولا تأسفوا على ما فات منها، فإنها منقطعة عن أيديكم وإن حرصتم عليها لا محالة، واعملوا للآخرة فإن العمل لها من أنفس الذخائر، وكونوا حريصين على الأمر بالمعروف، وكونوا أول آتٍ به، وانهوا عن المنكر، وكونوا أول من ينتهي عنه، وتخلقوا بأخلاق الصالحين وأهل الدين، فإنها من أعظم الخصال وأعلاها، وإياكم والدخول في أمر المسلمين فإن فيه الخطر العظيم، ولقد علم الله -وكفى به عليماً- لو حصل لي الخلاص بعد دخولي فيه ما كرهت، والله -تعالى- يعلم قصدي في الدخول، ويعلم سريرتي في ذلك، وأسأله التجاوز والصفح وقبول المعذرة.

فهذه خصال يجب مراعاتكم لها على جهة الجملة، فإنها نافعة بإذن الله.

فأما على جهة التفصيل فمراعاة خصال:

---

(١) حديث «إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام» رواه الإمام أبو طالب عليه السلام في الأمالي [١٢٨] عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، ورواه الإمام الموفق بالله الجرجاني في الاعتبار [٣٢٥]، وأخرجه الترمذي برقم [٢٥٠٩]، وأبو داود برقم [٤٩١٩]، وأحمد بن حنبل [٦/ ٤٤٤] عن أبي الدرداء، وأخرجه الطبراني عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وابن كثير في التفسير [٣/ ٤٨١] والمنذري في الترغيب والترهيب [٢/ ٣٦٥].

الخصلة الأولى: المواضبة على الصلوات في الجماعات، وحضور المساجد، والأنس بها فإنها بركة الأعمال.

الثانية: الاشتغال بدرس العلم، والمجالسة لأهل الصلاح والدين، فإن ذلك يجر إلى كل خير.

الثالثة: صلة الأرحام والأقارب، ومواساتهم مما أعطاكم الله -تعالى- فإن الله يخلف ذلك ويزيد في الأرزاق.

الرابعة: بذل المعروف [في القليل والكثير] لمن طلب وقصد.

الخامسة: مجانبة أهل الدول الظالمة، والبعد عنهم، فإن القرب منهم فيه هلاك الدين وهكذا البعد عن أهل الفسوق والمعاصي، فإن مخالطتهم تكسب الشر.

السادسة: هذه التعاليق لا تمنع ممن طلبها للقراءة والفائدة، والمأخوذ عليهم كلما وجدوا فيها من نكتة غريبة، أو خلاف غريب أن يحركوا ألسنتهم بالاستغفار لي والدعاء بالرحمة والتجاوز عن الفرطات، فالخطر عظيم، والرحمة واسعة، والعفو أعظم.

تمت الوصية نفع الله بها.

الوصية الثالثة

ومن وصية له عليه أفضل الصلاة والسلام

قال رضوان الله عليه ورحمه رحمةً واسعة [وغفر له مغفرة جامعة]: كتب عبدالله المؤيد بالله أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سبحان من لبس العز وارتدى بالكبرياء، واستطال بسلطان جبروته وعلا على عظمة العظماء، والصلاة على الداعي إلى الحق لكافة الخلق، والموضح لطريق الرشاد لجميع العباد، وعلى آله الطاهرين مستند العلم، ومثاقيل الحلم، قدوة من تنسك، وعصمة من تمسك، صلاة تقيم ولا تريم، إنه منعم كريم.

وبعد.. فهذا مقام من اعترف لخالقه عن إخلاص التوحيد والربوبية، وخضع لجلاله عن إذعانٍ له بالرق والعبودية، إذ كان لا نسبة لمن خُلِقَ من الطين والماء المهين إلى فاطر السموات، وخالق الخلق رب العالمين، وكيف لا وغايته التلاشي والبطلان والفناء وقصاراه مكابدة الشدائد في كل أحواله وملاقاة العناء، فمن هذه حاله فهو خليق في حق مالكه بالتقصير، ولا يكون واقعاً مع الحد من عظمته على أحقر حقير.

وغير خافٍ على الأفاضل من إخواني من العلماء، والأخيار من الصالحين الذين خبروا حالي من مبتدأ شبابي إلى منتهى الكهولة والشيخوخة، أني تربيت في حجور أهل الصلاح والتقوى، وأن ذهاب عمري ما كان إلا في طلب

العلم وإعطائه، وأن تلبسي ما تلبست به من أمر الإمامة، والدخول في الزعامة ما كان إلا من أجل ما ظهر في الأرض من الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، واستيلاء الظلم، وتكلب الظلمة على الخلق، ولما أرجوه من رفع منار الإسلام، وإبانة أحكام الدين، وإشادة معالمه، حتى أكون منخرطاً في سلك قوله تعالى﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج: ٤١] ومعاذ الله أن أريد استطالة على مسلم، أو علواً على أحدٍ من الخلق؛ لأن أكون ممن يشمله قوله تعالى﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣] ولم أرد طمعاً في حطام الدنيا، فأكون ممن أراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا، وهو مفتاح كل سيئة، وسبب إحباط كل حسنة» ولا قصدت إيثار عاجله، فأكون ممن عناه الله -تعالى- بقوله﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾[الإسراء: ١٨] إلى قوله تعالى﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾[الإسراء: ١٨].

وإذا كان الأمر كما قلته توجه على جميع الإخوان من أفاضل العلماء، وأخيار الصالحين إعانتي، والمشاركة لي في ثواب ما قصدته من ذلك، ليفوز الكل بالحظ الأوفر من حيازة رضوانه -تعالى- والظفر بكريم مآبه، وعظيم أجره.

ثــم إن وصــيتي إلى الأولاد وســائر الإخــوان الصــالحين إن أنــا مــت أن يشــركوني في صالح أدعيتهم في الأوقـات الشــريفة، والأوراد المباركـة، وأنـا أستغفر الله -تعالى- من تقصير جرى من جهتي في حال ولايتي على المسلمين من تقصير في حق مسلم، أو إعراض عن حاجة مسكين، أو تغافل عن قضـاء حاجة محتاج، أو تأخر عن نصـرة مظلوم أقدر عليه، فإن جرى شيء من ذلـك فما هو عن قصد، وإنما يكون عـن ذهـول وغفلـة ونسـيان عـلى إلْـفِ الطبـاع البشـرية.

ثم سائر الكتب التي تحت يدي من التعاليق وغيرها وقف على الأولاد، ثم على المسلمين، لا يمنع منها أحد ممن أراد فائدة منها بـالحفظ والصـيانة لهـا[1]، فقد عنيت في التعاليق بمبلغ جهدي، وكفيت الإخوان مؤنة الطلب في تحصيل مسألة غريبة، أو دلالة رشيقة، أو نقل خلاف غريب إلى غير ذلك من فوائدها التي هي مضمنة لها، طلباً لما عند الله -تعالى- من عظيم أجره وثوابه.

ثم إني لم أقم هذا المقام العظيم الذي أرجو فيه التوفيق والتسديد مـن جهـة الله -تعالى- والإعانة بلطفه إلا بعد إحرازي للعلوم الدينية التي تفتقـر إليهـا الأمة من المباحث الكلامية والقواعد الأصوليَّة، والأسـرار القرآنيـة، والمعـاني الإعرابية، والمضطربات الشـرعية الخلافية مع أن الله -تعالى- خصني بخصال

(١) أي بشـرط الحفظ والصيانة لها.

والحمد لله لا توجد في غيري، لولا ما نهى الله عن التزكية لذكرتها، والرجوى في الله -عز سلطانه- أن ينفع المسلمين بصالح قصدي -إن شاء الله -تعالى- وأنا أنشد الله كل مسلم من الإخوان العلماء، وعامة الفضلاء خصلتين:-

الخصلة الأولى: ألا يعلم لي نصيحة في أمر الدين إلا ذكرها لي، فإني قابل لكل نصيحة.

الخصلة الثانية: ألا يعلم لي شيئاً في سيرتي مما يكرهه الشرع إلا ذكره لي.

ثم إني قد دعوت جميع الإخوان من أفاضل العلماء، والأخيار من الصالحين إلى نصرة الدين، ورفع منار الإسلام، ولم أعذر أحداً منهم عن القيام بما أوجبه الله -تعالى- إلا من عذره الشرع، وأباح له التأخر بعذر شرعي.

اللهم إني أشهدك وأنت أكبر الشاهدين، أني موجب عليهم القيام معي في نصرة دينك وحرب من خالف أمرك، فإن [هم] أطاعوا وانقادوا لأمرك فالثواب والجنة لهم، وإن هم خالفوا -والعياذ بالله- فأنت أولى بهم، والعفو والصفح لهم **﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[المائدة: ١١٨].

وقد صرفت همتي في أول الدعاء إلى الإمامة إلى حرب هذه الفرقة الكفرية الباطنية والذين لا كفر أضر على الإسلام من كفرهم، لما فيه من لطف الإحتيال، وعظم المداخل، فبدأت بحربهم وإبادتهم لقوله -تعالى- **﴿يَا أَيُّهَا**

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ١٢٣] فأما من عداهم من كفار التأويل كالمجبرة والمشبّهة من أهل القبلة، فالأمر في إكفارهم قريب، والقصد رفع المناكير المتفق بين الأمة على كونها منكرة، وإن نفَّس الله لنا في المهلة، وفرغنا من حرب هذه الفرقة الكافرة وإبادتها، وإذلالها -بمنّ الله -تعالى- ومشيئته التفتنا إلى حرب الظلمة، وكفّ أيديهم عن ظلم الخلق على قدر ما يوفق الله لنا من ذلك، والله -سبحانه وتعالى- عوننا في ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فإن ضررهم على الخلق عظيم، وقد رسخت أقدامهم، واشتدت شكيمتهم، واستطالوا على الضعفاء والمساكين بتفاحش الظلم، فما يكون كف ظلمهم ورم أيديهم عن ظلم الخلق إلا بنصر من جهة الله -تعالى- وتأييد من عنده، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وهذه الحصون التي تحت يدي في الشرف(١) وغربان(٢) للمسلمين، ما لوارث فيها حق، فمن قام بهذا الأمر ممن رضي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهو أحق بها، إذا كان مبايناً للظلمة، منابذاً لهم على ما هم عليه من المنكرات، واختاره

---

(١) الشرف بلاد واسعة من حجور، وحصن الشرف في جبل الضامر من بلاد القُحْرَى وأعمال باجل.

(٢) غربان: هي بلدة ما بين بلاد السودة وبين بني صريم من بلاد حاشد، وهي مليئة بالحصون ففي أعلاها حصن نعمان وفي الجنوب حصن سهمان وفي الشرق حصن براش وفي الغرب حصن الصبة.

العلماء، ورضيه أهل الدين، وشحنها إن احتيج إليها، وإلا كانت مصروفة في العلماء والمتعلمين، وأهل الصلاح، ومن ملكها فهو يشحنها إذا نفذ أمره، وظهر سلطانه، وهي في أيدي الولاة الذين ارتضيناهم للمسلمين حتى يقوم بالأمر من هو أهل له، وأنا أبرأ إلى الله -تعالى- من تمكين الظلمة من حصن من هذه الحصون، فمن مكَّن منها فهو في غضب الله وسخطه ومقته، والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على محمد وآله[1].

---

(١) قال في (ب): بلغت مقابلة وقصاصة هذه على نسخة كتبها رضي الله عنه في الجزء السادس من كتاب العمدة.

الوصية الرابعة

من وصيةٍ له -رضي الله عنه وأرضاه- وجعل الجنة مصيره ومأواه

قال قدس الله روحه، وأعاد علينا من بركاته:-

الحمد لله الذي جعل الموت قاطعاً لمرائر الآمال، وصيره غاية ومنتهى لما طال وقصر من الآجال، فهو نهاية كل أمر، وفيه الطي لصحائف الأعمال، كسر به الأكابر، وقصر بسطوته آمال أصلاب القياصر، ونقلهم من الكواعب الأتراب، إلى مجاورة اللحود والتمرغ بالتراب، ومن مفاكهته[1] الحور الحسان، إلى زوال المحاسن بأكل الأرض وتخرق الديدان، فسبحان من تعزز بالدوام والأزلية والكبرياء، وقهر بسلطان القدرة، واستأثر بالعظمة والبقاء، والصلاة على من اصطفاه لإبلاغ رسالاته، واختاره إلى جواره وإفاضة كراماته وعلى آله الطيبين.

أما بعد.. فلقد علم الله وكفى به عليماً، بل يعلم الله -تعالى- وشهادته أن ما تلبست بما تلبست به من القيام بأمر المسلمين، ومناجزتي للظلمة، وإيحار صدورهم، والشدة عليهم بالقول والفعل كما أشار إليه الشرع ما كان لشهوة أعملتها، ولا لأجل لذة آثرتها، ولا من أجل دينار ولا درهم، ولا لشيء من حطام الدنيا، ولا كان من أجل لبس الرقيق وأكل الدقيق، وإنما كان لما يعلمه

(١) في (ب): مفاكهة.

الله -تعالى- من القيام بأمر الدين، وإظهار أحكام الشريعة، وإعانة مظلوم، ونصرة ضعيف على حسب ما أجده من الإمكان والإمعان في ذلك، والاجتهاد على مقاساة المشاق العظيمة، وتحمل الأعباء الجسيمة، ومكابدة أهل الظلم والفسق بالشدة تارة، واللين أخرى على ما يعلمه الله -تعالى- في ذلك من مراعاة المصلحة الشرعية، ويختلف ذلك باختلاف الأزمان، والأشخاص، والحالات، مع قلة المعين على ما نحاول من ذلك مما يعلمه الله -تعالى- ويطلع عليه من أسرار القلوب، وخفايا الضمائر مما هو أعلم به، وأنا أستغفر الله العظيم مما أضمره قلبي، أو نطق به لساني، أو أعملت فيه جوارحي مما ليس له فيه رضا، وأعتذر إليه من تقصير مني عن نصرة مظلوم، أو إعانة ضعيف، أو إغاثة ملهوف، أو إظهار حق، أو ميل إلى دعةٍ وراحة كان الواجب غير ذلك، وأساله العفو والصفح والتجاوز عن الفرطات، فالمغفرة واسعة، والكرم فائض، والرحمة شاملة على الخلق، والجود عميم.

ثم إن وصيتي إلى أولادي[1] وسائر الإخوان من الأشراف، وأفاضل العلماء والفقهاء وأهل الصلاح، وسائر المسلمين أن يشركوني في صالح أدعيتهم في الأوقات الشريفة والأدعية المباركة، بالإعانة على ما أعانيه من الاهتمام بأمر المسلمين، وتوخي مصالحهم، وأن يكون الدعاء بما أمر الله -

(١) في (ب): الأولاد.

تعالى- نبيه الكريم أن يدعو به، كما قال -تعالى- ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا**﴾[الإسراء: ٨٠] وقوله تعالى﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ**﴾[المؤمنون: ٢٩] وبعد الوفاة بالتجاوز عن الفرطات والرحمة الواسعة، والمغفرة الشاملة، فأسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب، كما ورد عن صاحب الشريعة -صلوات الله عليه وآله وسلامه- أنه قال «**أسرع الدعاء إجابة دعاء غائب لغائب**» ولا غيبة أعظم من غيبة الموت، اللهم أدخلنا برحمتك في سعة مغفرتك، وتقبل منا حقير العمل الذي يقصر عن بلوغ عظمتك.

ثم إن وصيتي إلى الأولاد وسائر الأرحام والأقارب بتقوى الله -تعالى- والتلبس بطاعاته، فإنها أشرف لباس، وأعظم رداء، وفي الحديث «**من تعزز بعز الطاعة أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة**»[1] ولقد أثنى الله في كتابه الكريم على أهل التقوى، وخصهم بأوصاف الكمال، وشرفهم واصطفاهم

---

(١) رواه العنسي في الإرشاد، وقد روي بمعناه، وفي الشواهد ما يؤيده كحديث عائشة «من أذل نفسه في طاعة الله فهو أعز ممن تعزز بمعصية الله» أخرجه أبو نعيم في الحلية[٢/ ١٩٨]، وحديث عمر «من اعتز بالعبيد أذله الله... » أخرجه الحكيم الترمذي، وصححه السيوطي وأحمد في الزهد، وفي كنز العمال برقم [٢٢، ٢٥] وفي الإحياء [٤/ ٢٥٤]، ومثله «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس.. » وغيرها من الشواهد والآثار، وكفى في صحته شهادة القرآن، إذ وافق الحديث كثيراً من آيات القرآن الكريم بثبوت العزة لله قطعاً، والتعزز بمن آمن بالله، والهلاك والذل والدمار لمن تعزز بمعصية الله تعالى.

على سائر الخليقة، لاختصاصهم بشرف التقوى وحيازة منصبها.

ثم طلب العلم والتماسه، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وهو أشرف المراتب، وأعلى المناقب، وأكرم الخصال، وأنفس الملابس، وهو أعظم وصلة إلى نيل الجنة، والفوز بنعيم الآخرة.

ثم مقارنة أهل الصلاح، ومخالطة الأخيار، فإن خلطتهم تحصل بها فوائد دينية ودنيوية، والقرين الصالح فيه زيادة في الخير والصلاح، ومباينة أهل الفسق والمعصية، فإنه لا خير في قربهم، ولا فائدة في مخالطتهم، ولا مثل لهم إلا الكير إن لم تحرق بناره نالك من لهبه وشراره ورماده، وعفونة رائحته، وتسويد الأثواب بقربه، ثم التواد والتواصل للأرحام والأقارب، فإنها خصلة شريفة، وفيها حصول الأجر والثواب، وقد عظَّم الله -تعالى- حال الرحم، وشرَّف حالها، ووعد على صلتها أعظم الأجور وأفضلها.

ثم التراحم فيما بين الإخوة، وأن الصغير يكون للكبير ولداً، والكبير والداً، والمتوسط أخاً وصنواً، وقبول قول الكبير وامتثال أمره، ففي التواصل والتواضع راحة القلوب.

ثم مواساة المساكين، وإطعام الطعام فإنها خصلة شريفة، وأن يكون في أموالكم حق معلوم للسائل والمحروم، وأهل الفاقة من الأرامل والأيتام.

ثم هذه التعاليق التي عنينا في جمعها وتأليفها ليسهل الأمر على كل من طلب

فائدة في العلوم تبسط لمن طلبها، ولا تحجر عن أحد ممن أراد [منها] فائدة بشرط الحفظ والصيانة، والضبط لها بوثيقة إلا ممن عرفت ديانته وأمانته، فالغرض بها وجه الله -تعالى- واقتباس الفوائد، وإصلاح الخلل فيها، ولا يخرج منها ما لم ينسخ حتى يكثر نسخه، كي لا يجرى عليه تلف.

وكتاب (الإنتصار)(١) فإن خرمه عن الإتمام حسرة علينا، وإن نفَّس الله في المهلة فالنية صادقة في إتمامه، وإن جرى حال، وأمكن أحد من أهل الفضل الشروع في إتمامه على ذلك الأسلوب الذي سلكناه فيه فالأجر حاصل، وسائر الكتب الموقوفة لا يمنع أحد من المسلمين عنها على قدر ما يراه الوصي في الوثيقة في حفظها وصيانتها.

وما خلفناه من الأصلاب موروث بين الأولاد الذكور والإناث، وما في أيدي البنات موروث أيضاً، ولكل منهم نصيبه مما يعلم أنه مخلف، ويجعل للمسلمين قسط في المواساة في الزرع والعنب، وإن استغنى البنات بأزواجهن ووسَّع الله عليهن الرزق لم يزاحمن إخوتهن كل المزاحمة، لما في وجوههم من المؤن، واحتمال المشاق بالوارد والصادر، وكل ما كان من الحصون عقدنا لهم بالرد إليهم في نوبهم فهو مردود إليهم، مثل هرَّان(٢) دون الشحنة التي هي فيه فهي لبيت المال، تصرف في العلماء والمتعلمين، والضعفاء والمساكين لوجه الله

---

(١) وقد أتمه عليه السلام كاملاً ولعل الله يسهل بطبع بقية الأجزاء.

(٢) حصن معروف في مدينة ذمار، واستقر الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام به.

-تعالى- ولا تكون مردودة، لما في ذلك من إعانة الظلمة على ظلمهم، وهكـذا جميع الآلات الحربية تصـرف في الفقراء والمساكين قيمتها[1].

تمت الوصايا، والحمد لله على كل حال من الأحوال، والصلاة عـلى محمـد وعلى آله خير عترة وآل، ضحوة السبت من شهر رمضـان مـن سـنة ٩٩٦هـ أحسن الله خاتمتها آمين.. آمين..

بقلم المولى العلامة صلاح بن محمد بن صلاح بن علي بن الحسين بـن عـلي بن عبدالله بن محمد بن أمير المؤمنين يحيى بن حمزة عليهم السلام.

---

(١) في (ب): قال بعد تمامها: والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم، والحمد لله على كـل حال من الأحوال والاعتماد على رب العباد ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ثم قال كاتبها: بلغت هذه الوصية الأخيرة مقابلة وقصاصة على أمها كتبهـا قـدس الله روحـه في أول كتاب التصفية بخط يده رحمة الله عليه ورضوانه وصلواته.

كراماته

أما كراماته عليه السلام فهي شيء كثير وكثير، وقد مرَّ في أثناء هذه السيرة كثير ولو لم يكن منها إلا نسخه لكتبه مع كثرتها وسعتها وهو عليه السلام نسخها مرة واحدة فقط، ولا يجري عليها القلم مرة أخرى، ومع ذلك خاليه من الخطأ.

ومنها: أنه لما قبر بذمار امتنع عنها الهوام والحيات وهي كرامة ظاهرة،،

ومنها: أنه كان مستجاب الدعوة وذلك أنه لما قصد بعض السادة وغيرهم الإمام يحيى عليه السلام إلى قرية مصنعه من بلاد ذمار وكان الإمام يحيى بن حمزة فيها فكره وصولهم إليه فدعا عليهم فتمزقوا تمزق الجراد ورجع السيد يحيى بن الحسين صاحب الياقوتة إلى صنعاء وتوفي بها[(١)]، وقد تقدم ذكر ذلك بأكثر مما هنا.

ومنها: أنهم أوصلوا إلى الإمام يحيى عليه السلام مقعداً وهو بمدينة ثلا فقرأ عليه الإمام ونفث بريقه ومسح بيده المباركة عليه فبرأ من ساعته وقام يمشي ليس به بأس؛ كما رواها الفقيه الصالح عزان بن أحمد الجيلاني رحمه الله.

ومنها: ما أخبر به الفقيه العلامة يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان مؤلف (الثمرات) أن صنوه محمد بن أحمد سقط سقطة أذهبت بصره بالكلية فرفعه والده إلى الإمام يحيى – عليه السلام – وهو واقف بمدينة ثلا، فمسح بيده المباركة عليه، وقرأ ونفث بريقه المبارك فبرأ من ساعته ورجع عليه بصره.

---

(١) الترجمان-خ-، المستطاب-خ-

ومنها: ما تواتر من الكتابة بالأبيض في الثور الأحمر القاني الذي كان لرجل من أهل القارتين بشظب ما لفظه: ((**يحيى بن حمزة بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**))؛ وقد جاء صاحب الثور به إلى الإمام يحيى عليه السلام وهو بغربان، ووقع التواتر بذلك في بلاد شظب وغيرها.

ومنها: أنه دعا على الغز وهم أكراد ذمار فسلط الله عليهم الإمام الناصر صلاح الدين عليه السلام.

وكراماته عليه السلام أكثر من أن تحصر في مؤلف، وفقنا الله لصالح الأعمال وأعاد علينا من بركات والدنا الإمام عليه سلام رب الأرباب[1].

((زيارة العلامة ابن مير))

ولما سمع بإمامة مولانا ووالدنا الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام وعلمه الزخار في البلدان اشتاق للقائه العلماء والفضلاء فكان ممن خرج لزيارته العالم الكبير أحمد بن مير القادم من الجيل والديلم، وتحمَّل المتاعب والصعاب، ومعه هدية ثمينة للإمام يحيى عليه السلام، فقد أوصل معه الجامع الكافي الذي ألفه الإمام الحافظ أبو عبدالله العلوي، ومع بعد المسافات وطول الطريق لم يصل الوافد ابن مير إلى اليمن إلا وقد فارق الإمام يحيى عليه السلام الحياة.

---

(١) عن كرامات الإمام عليه السلام راجع: النبذة اليسيرة -خ-، الترجمان -خ-، مآثر الأبرار، تتمة الإفادة، وغيرها.

الفصل العاشر: من مناجاته وأقواله

[من مناجاته عليه السلام]

نختار قوله عليه السلام: **اللهم يا من هو المتعالي بجلال العظمة والكبرياء، والمستولي بسلطان القدرة على ملكوت الأرض والسماء، والقابض بجناح الرحمة لكل من بَعُدَ من خلقه ومن قرب ودنا، نسألك بكلماتك التامة، ونور وجهك الذي ملأ الأرض والسماوات، أن ترحم عن النار وإصلاء الجحيم رؤوساً تطأطأت خضوعاً وتصاغراً لهيبتك، وألا تشوي بها وجوهاً قد خشعت من خيفتك، واشتملت على أعين قد بكت من خشيتك، وعلى أسماع قد أصغت إلى سماع ذكرك وموعظتك، وعلى خدود قد سالت عليها الدموع وجرت إشفاقاً من سطوتك، وعلى ألسن قد تحركت بالاستغفار والعذر عن معصيتك، ونطقت بأنواع التقديس وضروب التحميد وأقرت بمعرفتك، أو تغل بأغلال الحديد رقاباً قد خشعت حذراً من رهبتك، أو تحطم بالنار أصلاباً طالما انحنت لأداء فرائضك وعبادتك، أو تطلع النار على أفئدة مشتملة على العلم بتوحيدك وحقائق صفاتك وكنه معرفتك، أو تقرن مع الشياطين جنوباً قد تجافت عن المضاجع إسراعاً**

ورغبة في طاعتك، أو تشوي بالنار أكباداً لها تطلع إلى نيل عطائك وتكرمتك، أو تصهر بالحميم بطوناً قد انصرفت عن أكل الحرام والسحت خوفاً من رهبتك، أو تقطع بكلاليب النار معاء قد ضمئت بالصيام تقرباً إلى إحراز مغفرتك، أو تحرق بسعير النار ولهبها أبداناً طالما مدت أكفها لنيل عطائك وهبتك، أو تسيل بالصديد فروجاً قد تحصنت من حرامك وانحرفت عن معصيتك، أو تقرن مع النواصي أقداماً طالما مشت إلى المساجد طلباً لإحراز ثوابك ومنتك، أو تمزق بالنار جلوداً قد اقشعرت من خوف وعيدك وعظيم سطوتك، فلا وعزتك ما أسبلت العيون واكف العبرات إلا إشفاقاً من غضبك وعقابك، ولا طولت العكوف ببابك إلا طمعاً في مغفرتك وثوابك، ولا بسطت النفوس أكفها إلا رجاء لنيل رحمتك، فقد مددنا إليك أيدي السؤال، واستمطرنا الجود من عطائك الواسع وعظيم النوال، فقد سألنا ما عندك واثقين فلا تردنا بالحرمان خائبين، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

من أقوال الامام عليه السلام

وإن كانت كثيرة إلا أننا جعلنا كلمات ومقاطع مختارة لتكون قريبة المنال سهلة الحفظ وتدل على غيرها مما أغفلناه:

قال عليه السلام: ((**أما والله إنا لا نترك لظالم بسطة ولا نرضاه في بلد ولا خطة هذه هي السيرة المرضية للرحمن**))

وقال عليه السلام عن الزكاة ((**ما لنا فيها إلا ولاية الصرف ولا ندخر منها ديناراً ولا درهما**))

وقال عليه السلام: ((**وإني أحب سقوط التوجب بأي رخصة كانت وما نمَّ إلا سيرة أمير المؤمنين وإلا النار**)).

وقال في هذا المعنى: بعد بذل واسع الجد والجهد منا في طلب الرخصة، وشدة الطلب والبحث لمن يقوم بأمر العامة والخاصة، فلم نجد إلى ذلك سبيلاً يسقط الفرض، ويطمئن إليها الخاطر، ولا مندوحة في التأخر يكون لنا عذراً عند الغائب والحاضر، ولا لاح لأحد من الأفاضل شبهة تسقط ذلك عنا، ولا استقر عندهم برهان ينشرح به صدورهم وصدورنا، بل حملنا الكل منهم على ذلك، وسلوك ما تقدم وسبق لآبائنا الأكرمين من المسالك، فعند ذلك تقلَّدنا عهدة الإمامة، وتردينا أثواب الزعامة، وتحملنا أمر خاصة الخلق

والعامة، عقد لنا بذلك أهل العقد والحل، وبايعنا عليه الجهابذة من أولي العلم والفضل، ودخلوا في الإمامة أفواجاً، وسارعوا إليها فرادى وأزواجاً، وحينئذ ظهر ضوء صباح الحق وسطع، واستبان نور قمره وطلع، وشاع حكم أهله في الآفاق واتسع، وعاد عود الفلق بعد الغسق، واستقام على ساق واتسق...

وقال عليه السلام في أمر الجهاد: ((**قلبت هذا الأمر ظهراً لبطن ولقد بالغت في انتهاض الرخصة وإسقاط الحجة فما وجدت لي ولكم عذراً من الجهاد**)).

وقال يخاطب الناس: ((**فما النجاة إلا في موافقتنا وما الهلاك إلا في مخالفتنا**))

وقال عليه السلام: ((**البصيرة العمياء خير من البصيرة الحولى**))

وقال عليه السلام: ((**اللهم إن كنت تعلم أن في خروجي هذا قصداً لإحراز دنيا، أو شوقاً إلى مطمع، أو إحرازاً لسلطان قاهر، أو قضاء لمدة، أو جمعاً لحطام دنيا، أو علواً على مسكين، أو تطاولاً في فخرٍ، أو محبة لاستيلاء، وقهراً وترفيهاً في ملبس أو مطعم أو غير ذلك من زخرف الدنيا اللهم فإن هذه خطيئة، اللهم فإن كنت تعلمها مني فلا تغفرها لي، ولا تنلني شفاعة جدي، وإن كنت تعلم أن خروجي قصداً لإعزاز دينك، وإظهار أمرك فأيّدني ومن تبعني من المسلمين من عندك بالنصر، وانشر علينا ألوية الظفر، ولا تظفر بنا إظفار الأعداء، إنك سميع الدعاء**)).

ومن أقواله عليه السلام الدالة على نيته وعزمه لجهاد اليهود: ((**إن مكَّن الله تعالى أخرجناهم من جزيرة العرب**)) كما في الثمرات للفقيه يوسف بن أحمد نقلاً عن الإنتصار للإمام يحيى عليه السلام.

وقال عليه السلام عن الدنيا: ((**وحقيق بالعاقل أن ينظر إلى حقارة الدنيا، وهوانها على الله تعالى، فلهذا رفضها كل زاهد، فإذا كان أعلى إدامها العسل، وهو من ذبابة، وأشرف لباسها الحرير وهو من دودة، وأعلى الطيب المسك والعنبر وهو من دابتين برية وبحريه، فهذا دليل حقارة الدنيا، ونزول قدرها عند الله تعالى**)).

قلت: وهو كلام دقيق ونظر جارٍ عن بصيرة وتحقيق وعبرة لمن اهتدى بهذه الذكرى.

وقال عليه السلام: ((**فلا علم من العلوم الإسلامية والمباحث الدينية إلا وقد طرت في أرجائه، وتنفست بالنظر الثاقب في جوانبه وأنحائه ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾** [الحجرات: ٨] **والرجوى في الله –سبحانه وعز سلطانه– أن يظفرنا بالدعاء إلى إعزاز دينه بالسيف كما أظفرنا بالحجة، فيحوز لنا بلطفه جميع الأمرين، ويحرز لنا برحمته كلا الأجرين**)).

وقال عليه السلام: ((**فمن خالفنا فقد خالف أمر الله، ومن رد أمرنا فقد شاق**

الله، هذا والله هو الحق لا ريب فيه ولا لبس، والمنهج الذي لا زيـغ فيـه ولا طمس، بل حقٌ تلألأت أنواره ومنهج طلعت شموسه وأقماره إن شاء الله - تعالى)).

وقال عليه السلام يحث على الجهاد: ((**معاشـر المسلمين شمِّروا في جهاد عـدوِّكم، ونصـرة دينكم، مع ابن بنت نبيكم، فإنما هو قول فصل، وجدٌّ غير هزل))**

وقال عليه السلام: ((**واعلموا أن الجهاد ركن من أركان الدين والإسلام، والعروة الوثيقة التي ليس لها حل ولا انفصام، فمن تمسك به أَمِن أن يُهضَـم جانبـه بظلم، أو نقص، أو ائتلام ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾**[العنكبوت: ٦٩])).

وقال عليه السلام مخاطباً أولاده: ((**وقد وفينا بالحق الذي علينا لهم مـن الإنصـاف والتعليم والإرشاد والتهـذيب، وتعـريفهم بمعـالم الـدين وسـبل الهدايـة، وأوصلناهم إلى كل خير في الدنيا والآخرة)).**

وقال عليه السلام: ((**وأنا أنشد الله كل مسلم من الإخوان العلماء، وعامة الفضلاء خصلتين:-**

الخصلة الأولى: ألا يعلم لي نصيحة في أمر الدين إلا ذكرها لي، فإني قابل لكل نصيحة.

الخصلة الثانية: ألا يعلم لي شيئاً في سيرتي مما يكرهه الشرع إلا ذكره لي))[1].

وقال عليه السلام: ((فلقد علم الله وكفى به عليماً، بل يعلم الله -تعالى- وشهادته أن ما تلبست بها تلبست به من القيام بأمر المسلمين، ومناجزتي للظلمة، وإيحار صدورهم، والشدة عليهم بالقول والفعل كما أشار إليه الشرع ما كان لشهوة أعملتها، ولا لأجل لذة آثرتها، ولا من أجل دينار ولا درهم، ولا لشيء من حطام الدنيا، ولا كان من أجل لبس الرقيق وأكل الدقيق، وإنما كان لما يعلمه الله-تعالى- من القيام بأمر الدين، وإظهار أحكام الشريعة، وإعانة مظلوم، ونصرة ضعيف على حسب ما أجده من الإمكان والإمعان في ذلك)).

وقال عليه السلام في وصيته: ((ولقد علم الله -وكفى به عليماً- لو حصل لي الخلاص [في أمر الإمامة] بعد دخولي فيه ما كرهت، والله -تعالى- يعلم قصدي في الدخول، ويعلم سريرتي في ذلك، وأسأله التجاوز والصفح وقبول المعذرة)).

وقال أيضاً: ((ومعاذ الله أن أريد استطالة على مسلم، أو علواً على أحدٍ من الخلق، لأن أكون ممن يشمله قوله تعالى﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

---

(١) وفي هذا ما يدل على تواضعه وإنصافه مع أنه أمير المؤمنين وإمام المسلمين والمتولي لأمورهم والمالك لزمامهم.

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣] ولم أرد طمعاً في حطام الدنيا، فأكون ممن أراده الرسول ﷺ بقوله «إياكم واستشعار الطمع فإنه يشرب القلب شدة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا، وهو مفتاح كل سيئة، وسبب إحباط كل حسنة»[(١)] ولا قصدت إيثار عاجله)).

(١) انظره في كتاب الإرشاد للعلامة عبدالله بن زيد العنسي.

الفصل الحادي عشر:

مؤلفاته عليه السلام والسند إليها

ومن مؤلفاته[1]

📖 مجموع كتبه ورسائله، ويتضمن الآتي:

📖 الرسالة الوازعة لصالح الأمة عن الاعتـراض على الأئمة.

📖 الجواب الرائق في تنزيه الخالق، نسخه جدنا العلامة صلاح بـن محمـد في مدينة حوث سنة ٩٩٥هـ.

📖 مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار، نسخها جـدي السـيد العلامـة صلاح بن محمد بمدينة حوث سنة ٩٩٧ هـ وله فيها حواشٍ وتعقيبات.

📖 الجوابات الوافية في الـبـراهين الشافية، وقد نسخه والدنا صلاح بن محمد سنة ٩٩٦هـ بهجرة حوث.

📖 الرسالة الكاشفة للغمة في الاعتـراض على الأئمة، نسخها جدي العلامة صلاح بن محمد في ١٥ شهر صفر سنة ٩٩٦هـ.

📖 الجواب الناطق بالصواب القاطع لعرى الشك والارتياب، ونسخه سـنة ٩٩٦هـ.

📖 الرسالة الوازعة لذوي الألباب عن فرط الشك والارتيـاب، أجـاب بهـا على السيد داود بن حمدين، ومنه نسخة في مكتبة الجامع الكبيـر بحوث.

---

(١) قد ذكر الإمام يحيى عليه السلام بعض مؤلفاته في رسالة له أجاب بها على قاضٍ من أهل الشام.(انظر مجموع الإمام يحي حمزة) طبع بتحقيقنا.

📖 الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين[1].

📖 الجواب القاطع للتمويه عما يـرد على الحكمة والتنزيه.

📖 كتاب للإمام عليه السلام كتبه للمقري عفيف الدين مسعود بن محمد الحويـت بنقل أموال المساجد بعضها على بعض وجواز ذلك.

📖 رسالة أخرى بهذا المعنى.

📖 رسالة في جواز التقليد وغيـرها.

📖 وصاياه الأربع إلى أولاده وأقاربه، وله فيه عدة جوابات ورسائل وكتـب وتعازي أيام دعوته.

إلى هنا انتهى ما أردنا ذكره من مجموعه الشـريف.

📖 الاختيارات في الفقه (مجلدان).

📖 الأزهار الصافية شـرح مقدمة الكافية.

📖 أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة.

---

(١) في هذه الرسالة من التناقض ما لا يخفى على عالم ولا متعلم، ومن قرأ كتب الإمام يحيى عليه السلام يجدها خالية من التناقضات، فكيف برسالة صغيـرة يظهر التناقض الكثيـر فيهـا؟! وهـذا يـدل على دسائس في الرسالة، وقد تولى مناقشتها الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي -رضـي الله عنه- في كتابه (مجمع الفوائد)، وانظر ما علقناه على الرسـالة في مجمـوع الإمـام يحيـى عليه السلام طبع بتحقيقنا.

🕮 الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام (طبع).

🕮 الاقتصاد في النحو، ومنه نسخة بمكتبة جامع الشجرة، وعندي منه صورة.

🕮 إكليل التاج وجوهرة الوهاج.

🕮 الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، وفي مكتبة جامع الشجرة جزء واحد وهو الجزء الثامن عشر بخط المؤلف عليه السلام وأتمه سنة ٧٤٨هـ (وطبع منه الجزء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس)، هذا وقد أتم الإمام عليه السلام الجزء الثاني في شهر رجب سنة ٧٤٢هـ بحصن هران والجزء الخامس منه سنة ٧٤٣هـ، والخامس عشر سنة ٧٤٦هـ.

🕮 الأنوار المضيئة في شرح الأربعين السيلقية، ومنه نسخة بمكتبة جامع الشجرة بحوث بخط يده الشريفة وأتمه سنة ٧٣٦هـ.

🕮 الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم البيان ومعرفة الإعجاز، موجود في مكتبة الشهيد محمد بن علي ساري، وفي مكتبة جامع الشجرة بحوث وأتمه سنة٧٤٤هـ.

🕮 الإيضاح لمعاني المفتاح في الفرائض.

🕮 التحقيق في الإكفار والتفسيق. وبعض أجزائه في مكتبة جامع الشجرة وأتمه سنة٧٢٤هـ.

📖 تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، ونسخها كثيـرة جداً.

📖 التمهيد في علوم العدل والتوحيد وأتمه سنة٧٣٣هـ.

📖 الحاصـر شـرح مقدمة طاهر(طبع).

📖 الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية والقياسـية تقريــر القواعـد السياسـية. في مكتبة جامع الشجرة جزآن، وأتمه في سنة ٧١٥هـ بخط يده الشـريفة.

📖 خلاصة السيـرة، لخص فيه سيـرة ابن هشام.

📖 خطب الشهور والسنة.

📖 الديباج الوضـي في الكشف عن أسـرار كلام الوصـي، مخطـوط بمكتبـة جامع الشجرة سنة ٧١٨ بخطهعليه السلام (طبع).. حرَّفه الأكوع، وغيَّـر وبدَّل -كعادته- فسمّـاه (الديباج الوضـي شـرح نهج البلاغة وكلام الشـريف الرضـي)! وهذا التحريف متعمد!!

📖 الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية (الجـزء الثـاني منـه بمكتبة جامع الشجرة أتمه سنة ٧١١هـ بخطه عليه السلام).

📖 الطراز المتضمن لأسـرار البلاغة وعلوم حقـائق الإعجـاز (طبـع) وأتـم الإمام تأليفه سنة ٧٢٨هـ.

📖 العدة في المدخل إلى العمدة.

📖 عقد اللآلئ في الرد على أبي حامد الغزالي، في مسألة إباحته لسماع الغناء.

📖 العمدة في مذاهب الأئمة، مخطوط بمكتبة جامع الشجرة، تم نسخ الجـزء الثاني سنة ٧١٩هـ والثالث سنة ٧٢٠هـ. قال الأكوع: العمدة في الفقه!

📖 الفائق المحقق في علم المنطق.

📖 القسطاس في علم الكلام أو في أصول الفقه.

📖 الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد، طبع في مجموعه.

📖 اللباب في محاسن الآداب، في مجموعه وهي الوصية الأولى.

📖 المحصل في كشف أسـرار المفصل وأتمه سنة٧٢٨هـ.

📖 مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنيـة الأشـــرار، أتـم نسـاخته في سـنة ٨١٧هـ ولعلها بخط الحفيد أحمد بن عبدالله بن الإمام يحيـى رضـوان الله عليهم.

📖 المعالم الدينية في العقائد الإلهية (طبع).

📖 المعيــار لقــرائح النظــار في شـــرح حقــائق الأدلــة الفقهيــة وتقريـــر القواعد القياسية، وفرغ منه في رجب سنة ٧١٥هـ.

📖 المنهاج الجلي في شـرح جمل الزجاجي.

📖 نور الأبصار المنتزع من كتاب الانتصار.

📖 النهاية للوصول إلى علم حقائق علوم الأصول، والجزء الثاني منها بجامع الشجرة وأتمه سنة ٧١٧هـ.

📖 الوعد والوعيد وما يتعلق بهما وغير ذلك.

📖 إجازته للفقيه أحمد بن سليمان.

📖 أجوبة مسائل الأوزري، طبع في مجموعه.

📖 أجوبة مسائل شتى بخط السيد الفاضل أحمد بن عبدالله بن يحيى بن حمزة.

📖 إكليل التاج وجوهرة الوهاج.

📖 جواب على سؤال ورد من الشام يبحث عن أحواله ومقرؤته ومصنفاته[موجودة بخط السيد أحمد بن عبدالله حفيد الإمام يحيى] وطبع في مجموعه.

📖 الجواب المصلح للدين الموضح لسنن سيد المرسلين [قال الوجيه:-خ- المجموع السابق] طبع في مجموعه عليه السلام بتحقيقنا.

السند إلى مؤلفات الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى علينا باتصال سندنا إلى جميع مؤلفات والدنا الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام من طرق عدة، ومن تلك المؤلفات ما تضمنه ((المجموع الشريف من الكتب والرسائل)) إلا ما كان من الدسائس[1] التي بيّنها أعلام العترة الطاهرة في الرسالة الوازعة، وسنقتصر على أشهر تلك الطرق وأبرزها، فأقول والله ولي التوفيق:-

* أروي وأنا الراجي عفو ربه أبو الحسن قاسم بن حسن بن قاسم السراجي الحسيني بالإجازة عن الإمام الحجة مجد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام عن والده، عن الإمام محمد بن القاسم، عن الإمام محمد بن عبدالله الوزير، وعن السيد محمد بن محمد الكبسي، فأما الإمام محمد بن عبدالله الوزير فعن مشائخه الثلاثة يحيى بن عبدالله الوزير، وأحمد بن زيد الكبسي، وأحمد بن يوسف زبارة، وثلاثتهم يروون عن السيد الحسين بن يوسف زبارة، عن أبيه يوسف بن الحسين، عن أبيه الحسين بن أحمد، عن السيد عامر بن عبدالله عامر، عن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، عن أبيه الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد -عليهم رضوان الله-.

---

(١) لا تخلو الرسالة من دسائس على الإمام يحيى عليه السلام وفي أثناء الكلام يُلاحظ التغيير لأسلوبه عليه السلام الذي انتهجه في مؤلفاته وسائر كتبه ورسائله، وسيما أن التناقض ظاهر في الرسالة نفسها دع عنك التناقض في سائر مؤلفاته عليه السلام.

وأما السيد محمد بن محمد الكبسي، والسيد أحمد بن زيد الكبسي، فيرويان عن شيخهما الإمام محمد بن عبد الرب، عن عمه إسماعيل بن محمد، عن أبيه العلامة محمد بن زيد، عن أبيه العلامة زيد بن المتوكل، عن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، عن أبيه الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد –رضوان الله عليه.

* كما أروي عن الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي–سلام الله عليه– عن والده، عن عبدالله بن أحمد العنثري، عن عبدالله بن علي الغالبي، عن شيخيه السيدين أحمد بن زيد الكبسي وأحمد بن يوسف زبارة، بطرقهما إلى الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد –سلام الله عليهم–.

والإمام المنصور بالله يروي عن السيد الإمام أمير الدين بن عبدالله، وإبراهيم بن المهدي الجحافي، عن شيخهما الإمام أحمد بن عبدالله الوزير، عن الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين عليهم السلام.

وكذلك يروي الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عن السيد العلامة صلاح بن عبدالله الوزير، عن أبيه، عن الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين، عن الفقيه العلامة علي بن أحمد الشظبي، عن العلامة علي بن زيد، عن السيد أبي العطايا عبدالله بن يحيى، عن الفقيه نجم الدين يوسف بن أحمد، عن السيد الإمام عبدالله بن الإمام يحيى بن حمزة، والفقيه حسن بن محمد النحوي، والفقيه شمس الدين أحمد بن سليمان الأوزري، والشيخ جمال الدين

علي بن إبراهيم بن عطية، وأخيه إسماعيل بن إبراهيم خمستهم -رضوان الله عليهم- يروون عن الإمام المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة عليه السلام.

والعلامة علي بن زيد يروي عن الإمام المطهر بن محمد الحمزي، عن الفقيه يوسف... إلخ.

والإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين يروي عن السيد العلامة صارم الدين الوزير، عن أبيه، عن عبدالله بن الهادي الوزير، عن السيد العلامة صلاح بن الجلال متمم الشفاء، عن الإمام المهدي علي بن محمد، عن أحمد بن حميد الحارثي، عن الإمام يحيى عليه السلام.

والسيد العلامة صلاح بن الجلال، عن علي بن إبراهيم بن عطية عن الإمام يحيى عليه السلام.

وكذا يروي الإمام المتوكل إلى الله يحيى شرف الدين عن السيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير عن أبي العطايا عبدالله بن يحيى عن الفقيه يوسف بن أحمد عن الفقيه حسن بن محمد النحوي عن الإمام المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة عليه السلام.

* وأروي عن السيد العلامة الزاهد حمود بن عباس المؤيد -رضي الله عنه- وعن السيد العلامة المحقق محمد بن يحيى المطهر -رحمه الله- والسيد العلامة محمد بن محمد المنصور وهم عن القاضي العلامة عبد الواسع الواسعي، عن العلامة أحمد بن محمد السياغي، وعن القاضي العلامة

محمد بن عبدالله الغالبي، وهما عن الإمام المنصور محمد بن عبدالله الوزير بسنده المتقدم.

*وأروي عن الثلاثة البدور عن العلامة عبدالواسع الواسعي عن محمد بن حسن الكبسي المراجل عن العلامة أحمد بن زيد الكبسي عن الحسين بن يوسف زبارة وعن الإمام محمد بن عبدالرب بطرقه السابقة الذكر.

* وأوري عن السيد العلامة محمد بن يحيى المطهر عن العلامة الكبير يحيى بن صلاح ستين الصعدي، عن الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي، عن العلامة عبدالله بن علي الغالبي، عن السيد الإمام محمد بن عبد الرب، وعن السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة بطرقهما السالفة الذكر.

* وأروي عن السيد العلامة المجتهد عبدالرحمن بن حسين شايم عن محمد هادي الفضلي الملقب "درابه" عن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي بطريقه السالفة.

*وأروي عن السيد العلامة الكبير محمد بن محمد المنصور عن العلامة عبدالواسع الواسعي عن القاضي العلامة محمد بن عبدالله الغالبي عن عبدالله بن علي الغالبي بسنده المتقدم.

*وأروي عن السيد العلامة الكبير محمد بن محمد المنصور عن السيد العلامة علي بن أحمد السدمي عن السيد العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي عن

أبيه إسماعيل بن محمد الكبسي عن أبيه محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي عن العلامة حسين بن يوسف زبارة بالسند المتقدم.

* وأروي عن السيد العلامة الزاهد حمود بن عباس المؤيد -رضوان الله عليه- عن العلامة أحمد بن عبدالله الكبسي، عن العلامة محمد بن أحمد العراسي، عن العلامة عبدالله بن علي الغالبي بطرقه المتقدمة.

* وأروي عن شيخنا العلامة حمود بن عباس، عن العلامة محمد بن علي الشرفي، عن الإمام المهدي محمد بن القاسم، عن السيد محمد بن محمد الكبسي، عن السيد الإمام محمد بن عبد الرب، عن عمه إسماعيل بن محمد، عن أبيه محمد بن زيد، عن أبيه زيد بن المتوكل، عن أبيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل، عن أبيه الإمام القاسم بن محمد بطرقه السالفة الذكر إلى والدنا أمير المؤمنين المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة عليهم السلام.

وأما رواية الإمام المؤيد برب العزة يحيى بن حمزة عليه السلام إلى كتب العترة النبوية وسائر علماء الأمة المحمدية فقد تقدم ذكر ذلك في هذه السيرة المباركة نفعنا الله بها وكتب لي أجرها آمين.

الخاتمة

ونختم هذه الرسالة المتواضعة بهذا الاعتذار الموجود في وصيته عليه السلام:

قال عليه السلام: وأنا أستغفر الله العظيم من تفريط جرى مني في نصرة مظلوم، أو إعانة مسكين، أو إغاثة ملهوف، فما كان ذلك إلا من أجل تقاعد الخلق عن نصرتي، والإعراض عما دعوتهم إليه، والإكباب على تحصيل أغراض حقيرة من الدنيا لا نالوها فينعمون[1] ولا أعرضوا عنها فيستريحون، فصبرت على الخذلان والنكوص عن نصرة الدين حتى يقضي الله لي بأمره، ويختر لي بخيرة من عنده، على غمٍ وهمٍ من مقاساة الظلم، ومعاناة الشدائد من ارتكاب الفجور، والتلبّس بالفواحش، وكانت لنا الأسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إقامته في مكة على مكابدة وشدة وصعوبة في الأمر حتى فرج الله عليه بإنجاز ما وعده من إظهار الدين على رغم المشركين.

وقال عليه السلام: وأنا أستغفر الله -تعالى- من تقصير جرى من جهتي في حال ولايتي على المسلمين من تقصير في حق مسلم، أو إعراض عن حاجة مسكين، أو تغافل عن قضاء حاجة محتاج، أو تأخر عن نصرة مظلوم أقدر عليه، فإن جرى شيء من ذلك فما هو عن قصد، وإنما يكون عن ذهول وغفلة ونسيان على إلْفِ الطباع البشرية.

بهذا أختم ما جمعته ورتبته وحاولت فيه أن أستقصي بعض استقصى عن سيرة هذا الإمام التي لو دوِّنت ولو مدَّة أيام الإمامة وهي عشرون سنَّة لكانت مجلدات

(١) في نسخة: فينعموا ولا يعرضوا عنها فيستريحوا.

كثيرة وسيرة نضيرة، ولكن قلة المؤرخين في تلك الأزمان سواء كانت أيام الإمام يحيى عليه السلام أو من قبله من بعد زمن الإمام الشهيد أحمد بن الحسين عليه السلام من أئمة ظهروا فلم يكتب عنهم ما يجب أن يكتب كسيرة ولو من بداية الدعوة إلى مفارقة الإمام للحياة وما أحسنها لو كانت من الطفولة إلى مفارقة الإمام للحياة لأصبحت دروساً ومنهجاً وسلوكاً عملياً لكل عالم أو متعلم أو فاضل زاهد، هذا هو الذي فقدناه، لكن التأليف كان قد برز في الجانب العلمي الديني بشتى أنواعه، لذلك فإن كتب الإمام يحيى عليه السلام صارت مرجعاً في كل فن واشتهر بذلك اشتهار الشمس، وعلماً يهتدي به كل ذي لب وفكر، وبهذه الشهرة استغنيت عن التطويل في هذا المجال، وبحق فقد رفعت تلك العلوم التي ألفها ما كان عليه من الظلم والمحاولة لطمس ذكره وإقصاء دوره العلمي والجهادي في ترسيخ قواعد الدين ونشر العدل بين المسلمين، فاشتهر صيته وعلا ذكره، بل يعتبر من الأئمة الذين سار اسمه في العالمين كل مسار فلا يكاد تجد عالماً أو مثقفاً مطلعاً إلا وهو يعرف الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام ويشتاق لكتبه ومؤلفاته، وكذا صلاح ذريته من بعده، كل هذا من اصطفى الله له في الدنيا وإنه في الأخرة لمن الصالحين، أرجو من الله قبول هذا العمل المتواضع وأن يجعله لي في ميزان الحسنات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصل اللهم وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين.

وكتب الراجي عفو ربه

قاسم بن الحسن بن القاسم السراجي

شهر القعدة ١٤٤٠هـ

المصادر والمراجع

م	الكتاب	المؤلف	ط
١	أعلام المؤلفين الزيدية	السيد العلامة: عبدالسلام الوجيه	مطبوع
٢	البدر الطالع	القاضـي الشوكاني	مطبوع
٣	بلوغ المرام	القاضـي حسين العرشي	مكتبة اليمن الكـبرى
٤	تتمة الإفادة	الحبسي	مخطوط
٥	التحف شـرح الزلف	الإمام مجد الدين المؤيدي	مطبوع
٦	الترجمان	ابن مظفر	مخطوط
٧	تصفية القلوب	الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام	طبع بتحقيق المؤلف
٨	الجواهر والدرر	الإمام المهدي	مخطوط
٩	خلاصة المتون	المؤرخ زبارة	مطبوع
١٠	الدر المبثوث	أحمد بن يحيى الأعضب	مخطوط
١١	الدر المنظوم	فتاوى	تحقيق السيدالعلامة عبدالرحمن شايم

م	الكتاب	المؤلف	ط
١٢	الديباج الوضي شـرح كلام الوصي	الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام	مطبوع
١٣	رحيق الأنهار في تـراجم رجال الأزهار	القاضـي أحمد بن عبدالله الجنداري	مكتبة غمضان- صنعاء اليمن
١٤	روائع البحوث في تاريخ مدينة حوث	المؤلف	مطبوع
١٥	الزيدية	الدكتور أحمد صبحي	مطبوع
١٦	السلوك	الجندي	مطبوع
١٧	سيرة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى	الحسن بن الإمام المهدي	مخطوط
١٨	سيرة الإمام المهدي محمد بن المطهر ووالده	الناصـر بن أحمد بن المظلل بالغمام	مخطوط
١٩	شـرح الأزهار	ابن مفتاح	مطبوع
٢٠	صلة الإخوان	السيد يـحيى بن المهدي	مخطوط
٢١	طبقات الزيدية الكبرى	السيد إبراهيم بن القاسم	مطبوع
٢٢	طرائف المشتاقين	السيد قاسم المهدي	مطبوع
٢٣	العديد من كتب الفقه	عدة مؤلفين	

م	الكتاب	المؤلف	ط
٢٤	غاية الأماني	يـحيى بن الحسين	مطبوع
٢٥	فرجة الهموم و الحزن	القاضـي الواسعي	مطبوع
٢٦	المقتطف من تاريخ اليمن	عبدالله عبدالكريم الجرافي	مطبوع
٢٧	قرة العيون	ابن الديبع	مطبوع
٢٨	كاشفة الغمة	الهادي بن الوزير	مخطوط
٢٩	كتب الإجازات	عدة مؤلفين	المخطوط والمطبوع
٣٠	كتب الحديث والمسانيد	عدة مؤلفين	المخطوط والمطبوع
٣١	كتب الفرق	عدة مؤلفين	المخطوط والمطبوع
٣٢	كريمة العناصـر	الهادي بن الوزير	مخطوط
٣٣	اللآلى المضيئة	الشـرفي	مخطوط
٣٤	مآثر الأبرار	الزحيف	مطبوع
٣٥	مجموع الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام	الإمام يحيى بن حمزة عليه السلام	طبع بتحقيق المؤلف
٣٦	مساجد صنعاء	الحجري	مطبوع

م	الكتاب	المؤلف	ط
٣٧	المستطاب	السيد يحيى بن الحسين	مخطوط
٣٨	مشجر الجلال	صلاح بن الجلال	مخطوط
٣٩	مصادر التراث	العمري	مطبوع
٤٠	مصادر الحبشي	عبدالله محمد الحبشي	مطبوع
٤١	مطلع البدور	أحمد بن صالح بن أبي الرجال	مطبوع
٤٢	مطمح الآمال	المهلا	مطبوع
٤٣	معاجم وقواميس اللغة	عدة مؤلفين	مطبوعة
٤٤	معجم البلدان	المقحفي	مطبوع
٤٥	النبذة اليسيرة	العلامة عبدالله بن الهادي	مخطوط
٤٦	نزهة الأنظار	المقرائي	مخطوط
٤٧	الهداية وحواشيها	السيد إبراهيم بن محمد الوزير	مخطوط

الفهرس